الأسلحة عبر العصور الإسلامية

الكتاب الأول

الأسلحة الدفاعية أو الجنن الواقية
الدروع والتروس

في ضوء المصادر المكتوبة والفنون الإسلامية

دكتور/ عبد النّاصر ياسين

دار القاهرة
١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
ت: ٠٠٢٠٢٣٩١٣٣٥٤

الأسلحة عبر العصور الإسلامية

الكتاب الأول
الأسلحة الدفاعية أو الجنن الواقية

(الدُروع والتُروس)

في ضوء المصادر المكتوبة والفنون الإسلامية

الدكتور
عبد الناصر ياسين

دار القاهرة
١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفون وفاكس : ٣٩٢٩١٩٢

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

ياسين، عبدالناصر
الأسلحة عبر العصور الإسلامية
/ عبدالناصر ياسين.- القاهرة:
دار القاهرة، ٢٠٠٦
٢ مج ؛ سم.
تدمك ٢ - ٤١ - ٦٠٤٨ - ٩٧٧ (مج١)
تدمك ٤ - ٤٠ - ٦٠٤٨ - ٩٧٧ (مج٢).
١- العسكرية ٢ - الآثار الإسلامية
أ - العنوان
٣٥٥,٨٢

اسم الكتاب : الأسلحة عبر العصور الإسلامية
الكتاب الأول (الأسلحة الدفاعية)

اسم المؤلف : د. عبدالناصر ياسين

رقم الطبعة : الأولى

السنة : ٢٠٠٧

رقم الإيداع : ١٥٤٩٥

الترقيم الدولي : I.S.B.N
977 – 6048 – 40 – 4

اسم الناشر : دار القاهرة

العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد

البلد : جمهورية مصر العربية

المحافظة : القاهرة

التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢

فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢

المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1]

صدق الله العظيم

(١) الآية رقم ٢٧ من سورة الأنفال.

إهـــــداء

إلى روح الشهيد عبد المنعم رياض

مثال التضحية والفداء ..

الفهـــرس

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
تمهيد	٩

المبحث الأول

الـــــــدروع

الفصل الأول:	
أسماء الدروع وصفاتها عبر العصور الإسلامية	٢٧
الفصل الثاني:	
رسوم الدروع على الفنون والعمائر الإسلامية........	٢١٥

المبحث الثاني

التُـــــروس

الفصل الأول:	
أسماء التروس وصفاتها عبر العصور الإسلامية	٢٤٧
الفصل الثاني:	
رسوم التروس على الفنون والعمائر الإسلامية	٢٧١
المصادر والمراجع........	٣٢٣
اللوحات	٣٥٣

تمهيـــــــد

تمهيد

باكورة هذا الكتاب كان بحث بعنوان: الأسلحة الدفاعية "الجُنَن الواقية" في العصر الإسلامي (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر)[1]، وأثناء إعدادي لذلك البحث، وجدت ثمة اعتراض على كوني قد اعتبرت أن "الجنن الواقية" من دروع وتروس تُعد من باب الأسلحة شأنها في ذلك شأن السيوف والخناجر، والرماح، والقسي وما شابه! ورغم أن قراءاتي حينئذ لم تجعلني أشك في صحة توجهي؛ وأدرك أنه لا لبس في ذلك عند المتخصصين في مجال الأسلحة، فوجدت أنه من المفيد توطئة الدراسة بتوضيح الأسباب التي دعتني أن أطلق لفظة الأسلحة على الدروع والتروس.

وقد اعتمدت آنذاك في معالجة هذه النقطة على ما تيسر من المصادر المتخصصة في السلاح، وأثناء معالجة البحث المنوه إليه عاليه؛ ليكون ذلك الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم، تزودت بقدر أكبر من المصادر المتخصصة في السلاح، كما اقتحمت مجالاً معرفيًا جديدًا يُعد كنزًا بلا شك في ميدان الأسلحة، وهو مجال الشعر العربي، وفي ضوء هذا وذاك وجدت مئات الإشارات التي تدعم صحة توجه كون "الجنن الواقية" من دروع وتروس تُعد من الأسلحة، غير أنني لا أرى ضرورة ملحة تقتضي تزويد الكتاب بأكثر مما تطرقت إليه عند معالجتي الأولية لهذه القضية، طالما أن ما أثبتّه كان كافيًا وأزال أي لبس قد يستشعره البعض.

وطالما أنني قد أشرت إلى أهمية ما في الشعر العربي من معلومات ثرية عن

---

(١) نُشرت هذه الدراسة في كتاب المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي (٣) الندوة العلمية الرابعة، ١٣- ١٤ شعبان ١٤٢٣هـ/ ١٩- ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٢م، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص. ص٥٥١- ٦٠٨.

الأسلحة، فأود التأكيد على المشتغلين في ميدان الحضارة الإسلامية، ألا يغفلوا دور هذا المجال المصدري المهم المبرز لكثير من النواحي الحضارية الإسلامية، وإذا كنت قد أدركت في إحدى دراساتي مدى أهمية الشعر العربي في تزويدنا بما ضنت به علينا المصادر الأُخر، فأعتقد أن الدراسة التي بين أيدينا تؤكد هذا الأمر، ولا شك أن القراء -خاصة الملمين منهم بميدان الأسلحة- سيدركون مدى أهمية ما أقول.

وأكتفي للدلالة على أهمية ما وقفت عليه في الشعر العربي عن الأسلحة الدفاعية -الدروع، والتروس- أنه بينما كانت المصادر المتخصصة في الأسلحة، تكتفي بمجرد سرد لأسماء وصفات بعض هذه الأسلحة وأجزائها، مُعَرِّفَة لقليل منها في مجرد كلمة أو فقرة في أحسن الأحوال- فقد كان الشعراء لا يثبتون مجرد أسماء وصفات هذه الأسلحة فحسب، بل وكانوا في أكثر الأحيان يصفونها وصفًا دقيقًا، ومسهبًا، وذلك بلا شك أمر سيتيح لنا مجالات معرفية مهمة عن هذه الأسلحة.

وعلاوة على ذلك، فسيلحظ القارئ أن الدراسة التي بين يديه قد أضافت إلى قائمة أسماء وصفات الأسلحة الدفاعية -المثبتة في المصادر والمراجع المتخصصة في الأسلحة- عشرات من الأسماء والصفات الأخرى، والحق أن الفضل الأول في ذلك يرجع إلى ما وقفت عليه في الشعر العربي، ولكن كيف تحقق لي هذا الأمر؟

وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي أولاً الإشارة إلى أنني كنت بادئ ذي بدئ أبحث في الشعر العربي عن مجالات معرفية أخرى تتخطى مجرد حصر لأسماء وصفات الدروع والتروس -التي وردت في المصادر والمراجع المتخصصة في الأسلحة- وأثناء ذلك وقفت على كثير من المصطلحات التي بعد إخضاعها للقياس مع ما ورد عن أسماء وصفات الدروع والتروس في المصادر والمراجع المتخصصة في السلاح، تبين أنها هي الأخرى أسماء وصفات للدروع والتروس،

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية اتضح أنها بالفعل أسماء وصفات للدروع والتروس.

وفي هذا المقام أجد أنه من الضروري التنويه إلى أنني استهللت تناول كل اسم أو صفة للدروع والتروس، بتعريف لها من خلال المعاجم اللغوية، وهو الأمر الذي اتبعته بالطبع مع ما وقعت عليه من أسماء وصفات جديدة استخرجتها من الشعر العربي، لذا فقد يبدو أن الفضل في إخراج هذه الأسماء والصفات الجديدة، يرجع إلى المعاجم اللغوية، والحق أن الفضل في ذلك يرجع إلى الشعر العربي، فهو الذي وقفت فيه على ذاك الإسم أو تلك الصفة، وأفادتنا المعاجم في تعريفنا بها، مؤكدة صحة توجهنا.

* * *

على أية حال فـ "الجُنَن الواقية" مصطلح واسع المدلول؛ يُقصد به كل ما يُتَّقَى أو يُستتر به[1]، ويعنينا من أمر هذه "الجُنَن الواقية" نوعان رئيسان، هما:

---

(١) الجُنة: لفظة مشتقة من "الاجتنان" أي الاختفاء. و"الجنن الواقية" تشمل كثيرًا من الأدوات، والمعدات، والمواد، والأساليب التي تُستخدم للوقاية من الأخطار، منها -على سبيل المثال- كسوة الأبراج والدبابات ونحوهما، بأنواع معينة من "الخيش الواقية" وهو أسلوب استخدمه الموحدون لستر أبراجهم ودباباتهم. راجع، محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، ص١٧٧. ومن الجدير بالذكر أن الصليبيين -أثناء إحدى حروبهم مع صلاح الدين الأيوبي- كانوا قد تفننوا في وقاية وستر أبراجهم؛ التي أرهقت الجيش الأيوبي، حتى تمكن أحد نحاسيي دمشق من عمل تركيبة كيمائية خاصة، أدت إلى حرقها. راجع، الأصفهاني، العماد الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي تحقيق، محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص. ص٣٦٧- ٣٧١. وللاستزادة عن مصطلح "الجنن الواقية" واستعمالاتها. راجع، ابن منكلي، محمد بن منكلي الناصري، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق، نبيل عبد العزيز، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ص. ص٣١٩- ٣٢٤.

الدروع والتروس[1]؛ اللذان يُعدان بلا شك من أهم أنواع "الجُنَن الواقية"، حيث كانا يُستخدمان لوقاية الجسم وحمايته من خطر التعرض لإصابة أكثر أنواع الأسلحة الهجومية، كالسيوف، والخناجر، والقسي وغيرها.

وإذا كنا في غير حاجة للتدليل على "دفاعية" هذه "الجُنَن الواقية"، فهل يجوز لنا اعتبارها من قبيل الأسلحة، كما هو الحال بالنسبة للسيوف، والخناجر، والبلط، والرماح، والقسي وما شابه ذلك؟

الحق أنه من خلال استعراضنا لأكثر المصادر التي تناولت الحديث عن السلاح بوجه عام، سواء أكانت هذه المصادر متخصصة في السلاح أم غير ذلك، هذا بالإضافة إلى المصادر اللغوية، والأدبية، قد تبين أن السائد فيها عدُ هذه "الجُنَن" ضمن الأسلحة.

ونذكر تدليلاً لما تقدم، أنه ورد في "كتاب السلاح" لابن سلام (ت ٢٢٤هـ)، اثنان وثلاثون بابًا تناول فيها كل ما يتعلق بالسلاح وأدواته، والقتال وأنواعه، وفيه أبواب تحدث فيها عن: السيوف، والرماح، والقسي، والسهام، والسياط، والعصي وغيرها، وقد خصص في هذا الكتاب بابًا تحت عنوان: "<u>الدروع والبَيْض</u>"، وبابًا آخر تحت عنوان: "<u>أسماء الترس</u>"[2]، أي أنه عد معدات الوقاية من دروع وتروس؛ بمثابة أسلحة شأنها في ذلك شأن السيوف، والرماح، والقسي

---

(١) قد يستخدم البعض أيضًا لفظة "الدرع" للدلالة على "الترس". راجع، Dozy, R., Supplément aux Dictionnaires Arabes, Paris, 1927, Tom Premier, p. 144, Tome Second, p. 41 . ونظرًا للرغبة في عدم حدوث لبس بين الدرع الذي يلبسه المحارب على بدنه، والدرع الذي يحمله في يده، فقد استخدمت للتعبير عن الأداة التي يحملها بالأيدي لفظة "ترس"، خاصة أن المصادر المتخصصة في السلاح يغلب عليها استعمال هذه اللفظة للدلالة على هذه الآلة.

(٢) راجع، ابن سلام، أبي عبيد القاسم، كتاب السلاح، تحقيق، حاتم صالح الضامن، مجلة المورد، ، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م، ص٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٤٠.

وغيرها.

كما أننا نجد في "كتاب السلاح" لابن سِيدَه (ت ٤٥٨هـ)، ذكر مفصل للأسلحة[١] من سيوف، ورماح، وقسي وغيرها، وقد خصص فيه موضوعًا تحت عنوان: "أسماء الدروع وصفاتها"، وموضوعًا آخر تحت عنوان: "التراس"[٢]، وقد زخر هذان القسمان بكثير من الإشارات التي تدل على اعتباره أن "الجُنَن الواقية" من دروع وتروس بأنواعهما المختلفة- تدخل ضمن نطاق الأسلحة، فقد ذكر - على سبيل المثال- أن البصيرة، هي: الدرع، وقيل ما لبس من السلاح فهي بصائر السلاح"[٣]، كما قال: إن القُرْدُمانِيُّ: ضرب من الدروع، وهي "سلاح كانت الأكاسرة تدخره في خزائنها"[٤]، وذكر أيضًا أن المُهَلْهَلَة: "الدروع والجوشن- من السلاح"[٥]. وبالإضافة إلى ذلك فقد أورد في كتابه هذا موضوعًا تحت عنوان: "أصوات السلاح"، أشار فيه إلى أن "القعقعة"، هي: حِكَاية أصوات التِّرَسة ونحوها، وأن "النَّشْنَشَة"، هي: صوت الدروع[٦].

وعلاوة على ما تقدم فنطالع في كتاب "الاعتبار" لابن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، أمر أحد القادة لأتباعه قائلاً: "البسوا سلاحكم"، قاصدًا بذلك لبس الدروع، التي هي من أهم أنواع "الجُنَن الواقية"[٧]، وورد به في موضع آخر عما أُخذ من الفرنج: "وغنم الناس منهم سلاحًا كثيرًا من الزرديات والسيوف والقنطاريات والخوذ

(١) راجع، ابن سيده، أبي الحسن على بن إسماعيل، المخصص، الجزء الثاني، السفر السادس، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص٤٤، ٤٥.

(٢) ابن سيده، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٦، ٤٧.

(٣) ابن سيده، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤.

(٤) ابن سيده، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٥) ابن سيده، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٦) ابن سيده، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.

(٧) راجع، ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي، الاعتبار، تحقيق وتقديم، قاسم السامرائي، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ١٩٨٧م، ص١٢٢، ١٢٣.

والكلسات الزرد"[1]، وبخلاف السيوف والقنطاريات، فجميع ما ذكره من السلاح هنا يُعد من "الجُنَن الواقية".

كما ورد في كتاب "الفروسية" لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي)، سأل عمرو بن معدي كرب[2] (١٠٠ق. هـ - ٢١هـ) يومًا عن السلاح، فسأله عن الرمح، والترس، والنبل، والدرع، والسيف[3]، مما يشير إلى اعتبارهم أن التروس والدروع من السلاح، شأنها في ذلك شأن الرماح، والنبال، والسيوف.

ونطالع في كتاب "التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية" لابن منكلي (ت ٧٧٨هـ)، أن من لوازم الجندي والأمير في الحروب: أن يتخذ عنده من اللباس الواقي وغيره مع القدرة فإن [خرج][4] السلطان لطلب عدو فليستصحب السلاح الخفيف كالزَّرَديات والكبر، والبيض الخفاف"[5]، والزرديات، والكبر، والبيض جميعها من "الجُنَن الواقية" كما سيتبين في الدراسة.

---

(١) ابن منقذ، ص١٦٧. والكلسات: واحدها كلسة: وهي غطاء عظم الساق للفارس. ابن منقذ، ح ٣٦٨.

(٢) أسلم في سنة تسع أو عشر للهجرة. للاستزادة عنه. راجع، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق، خيري سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣م، جـ ٤، ص. ص٢٣٦- ٢٣٨؛ ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله، الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٤٠.

(٣) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، الفروسية، تحقيق، عزت العطار الحسيني، ط ٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٤م، ص١٠٢.

(٤) هنا بياض في الأصل، أعتقد أن مكانه كلمة "خرج"، أو نحو ذلك، وقد أثبت هذه الكلمة حتى يستقيم المعنى للقارئ.

(٥) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية، تحقيق، صادق محمود الجميلي، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م، ص٣٦٥.

كما أنه في كتاب "آثار الأول" للحسن بن عبد الله (ت ٨٠٧هـ) باب كامل خُصص للأسلحة واستعمالاتها في الحرب، تضمن الحديث عن القسي، والسيوف، والتروس، والرماح[١]، مما يدل على اعتباره أن الترس من الأسلحة، كالقوس، والسيف، والرمح.

ومن ناحية أخرى؛ فمن المعروف أن "خزائن السلاح"، التي كانت من مرافق الدولة الأساسية في العصر الفاطمي، وأُطلق عليها في عصري الأيوبيين والمماليك اسم "السلاح خاناه"، أي "بيت السلاح"، كانت تحتوى على أنواع عديدة من الأسلحة الهجومية، كالسيوف، والرماح، والقسي، والمنجنيقات، والدبابيس، والبلط وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى الأسلحة الدفاعية أو "الجُنَن الواقية" بأنواعها المختلفة[٢]، أي أن ما بداخل "السلاح خاناه" من أدوات حربية، سواء أكانت هجومية أم دفاعية "جُنَن واقية"، تندرج تحت باب الأسلحة. وعلاوة على ذلك فيُلحظ أن "السلاح خاناه" كان يُطلق عليها كذلك اسم "الزردخاناه"، أو "بيت الزرد"[٣]، رغم أنها قد تضمنت إلى جانب الزرد -أي الدروع التي تُعد من أهم أنواع "الجُنَن الواقية"- سائر أنواع الأسلحة الأخرى.

وإلى جانب ما تقدم، فقد أقرت كثير من المصادر اللغوية أن "كل عُدة للحرب فهو سلاح"[٤]، وأن "السلاح: اسم جامع لآلة الحرب"[٥]، و"الجنن الواقية" من

---

(١) الحسن بن عبد الله، آثار الأول في ترتيب الدول، بولاق، ١٢٩٥هـ، ص. ص١٥٨- ١٦٣.

(٢) راجع، مؤلف مجهول، خزانة السلاح، تحقيق، نبيل عبد العزيز، مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٥، ٦.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥، ٦.

(٤) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، سلسلة الذخائر، العدد (٩٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، جـ ١، ص٤٥٣.

(٥) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م، مج ٢، ص٥٧٣. ويُستدل أيضا على ذلك بقوله: التُرس من السلاح. ابن منظور، مج ٦، ص٣٨.

دروع وتروس؛ تُعد من عدد وآلات الحرب.

وفي ضوء ما سبق، فيُمكن القول إنه لا غبار على استعمال لفظة "السلاح"، للدلالة على "الجُنَنْ الواقية"، وإن كان يُلاحظ في الوقت ذاته أن النويري (ت ٧٣٣هـ)، أفرد في "نهاية الأَرَبْ" عنوانًا، تناول فيه: "ذكر ما قيل في السلاح وأوصافه"، وقد استهله قائلاً: "والسلاح ما قُتِل به. والجُنَّة اسم لما اتُّقِي به كالدرع والترس ونحوهما"[١]، مما يُفْهم منه اعتباره أن الدروع والتروس ليسا من قبيل الأسلحة كالسيف، والرمح، والقوس -التي تُستخدم في القتل- خاصة أنه ختم حديثه عن هذا الموضوع قائلاً: "هذا شيء مما قيل في السلاح فلنذكر الجنن"، وأفرد لها موضوعًا تحت عنوان "ذكر ما قيل في الجُنَّة"، ذكر فيه أن الجنة: "ما اتُّقِي بها كالترس، والبَيْضَة والدرع"[٢].

وأيًا كان الأمر فاستخدام مصطلح "الأسلحة الدفاعية" للدلالة على "الجُنَن الواقية" أو معدات وقاية الجسم، أمر واقع في أكثر المصادر -كما سبقت الإشارة- كما أنه أمر مسلم به بين كثير من العلماء والباحثين، سواء في مجال التاريخ الحربي الإسلامي، أو في ميدان الفنون الإسلامية، ونذكر -على سبيل المثال- أن أحد المتخصصين في مجال التاريخ الحربي الإسلامي، أفرد في دراسة له، موضوعًا تحت عنوان "أسلحة وقاية الجسم"، عرفها قائلاً: "وهي تلك التي يُمكن تسميتها بالأسلحة الدفاعية، أو التي تُستخدم لوقاية الجسم، وتفادي الإصابة بضربات العدو. وقد جاء استعمالها بعد الأسلحة الهجومية، لأن الدفاعية تأتي للحد من إصابات الأسلحة الهجومية"[٣].

---

(١) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر السادس، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٦م، ص٢٠٠.

(٢) النويري، السفر السادس، ص٢٣٩.

(٣) محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (تركيبه، تنظيمه، أسلحته، بحريته، وأبرز المعارك التي خاضها)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣١٥.

أما فيما يتعلق بميدان الفنون، فقد درج القاسم الأعظم من العلماء والباحثين -المهتمين بمجال الأسلحة الإسلامية- على تقسيم هذه الأسلحة إلى قسمين رئيسين، أسلحة هجومية وأخرى دفاعية(١)، والأسلحة الهجومية تتمثل في السيوف، والخناجر، والرماح، والبَلط، والدبابيس، والقسي، والمنجنيقات. أما الأسلحة الدفاعية، فهي تتمثل في التروس، والدروع، سواء أكانت دروعًا للمحاربين، أم دروعًا للخيل.

ومما يجدر ذكره أنه رغم الواقعية -إلى حد كبير- في تقسيم الأسلحة إلى أسلحة هجومية وأخرى دفاعية، على اعتبار أن الأصل في الأسلحة الهجومية؛ هو استخدامها من قبل الإنسان للهجوم على غريم له، أو على حيوان، أو على طائر مصطاد، وأن الأصل في الأسلحة الدفاعية؛ هو استعمالها بغرض حماية أجسام المحاربين، والخيول في المعارك وغير ذلك -كما سنتبين فيما بعد- فيجب أن نأخذ في عين الاعتبار حتمية تبادل الأدوار بين كلا النوعين من السلاح في بعض الأحيان، وإمكانية هذا التبادل في أحيان أُخر، إذ أن الأسلحة التي تُستعمل في الهجوم تُستعمل كذلك في الدفاع عن النفس، كما أنه ليس هناك ما يمنع أن تُستعمل بعض الأسلحة الدفاعية في الهجوم كذلك، فربما استعمل محارب ترسه في الهجوم على غريم له، خاصة إذا فقد سلاحه الهجومي!

---

(١) قام حسين عليوه في رسالته للدكتوراه بتخصيص باب كاملا لدراسة أسلحة الهجوم المعدنية التي استخدمت في عصر المماليك، وهي السيف، والرمح، والخنجر، والطبر، والدبوس، كما خصص بابًا آخر لدراسة أسلحة الدفاع، وهي الدروع والواقيات الملحقة بها، الخوذة، والترس. راجع له، السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك "دراسة أثرية"، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م، ص و، وانظر أيضًا في الرسالة نفسها، عن أسلحة الهجوم، الباب الثاني، ص. ص٢١١- ٣٠٤، وعن أسلحة الدفاع، الباب الثالث، ص. ص٣٠٥- ٤١٥. وعن تقسيم الأسلحة إلى أسلحة هجومية وأخرى دفاعية، راجع كذلك، ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٧٦، ١٨٦.

على أية حال فقد تمكن الإنسان على مر العصور من ابتكار عديد من أنـواع الأسلحة الهجومية؛ وتفنن في أشكالها، ومواد صناعتها؛ بحيث تضمن لـه أن تؤدي الغرض المنوط منه خير قيام، وفي المقابل فقد كان يحاول جاهدًا العمل على إبطال تأثير هذه الأسلحة، أو على الأقل الحد من خطورتها، فهداه تفكيره إلى استعمال أنواع مختلفة من الأسلحة الدفاعية أو "الجُنَن الواقية"؛ التي يستطيع عن طريقها حماية جسمه من خطورة فتك تلك الأسلحة الهجومية.

وإذا كانت الغلبة في استعمال الأسلحة الدفاعية أو "الجُنَن الواقية"؛ هي حالة الحرب عند لقاء الأعداء، فقد استُعملت على مر التاريخ الإسلامي من قِبَل الإنسان في حالات عدة أخرى، كاستعمالها من قِبَل أفراد حراسة الخلفاء، والسلاطين، والملوك وغيرهم، ولعل الغرض من استعمالها في الحالة الأخيرة -إلى جانب غرض الوقاية- هو إضفاء جو من المهابة على مجالس، ومواكب، واحتفالات هذه الشخصيات المهمة.

كما استعملت الأسلحة الدفاعية كذلك -في بعض الأحيان- من قِبَل أفراد الشرطة وبعض المسئولين؛ الذين كانوا يرتدونها لتفادي أسلحة اللصوص الهجومية(١).

وعلاوة على ذلك فقد استُعملت الأسلحة الدفاعية أيضًا من قِبَل الصيادين، خاصة إذا كان مصطادهم من الحيوانات المفترسة؛ إذ من خلالها يُمكن وقاية أجسامهم إذا ما تعرضوا لهجوم تلك الحيوانات الضارية.

---

(١) حدث ذلك -على سبيل المثال- بدمشق؛ عندما قام مجموعة من اللصوص بالسطو على أحد الأسواق، وكان سلاحهم هو النشاب، وقتلوا به جماعة من العسس، "فركب نائب الغيبة وأتى إليهم لابسًا زردية، ووقع في ترسه نحو ست رميات نشاب". ابن طولون (شمس الدين محمد)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام)، تحقيق: محمد مصطفى، القسم الأول، من سنة ٨٨٤ إلى سنة ٩٢١ هـ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٢٦.

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد وظّفت الأسلحة الدفاعية كذلك كأسلوب من أساليب الحرب النفسية، إذ استُخدمت أحياناً بغرض إظهار قوة الجيش ومنعته، ولإدخال الرعب في قلوب الأعداء أو المنافسين، فيعلموا أنه لا طائل لهم من المقاومة، فيجنحون للسلم أو التسليم(١).

وما قيل بالنسبة لاستعمال الإنسان للأسلحة الدفاعية، فإنه ينطبق كذلك -إلى حد كبير- على الخيول، إذ كان من المألوف بالإضافة إلى تجهيزها بالمعدات الواقية عند الحروب، أن تُجهز بها كذلك أثناء المواكب والاحتفالات التي يشهدها الخلفاء، والسلاطين، والملوك.

إن الأسلحة الدفاعية أو "الجُنَن الواقية" الخاصة بالإنسان؛ تتمثل في كثير من الأدوات والمعدات، فمنها ما يلبسه على بدنه: ويُقصد بذلك الدروع بأنواعها المختلفة. ومنها ما يضعه على رأسه: وهذه تتمثل في الخوذ، وهي على نوعين: فإما تكون بَيْض فقط، أو بَيْض مزودة بتسبيغات أي رفارف، وفي بعض الأحيان يكون تحت البيضة -على الرأس- مغفر. ومنها كذلك ما يحمله بيده: وهي تتمثل في التروس، بأشكالها وأنواعها المتعددة.

أما بالنسبة لجُنَن أو معدات وقاية الخيول، فقد كان من الشائع أن تكون الخيول في الحرب "ملبسة آلة الحرب"، وكان من بين هذه المعدات ما يقي جسم الفرس، أو أجزاء معينة منه، خاصة الوجه، والساقين.

والأسلحة الدفاعية أو "الجُنَن الواقية"، التي يستعملها الإنسان، أو تُجهز بها الخيول؛ كانت تُصنع من أجناس شتى وجواهر مختلفة، مثل: الحديد، والنحاس، والخشب، والجلود، والقرون، والعقب، والشعر، والوبر، والصوف، والقطن،

---

(١) جدير بالذكر أن رسولنا الكريم ﷺ استخدم هذا الأسلوب من أساليب الحرب النفسية يوم دخوله مكة (المكرمة)، راجع، ابن هشام (أبي محمد عبد الملك)، السيرة النبوية، تحقيق، لجنة التحقيق بمؤسسة الهدى، دار التقوى، القاهرة، ١٩٩٩م، جـ ٤، ص٢٦، ٢٧، وسوف نشير إلى ذلك عند تناول الدروع.

والقز، والخز، والإبريسم[1]. وقد أشارت المصادر المتخصصة في شئون الحرب والسلاح إلى مادة صناعة كل نوع من أنواع الجُنَن الواقية[2]، وسنذكر ما يعنينا منها كل في حينه.

وعلى الرغم من شيوع استعمال الأسلحة الدفاعية أو "الجنن الواقية" للمقاتلين والخيول على مر التاريخ الإسلامي، فمما يؤسف له أنه لم يصلنا منها غير نماذج قليلة ترجع إلى أقطار بذاتها ومن عصور بعينها، ولعل أهمها تلك التي وصلتنا من العصر المملوكي[3]،

---

(١) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٣٢٠. ويُؤخذ في عين الاعتبار أن الأسلحة سواء الدفاعية أو الهجومية، كانت تصنع أحياناً من المعادن الثمينة، وترصع بالجواهر، ولكن الغرض منها ليس الأمور الحربية، بل للإهداء إلى كبار القوم في مناسبات معينة، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ نذكر منها أنه عندما ولد للملك "الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي"، مولوده "العزيز غياث الدين"، سنة ٦١١هـ، أمر أن يُصنع له كثير من الأدوات، منها: درعين كان في كل درع أربعين جوهرة كقدر بيض الحمام، مفصلاً بالياقوت البهرمان، وصنع له كذلك بركستوان جميعه من اللؤلؤ كبير الحجم. الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، جـ ٧، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٧٩.

(٢) للاستزادة راجع، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٣٢٠، ٣٢١.

(٣) راجع، عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي، جـ ٢، من عين جالوت إلى رشيد (١٢٦٠- ١٨٠٧م)، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٣، ٣٩؛ ولنفس المؤلف، ملابس الجيش المصري في عهد محمد علي الكبير، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٤٩م، ص١٤؛ حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م، شكل ١٩٦. وبالطبع فالمرجع الرئيس لدراسة ما وصلنا من الأسلحة المملوكية سواء الدفاعية أو الهجومية، هي رسالة "عليوه"، السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك، وعن الدروع التي وصلتنا من العصر المملوكي. أنظر بها، ص٣٠٨، وعن التروس. انظر، اللوحات ١٣٣- ١٣٩، وعن واقيات الساعدين. انظر، اللوحات ٩٥، ٩٦، ٩٨، وعن واقيات الفخذ والركبة. انظر. اللوحتان ٩٩، ١٠٠، وعن واقيات الساق والقدم. انظر، اللوحة ١٠١، وعن واقيات جبهة الفرس، انظر، اللوحة ١٠٢.

والعثماني[1]، والصفوي[2]، بيد أنه من حسن الطالع، فما حوته زخارف الفنون التطبيقية والعمائر الإسلامية منها كثير؛ ولعل أهميتها ترجع إلى كونها تغطي معظم فترات التاريخ الإسلامي، كما أنها نفذت على مواد فنية من أقطار شتى.

ولا شك أنه بدراسة الأسلحة الدفاعية أو "الجُنَن الواقية" المنفذة على الفنون والعمائر الإسلامية؛ سوف تُسد ثغرة ملموسة في ميدان دراسة المعدات الحربية الإسلامية من ناحية، ناهيك عما تشكله من أهمية خاصة بالنسبة لمجال دراسة الفنون الإسلامية من ناحية أخرى.

وقد قسمت الدراسة إلى مبحثين، خصصت المبحث الأول للدروع، وهو يشتمل على فصلين، الفصل الأول، بعوان: أسماء الدروع وصفاتها عبر العصور الإسلامية، وقد استمددت مادته من خلال المصادر المكتوبة. أما الفصل الثاني، فبعنوان: رسوم الدروع على الفنون والعمائر الإسلامية، واستخلصت مادته من خلال رسوم الدروع التي وصلتنا منفذة على الفنون والعمائر الإسلامية.

أما المبحث الثاني، فقد خصصته لدراسة التروس، وهو ينقسم أيضًا إلى فصلين، الفصل الأول بعنوان: أسماء التروس وصفاتها عبر العصور الإسلامية، ومادته مستمدة من خلال المصادر المكتوبة. أما الفصل الثاني، فبعنوان: رسوم التروس على الفنون والعمائر الإسلامية، وقد استخلصت مادته من خلال رسوم التروس المنفذة على الفنون والعمائر الإسلامية.

وعلى الله قصد السبيل

---

(١) راجع، محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٥٢؛ خليفة، ص١٨٦، ١٩٤؛ الباشا، مدخل إلى الآثار، شكل ١٩٧؛ Zigulski, Zdzislaw, Jr., Ottoman Art in the Service of the Empier, New York University, 1992, p. 136, pl. III. 51.

(٢) راجع، أبو الحمد محمود فرغلي، الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص. ص١٩٧– ٢٠٠.

المبحث الأول

الـــــدُروع

الفصل الأول

أسماء الدروع وصفاتها

عبر العصور الإسلامية

عرّف اللسان الدِّرْعُ بأنها: لَبُوسُ الحديد، تُذكَّر وتؤنث، والجمع في القليل: أَدْرُعٌ، وأَدْ ـاعٌ، وفي الكثير دُروعٌ، وتصغير دِرْعِ: دُرَيْعٌ[1]. وقوله إنها: لَبُوسُ الحديد، فيه تجاوز إذ إن لدينا كثير من الدروع كانت تُصنع من الجلد كذلك.

على أية حال فالدروع عبارة عن معدات كانت تُرتدى بشكل رئيس من قبل العسكريين عند المعارك، لوقاية أجسامهم من خطر الأسلحة الهجومية، وعن ذلك يقول الطرسوسي: "الدروع: جُنَّةُ المقاتل وحصنه، عند المباشرة للمحارب والمخاتل[2] وكافيته شفار المناضل، وحاميته من أسنة الرماح، والرافعة عنه شر السلاح في وقت الكفاح، ..."[3].

ولا شك أن للأسلحة بوجه عام أهميتها للمحاربين، غير أن للدروع أهمية خاصة بالنسبة لهم، لذا فقد تميزت بملازمتها لهم، وعدم إمكانية الاستغناء عنها أثناء القتال، وتبدو أهميتها بالنسبة لسائر أنواع الأسلحة الدفاعية الأخرى، بأنه يُمكن للمحارب أن يستغني -مثلاً- عن ترسه، ويكتفي بالدرع الذي يرتديه، كما يتميز الدرع عن الخوذة، بأن الخوذة معرضة للفقد أثناء القتال[4]، وهو ما لا يُمكن بالنسبة للدرع؛ وذلك بحكم ارتداء المحارب له وصعوبة خلعه عنه[5].

ولعل أهمية الدرع بالنسبة للمقاتل، تتبين من وقعة حدثت لعنترة بن شداد

---

(١) ابن منظور، مج ٨، ص٩٦، ٩٧.

(٢) التَّخَاتُل: التَّخَادُع، ويُقال للصائد إذا استتر بشيء ليَرْمِيَ الصيد دَرَى وخَتَل للصيد. ابن منظور، مج ١١، ص٢٣٩.

(٣) الطرسوسي، مرضي بن علي، موسوعة الأسلحة القديمة، الموسوم: تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأنواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق، كارين صادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٥١.

(٤) عن مثل ذلك راجع، الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م، مج ٣، ص٧٢، ٧٣.

(٥) حسين عليوه، السلاح المعدني، ص٣٣٨.

(؟- ٢٢ق. هـ)، حين تعرضت إبل كان يرعاها لإغارة قوم، فقاتلهم حتى كُسر رمحا؛ غير أنه لم يقو عليهم، وطردوا إبله وذهبوا بها، فالتمس العذر في غلبتهم عليه، إذ كان حاسرًا لا درع له، فقال[١]:

فَلَوْ لاقَيْتَني وَعَليّ دِرْعي، عَلِمْتَ عَلامَ تُحْمَلُ الدَّرُوعُ

والمعنى: لو لاقيتني وقد لبست درعي، لمنعتك من الغارة على إبلي، ولعلمت أن لابس الدرع لا يُهضم ولا يُدرك منه مطلوب.

إن المرء حين يتأمل أكثر المصادر والمراجع المتخصصة في السلاح والتي تعرضت للدروع، قد يتراءى له بأن ما ذكرته كاف لما ينبغي معرفته عنها، غير أنه قد تبين لي أن ما في هذه المصادر لا يُمثل إلا قدرًا بسيطًا مما يجب أن نعرفه عن هذه الدروع! إذ يُلحظ أن ما ورد ذكره عنها في هذه المصادر والمراجع؛ هو مجرد رصد لأهم أسمائها وصِفاتها، وقد يُزاد فيُعرَّف قليل منها، في كلمة أو فقرة على أحسن الأحوال.

وأهم مصدر من هذه المصادر "كتاب السلاح" لابن سيدة، وقد رصد لنا واحد وثلاثين إسمًا وصفة للدروع[٢]، ويليه ما خصصه النويرى عن السلاح في كتابه "نهاية الأرب"، حيث رصد منها خمسة وعشرين إسمًا وصفة، وإن كان ذكر أنها أسماء لها[٣]، والأوقع أنها أسماء وصفات.

وعلاوة على هذين المصدرين، فقد رصد "نبيل محمد عبد العزيز" في دراسته التي قدم بها لكتاب "خزانة السلاح" خمسة وأربعين إسمًا وصفة للدروع، وذكر أيضًا -كالنويري- أنها أسماء للدروع، وهي أسماء وصفات كذلك[٤].

---

(١) ديوان عنترة، ص٦٦.

(٢) انظر ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) النويري، السفر السادس، ص٢٤١، ٢٤٢.

(٤) لعل ذكر النويري، ونبيل عبد العزيز أنها أسماء للدروع؛ يرجع إلى أن صفات الدروع أصبحت أسماء لها.

ومما لا شك فيه أن مجرد عمل رصد أو حصر لأسماء الدروع وصفاتها هو في حد ذاته عمل مهم، غير أن الأكثر أهمية هو أن نلم بمعلومات عن هذه الأسماء والصفات، ولكن من أين لنا أن نستقي هذه المعلومات وقد ضنت بها علينا المصادر المتخصصة في السلاح؟!

كان من الطبيعي لباحث في مجال الحضارة والآثار الإسلامية أن يُيمم وجهه شطر المصادر التاريخية، لعله يخرج منها بما قد يسهم في التعرف بشيء من التفصيل عن أسماء هذه الدروع وصفاتها، غير أن النتيجة المتوقعة، أن هذه المصادر لا تقدم شيئًا ذا أهمية عن ذلك الأمر.

فاستدعت الذاكرة الشعراء الفوارس الأقدمين الذين كانوا يفخرون دائمًا بصولاتهم وجولاتهم في ساحات الوغى، وقد تضمنت قصائدهم مختلف أنواع الأسلحة التي كانوا يستعملونها، فوجدت في أشعارهم من المعلومات عن أسماء الدروع وصفاتها، ما يفوق التوقع!

وأعتقد أن أكثر الباحثين تخصصًا في ميدان الأسلحة، سيدهشون ليس من قدر المعلومات التي أضافها لنا الشعر عن أسماء الدروع وصفاتها فحسب، بل ولما زودنا به هذا الشعر من أسماء أخرى للدروع وصفاتها، وهي لم ترد لا في المصادر ولا في المراجع المتخصصة في السلاح.

على أية حال، فسوف أتناول أهم ما وقفت عليه من أسماء الدروع وصفاتها، متتبعها فيما تيسر من المصادر -خاصة الشعرية- مع الأخذ في عين الاعتبار، أن الشاعر قد يُشير في بيت واحد إلى عدة أسماء أو صفات للدرع، مما يستلزم تكرار هذا البيت عند تناول كل إسم أو صفة، وهو أمر مهم لتتبع وجود ذاك الإسم أو هذه الصفة في الفترات الزمنية المختلفة، آخذين في عين الاعتبار أننا لا نقوم بمجرد حصر أو سرد لأسماء الدروع وصفاتها، بل هي دراسة متكاملة لها. وأهم ما وقفت عليه من أسماء الدروع وصفاتها، هي:

١- البَتْراءُ:

الدرع البتراء[1]: هي الدرع القصيرة التي تُصنع بلا أكمام، وتصل في طولها الى أسفل الركبة او فوقها بقليل، ومن ميزات هذه الدرع أنها كانت توفر للمحارب حرية في الحركة أكثر من الدروع السابغة -أي الطويلة الفضفاضة- وإن كانت لا توفر له الحماية التي توفرها الدرع السابغة[2]. جدير بالذكر أنه كانت للرسول ﷺ عدة دروع منها درع اسمها "البتراء"، وعن ذلك يقول ابن منظور: كان لرسول الله ﷺ ع يقال لها البَتْراءُ، سُميت بذلك لقصرها[3].

٢- البَدَنُ:

قيل إنه الدرع ما كانت[4]، وقال ابن منظور: البَدَنُ: شبه دِرْع إلا أنه قصير[5] قدر ما يكون على الجسد فقط قصير الكُمَّينِ، وإن كان في الوقت نفسه لم ينف القول بأن: البدن: هي الدروع عامة، وأنه بذلك فسر البعض قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾[6]؛ أي: بِدِرْعِك، وذلك أنهم شكُّوا في غَرَقِه -أي غرق فرعون

---

(١) الأصل في الشيء الأبتر: هو المقطوع الذَّنَب. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، جـ ١، ص٤٩٤.

(٢) بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، معرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ، ص٣٤.

(٣) ابن منظور، مج ٤، ص٤٣.

(٤) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤.

(٥) كما أشار الرازي، إلى أن البدن: الدرع القصيرة. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٧م، ص٤٤.

(٦) سورة يونس: الآية ٩٢. وعن تفسير هذه الآية. راجع ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، مركز الحرمين التجاري بمكة، دار الغد العربي بالقاهرة، د. ت، جـ ٢، ص٤٤١.

موسى- فأمرَ الله (سبحانه) البحرَ أن يَقذِفَه على دَكَّةٍ في البحر بدِرْعِه، فاستيقنوا حينئذٍ أنه قد غَرِقَ. وأستشهد ابن منظور مدللاً على أن البَدَن: هي الدرع عامة، بما ورد في حديث علي ﷺ: لما خطب فاطمة ﷺ، قيل ما عندك؟ قال: فرَسي وبَدَني؛ البدن: الدرع من الزرد(١).

على أية حال، فقد كان البدن محل إشارة من بعض شعراء العرب الفوارس، وسوف يتبين من خلال قول بعضهم أنه لا مجال للشك أن البدن: هي الدروع عامة، إذ منهم من وصفها بأنها سابغة، أي طويلة فضفاضة، وهو ما ينتفي معه كونها الدرع القصيرة.

وقد ورد ذكر البدن في قول عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ق. هـ)(٢):

أَخَذْنَ عَلَى فَوارِسِهِنَّ عَهْدًا   إذا لاقَوْا فَوَارِسَ مُعْلَمِينَا(٣)

لَيَسْتَلِبُنَّ أبدانًا وبَيْضًا   وأسْرى في الحَديد مُقَرَّنِينا(٤)

كان الشاعر قبل هذا البيت قد أشار إلى اصطحابهم نسائهم في الحروب(٥)، وهنا يقول: إنهن -أي هؤلاء النساء- عاهدن فوارسهن -في رواية أخرى

(١) ابن منظور، مج ١٣، ص٥٧، ٥٨.

(٢) شعراء تغلب في الجاهلية، أخبارهم وأشعارهم، جـ ٢، الديوان، صنعة، علي أبو زيد، السلسلة التراثية (١٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠م، ص٨١. ووردت هذه الأبيات في ديوان عمرو بن كلثوم مع قراءة مختلفة لبعض الكلمات. انظر ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص٦٨. وعن عمرو بن كلثوم. انظر، ابن قتيبة، ص١٤١.

(٣) في الديوان، "فَوارِسهنّ" وردت "بُعُولَتِهِنّ". "فَوَارِسَ" وردت "كَتَائِبَ".

(٤) في الديوان، "وبَيْضًا" وردت "وَبِيضًا". "أبدانًا" وردت "أفْراسا".

(٥) هي عادة معروفة عند العرب، حيث كانوا يصطحبون نساءهم خلف جيوشهم ليُقاتل الرجال ذبًا عن حرمها فلا تفشل مخافة العار بسبي الحرم. للاستزادة راجع، عبد الناصر ياسين،وسائل السفر عند المسلمين (تاريخها وآثارها) دراسة عن الهودج وشاكلاته في ضوء المصادر المكتوبة والأثرية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٥م، القسم الأول، ص٣٣، ٣٤.

يُعوِلَتِهِنَّ- إذا قاتلوا فوارس من الأعداء قد علّمُوا أنفسهم بعلامات يُعرفون بها في الحروب أن يثبتوا في حموة القتال ولا يفرّوا، ويستلبن منهم دروعهم وخوذهم وأسرى منهم قد قُرنوا في الحديد.

كما ورد ذكر البدن في قول علقمة بن عبدة (؟- ٢٠ق. هـ) [1]:

تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ الحديدِ عليهمُ   كما خَشْخَشَتْ يُبْسَ الحِصَادِ جَنُوبُ [2]

قال المحقق: الخشخشة: صوت الثوب الجديد إذا لُبس. البدن: الدرع من الزرد [3]، والمعنى: إن لدروعهم أصواتًا -خشخشة- تُشبه أصوات الحصاد اليابس، حين تحركه ريح الجنوب.

وورد ذكر البدن في قول أمية بن أبي الصلت (؟- ٥هـ) [4]:

ويلاق قِرْنٌ قِرْنَــهُ   مَشْيَ المُصافِحِ للمصافِح

بزُهاءِ أَلْفٍ ثمّ أَلْفٍ   بين ذي بَـدنٍ ورامِـح

وقوله: وبين ذي بدن ورامح: أي بين لابس الدرع، وضارب بالرمح.

كما نجد ذكر البدن في قول عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ- ١١هـ) [5]:

عَلَيْهِمُ البَيضُ والأَبدانُ سَابِغَةً   يُقَحِّمُونَ كأَنَّ القَوْمَ في رَهَجِ

---

(١) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، المفضليات، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ديوان العرب (١)، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، د. ت، ص٣٩٥. وعن علقمة بن عبدة. انظر، ابن قتيبة، ص١٣٠.

(٢) الجنوب: من الرياح حارة، وهي ريح تُخالف الشمال تأتي عن يمين القبلة.

(٣) المفضليات، ح ٣٣، ص٣٩٥.

(٤) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه، سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٧. وعن أمية بن أبي الصلت. انظر، ابن قتيبة، ص٣٠٥.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣٦. وعن عامر بن الطفيل. انظر، ابن قتيبة، ص٢١٢.

أي: وعليهم خوذ، ودروع طويلة فضفاضة، يَحْمِلُونَها على دُخُولِ الرهج واقتحام القوم. ويُلحظ أنه وصف الأبدان بأنها سابغة، مما يدل على أن هذه الأبدان لم تكن قصيرة.

وجاء ذكر البدن أيضًا في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[١]:

أعاذِلَ، شِكَّتي بَدَني ورُمْحِي   وكل مُقَلِّصٍ سَلِس القِيادِ[٢]

أي: واعلم أيها العاذل إنما سلاحي عند اللقاء، درع ألبسه، ورمح أحمله، وفرس جيد، متمرس على القتال.

وقال كذلك[٣]:

أعددتُ للحَدَثانِ سا   بِغةً وعَـدّاءً عَلَنْـدى
نَهْدًا وذا شُطَبٍ يَقُــدُّ البَيْضَ والأبدانَ قَدَّا

ويقول في البيت الأول: لقد هيأتُ لنوائب الدهر -أي لدفعها- درعا سابغة، وفرسًا ضخمًا جيّد العَدْو كثيرَه. ويقول في البيت الثاني: أعددت فرسًا غليظًا، وسيفًا ذا شطب: أي ذا طرائق. يقد: أي يقطع طولا، الخوذ، والدروع.

وقال أيضًا[٤]:

وَسَعَتْ نساؤهُمُ بكلِّ مُفاضَةٍ   جَدْلاءَ سابغةٍ وبالأبدانِ

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، جمعه ونسقه، مطاع الطرابيشي، مكتبة المؤيد، الرياض، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ٣، ١٩٩٤م، ص١٠٦؛ ابن موسى، أبي عبيد الله محمد بن عمران، معجم الشعراء، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد ٩٣، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٦.

(٢) كلمة "شكتي" وردت في رواية أخرى "عدتي". انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٤، ص٢٣٨. والشِّكَّة: السلاح. فرس مقلص: طويل القوائم مُنضمّ البطن.

(٣) ديوان عمر بن معدي كرب، ص٨٠.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٧٣.

والأبدان: جمع بدن، وهي الدروع، وإن كان محقق الديوان ذكر: هي الدروع القصيرة[1]، أما المفاضة، والجدلاء، والسابغة: فهي أسماء وصفات للدروع كل سنشير إليه في حينه.

كما ورد ذكر البدن في قصيدة نظمها ضرار بن الخطاب الفهري (؟- ١٣هـ) يوم الخندق (٥هـ) -كان حينئذ لم يزل مشركًا- حيث قال[2]:

تَرَى الأبدانَ فيها مُسْبَغاتٍ على الأبطالِ واليَلَبَ الحَصِينا[3]

أي: وتُشاهد هؤلاء الأبطال لابسين دروعًا طويلاً فضفاضة، وكذا دروعًا أخرى حصينة من الجلد.

وجاء ذكر البدن في قول شاعر من هوازن حين مسيرهم إلى الرسول ﷺ يوم حنين (٨هـ)، وذلك في قوله[4]:

حتى لقُوا الناس حين البأس يقدُمهم عليهم البَيض والأبدان والدرق

أي: ويضعون على رؤوسهم خوذًا، ويلبسون على أبدانهم دروعًا، ويحملون في أياديهم درقًا.

وورد ذكر البدن كذلك في قول كعب بن زهير (؟- ٢٦هـ)[5]:

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ح ٢٠، ١٧٣.

(٢) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، جمعه وحققه وشرحه، فاروق أسيلم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص٩٠؛ ابن هشام، جـ ٣، ص١٥٤. وعن ضرار بن الخطاب، انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٣، ص٤٨.

(٣) اليلب: نوع من الدروع والدرق، سنتناوله بالتفصيل في موضعه.

(٤) ابن هشام، جـ ٤، ص٧٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه، أحمد أبو ملحم، وعلى نجيب عطوي، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٩٨م، مج ٢، جـ ٤، ص٣٣٣.

(٥) ديوان كعب بن زهير، قرأه، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م، ص١٨. وعن كُعب بن زهير. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٤، ص. ص٤١٤- ٤١٦؛ ابن قتيبة، ص٨٤، ٨٥.

ويَصولُ بالأبدانِ كل مُسَفَّرٍ　　　مثلِ الشّهابِ إذا توقّدَ بالغضا

ويصول بالأبدان: أي يصول بالدروع. والمسفّر: الذي يفد على الملوك ويصلح بين القبائل بسفارته. الغضا: شجر عظيم، خشبه من أصلب الخشب، وهو حسن النار ويبقى جمره طويلاً.

وورد ذكر البدن في قصيدة نظمها كعب بن مالك (؟- ٥٠هـ) على مجلس الأنصار في مسجد النبي ﷺ لما قُتل عثمان بن عفان ﷺ (٣٥هـ)، حيث قال[١]:

فَمَنَعْتُمُوهُ أو قُتِلْتُمْ حَوْلَهُ　　　مُتَلَبّبينَ البيضَ والأبْدانَا

أي: وكان ينبغي عليكم أن تحموه – يقصد سيدنا عثمان ﷺ - أو تُقتلون دفاعًا عنه وأنتم متلببين البِيض، لابسين الدروع.

٣- البصيرة:

تُطلق على مختلف ما يُلبس من أسلحة دفاعية أو جنن واقية، كالدرع[٢] والترس[٣]، قال ابن منظور: البصيرة: الدرع، وكل ما لُبِسَ جُنَّةً بصِيرةٌ. والبصيرة: الترس، وكل ما لُبس من السلاح فهو بصائر السلاح[٤]، وقال الزمخشري ورأيت عليك ذات البصائر –أي الدروع- وأنشد للكميت (٦٠-١٢٦هـ)[٥]:

ورَأَوْا عليكَ ومنكَ في الـ　　　ـمَهْدِ النُّهَى ذاتَ البَصائرْ

---

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق وشرح، مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٩٩. وعن كعب بن مالك. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٤، ص٤٢٥، ٤٢٦.

(٢) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤.

(٣) انظر، الفيروز آبادي، جـ ١، ص٥٠٢.

(٤) ابن منظور، مج ٤، ص٧٨.

(٥) الزمخشري، جـ ١، ص٤٩.

وبخلاف ما تقدم، فلم أقف على ذكر للبصائر، وإن كان لكعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يوم أحد (٣هـ) قصيدة منها[1]:

ومَنْجُوفةٌ حِرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ ... يُذَرُّ عليها السمُّ ساعةَ تُصنَعُ[2]

تَصُوبُ بأبْدَانِ الرِّجَالِ وتَارَةً ... تَمرُّ بأعراضِ البِصَارِ تَقَعْقَعُ

ويُشير الشاعر في البيت الأول إلى السهام، ويقول في البيت الثاني، إنها تارة تقع بأبدان الرجال، وتارة أخرى تمر بأعراض البصار، فتُحدث صوتًا. قال محقق الديوان: البصار جمع بصرة وهي الحجارة، أو جمع بصيرة وهي الدروع أو الترس[3]، ورأى أنه لا محل لكونها الحجارة، وأميل إلى أن القصد بها بصائر السلاح، دروع أو تروس، وربما كانت تعني التروس تحديدًا، إذا كانت الأبدان إشارة إلى الدروع. فيصير المعنى: وتقع هذه السهام تارة على دروع المحاربين، وتمر تارة أخرى بأعراض تروسهم، فيُسمع قعقعتها!

٤- البيضاء:

تُوصف الكتائب بكثير من الصفات المستمدة من لون حديدها، فيقال: كتيبة شهباء، وكتيبة جأواء، وكَتِيبةٌ بَيْضاء: والأخيرة هذه هي التي عليها بَياضُ الحديد[4]، أي ترتدي دروعًا من حديد أبيض، ربما لأنه من جيد الحديد وخالصه، أو كما قيل: هي الدروع التي لم يعلها الصدأ[5].

---

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٦١.

(٢) المنجوفة: السهام المثقّفة. حرميّة: نسبة إلى حرم مكّة. صاعدية: نسبة إلى صاعد صانع سهام معروف وقيل: نسبة إلى صعدة وهي قرية باليمن. يُذر: يُنثر، يُرش.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ح ٤، ص٦١.

(٤) ابن منظور، مج ٧، ص١٣٧.

(٥) ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م، ح ١٤، ص٩٦.

وقد ورد ذكر الدروع البيضاء في قول أوس بن حجر (٩٥- ٢ق. هـ)[١]:

وَبَيْضَاءِ زَغْفٍ نَثْلَةٍ سُلَمِيَّةٍ لَهَا رَفْرَفٌ فَوْقَ الأنامـلِ مُرْسَـلُ
وَأَشْبَرَنِيهِ الهالِكيُّ كَأَنَّـه غَديرٌ جَرَتْ في مَتْنِهِ الرِّيحُ سلسلُ

والمعنى في البيت الأول: لقد كانت هذه الدرع بيضاء: أي من حديد خالص أو لا يعلوها الصدأ. زغفة: أي لينة. نثلة: أي واسعة فضفاضة. سلمية: منسوبة إلى سليمان بن داوود. ولها رفرف: أي طويلة سابغة، تفضل على لابسها حتى تقع على أنامله. أما في البيت الثاني فيقول: لقد أعطى لي هذه الدرع الحداد، التي بدت متلألئة كأنها غدير ضرب الريح متنه فصار كالسلسلة.

كما قال كذلك[٢]:

سَرابيلُنا في الرَّوْعِ بيضٌ كأنّها أضَا اللُّوبِ هَزّتْها من الريّح شمأل[٣]

والسرابيل -كما سيمر بنا- هي الدروع، والمعنى: ونلبس عند القتال دروعًا بيضاء، تبدو كمياه مجمعة في أرض ذات حجارة سود، تهزهها ريح الشمال.

كما ورد ذكر الدروع البيضاء في قول ثعلبة بن عمرو العيدي (؟- ؟) يصف درعًا[٤]:

بِبَيْضَاءَ مِثْلِ النِّهْيِ رِيحَ ومَدَّهُ شَابِيبُ غَيْثٍ يَحْفِشُ الأُكْمَ صَائِفُ[٥]

والمعنى: وأُجيب من استغاث لابسًا درعًا، بيضاء، تُشبه مياه الغدير، حين تصيبه الريح -حيث يكون صافيًا- وتسقط عليه دفعات المطر، ولعل المقصود من

---

(١) ديوان أوس بن حجر، ص٩٦.
(٢) ديوان عامر بن الطفيل، ص٩٠. ولم أقع على هذا البيت في ديوان أوس.
(٣) الأضاة: المستنقع من سيل وغيره. اللوب: الأرض التي قد ألبستها حجارة سود.
(٤) المفضليات، ص٢٨٢.
(٥) النهى: الغدير. الشآبيب: ج شؤبوب، وهو الدفعة من المطر. يحفش: يقشر. الأكم: ج أكمة. صائف: في الصيف.

المعنى الأخير تشابه ما يحدث من دوائر بالماء مع المطر، بحلقات الدروع المزردة[1].

كما ورد ذكر الدروع البيضاء في قول زهير بن أبي سُلمَى (؟- ١٣ق. هـ) بقصيدة يذكر فيها ملامح من قوة جيش، وبعد إشارته إلى خيول حربها، يقول[2]:

عَلَيها أُسودٌ ضارِياتٌ لَبُوسُهُمْ   سَوابِغُ بِيضٌ لا تُخَرِّقُها النَّبْلُ

أي: ويمتطي صهوة هذه الخيول فرسان كالأسود الضارية، يلبسون دروعًا سابغة بيضاء -صقيلة لا تصدأ- منيعة لا تتمكن السهام من اختراقها.

ونجد ذكر الدروع البيضاء في قول الأعشى (؟- ٧هـ)[3]:

وَبَيْضَاءِ كَالنِّهْيِ مَوْضُونَةً   لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ البَدَنْ

والشاعر هنا يقول: ودرع بيضاء تترقرق كأنها ماء الغدير، قد نُسجت حلقتين حلقتين، واتصل بآخرها غطاء للرأس.

كما أنه يصف جيشًا ويقول عن دروع مقاتليه[4]:

سَوَابِغُهمْ بِيضٌ خِفَافٌ وَفَوقَهُمْ   مِنَ الْبِيضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتِ

أي: وكانت دروعهم فضفاضة طويلة تغطي جسدهم، وهي دروع بيضاء،

---

(١) جدير بالذكر أن كثيرًا من الشعراء قد درجوا على تشبيه الدروع بمياه الغدران وهي تصفقها الرياح، وفي المقابل نجد بعض الشعراء يشبهون الغدران -وهي تصفقها الرياح- بالدروع، قال ابن المعتز: فإذا الغُدرانُ بالرّيحِ أحَسّتْ، * خِلتَها يُلقى عليهنّ الدّروع. ديوان ابن المعتز، شرح وتقديم، ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩م، ص٢٧٠. ويُشبه ظافر الحداد ما تُحدثه الرياح في المياه بحلقات الدروع، ويقول: والماءُ تكسوه أنفاسُ الصَّبا زَرَدًا * مقدّرا فيه مَسْرود ومنفصِم. ديوان ظافر الحداد، ص٢٨٢.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٦٠.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص٧٥.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص٣١١.

وخفيفة، لا تعوق حركتهم، وفوق رؤوسهم بِيض -خوذات- لها بريق يلمع فتبدو كالنجوم.

وورد ذكر الدروع البيضاء في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[(١)]:

صَبَحتُهُمُ بيضاء يَبرُقُ بَيْضُها   إذا نظرتْ فيها العيونُ ازْمَهَرَّتِ

والمعنى في الشطر الأول: صبحتهم: أي جئتهم بالكتيبة صباحًا. بيضاء: يريد كتيبة بيضاء عليها بياض الحديد. والأصل: ببيضاء؛ حَذَف حرف الجرّ فَنَصَب ما بعده. يبرق بيضها: أي تلمع خوذها. أما في الشطر الثاني، فيقو[illegible]ا نظرت العيون إلى هذه الكتيبة، احمرت.

كما قال أيضًا[(٢)]:

وكلِّ مُفاضَةٍ بيضاءَ زَغْفٍ   وكُلِّ مُعاوِدِ الغارات يَخْدِي

أي: وكل درع واسعة بيضاء لينة، وكل فرس معاود الغارات يُسرع.

كما ورد ذكر الدروع البيض في قول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟ -؟)[(٣)]:

ونَسْجُ دَاوُدَ مِنْ بِيضٍ مُضاعَفَةٍ   مِن عَهْدِ عَادٍ وبَعْدَ الحَيِّ مِنْ إِرَمِ

ونسج داود: أي دروع جيدة محكمة النسج، تُنسب إلى داود (عليه السلام) الذي اشتهر بعمل الدروع المحكمة. من بيض: أي من حديد أبيض. مضاعفة: أي منسوجة حلقتين حلقتين. من عهد عاد ... وإرم: كناية عن قدمها.

كما ورد ذكر الدروع البيض في قول لبيد بن ربيعة (؟- ٤١هـ)[(١)]:

---

(١) ديوان عمر بن معدي كرب، ص٧٠.

(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٩٥.

(٣) ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ١٩٩٥م، ص٢٧٩.

وجَوَارِن بيضٍ وكلُّ طِمِرَّةٍ   يَغْدُو عَلَيْها القَرَّتَيْن، غُلامُ[2]

والجوارن -كما سيمر بنا- هي الدروع، جمع: جارنة، وبيض صفتها.

وأورد ابن هشام مما قيل من الشعر يوم أحد (٣هـ)، قول هبيرة بن أبي وهب -أحد كفار قريش- وقد وصف فيه سلاحه، وعن درعه يقول[3]:

هذا وبيضاء مثل النُهي محكمة   نيطت عليَّ فما تبدو مساويها[4]

وبيضاء مثل النهي، أي درع بيضاء تُشبه مياه الغدير الصافية، محكمة: أي متقنة متينة الصنع، ....

ولكعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) قصيدة يوم الخندق (٥هـ) وصف فيها دروع المسلمين بأوصاف عدة منها أنها بيضاء، حيث قال[5]:

بَيْضَاء مُحْكَمَةٍ كأنَّ قتيرَهَا   حَدَقُ الجَنَادِبِ ذَاتُ شَكٍّ مُوثَقِ

والجنادب: جمع جندب، وهي الجراد[6]، فالشاعر في هذا البيت يُشبه قتير- أي رؤوس مسامير- هذه الدروع البيضاء بعيون الجراد، وهو شيء متواتر في كثير من الأشعار التي بين يدينا[7].

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د. ت، ص١٦٠؛ ابن منظور، مج ١٣، ص١٠٣. وعن لبيد ابن ربيعة. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٤، ص. ص٤٤٥- ٤٤٧؛ ابن قتيبة، ص٧١

(٢) الطمرة: الفرس المشرفة. القرتين: الغداة والعشي.

(٣) ابن هشام، جـ ٣، ص٦٩.

(٤) نيطت: أي علقت.

(٥) ابن هشام، جـ ٣، ص١٥٨؛ وانظر ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٧٦.

(٦) الفيروز آبادي، جـ ١، ص١٣٨.

(٧) تشبيه رؤوس مسامير الدروع بعيون الجراد تكرر لدى كثير من الشعراء، نذكر من ذلك مثلاً قول الأبيوردي: تَخالُهُمْ أراقِمَ في دُروعٍ * تُحَدِّقُ مِنْ مَطاويها الجَرادُ. ديوان الأبيوردي، تحقيق، عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، جـ ١، ص٥٢٠

كما أن لعباس بن مرداس (؟- ١٨هـ) يوم حنين (٨هـ) قصيدة، ذكر فيها المسلمين واصفًا دروعهم ويقول[١]:

مِن كُلِّ أغلَبَ مِن سُلَيم فوقَهُ   بَيضاءُ مُحكَمَةُ الدِخال وَقَونَسُ[٢]

وقوله: فوقه بيضاء محكمة الدخال: أي لابسًا درعًا بيضاء محكمة النسج، أما القونس: فيقصد بها البيضة أي الخوذة.

ونجد ذكر الدروع البيض في قصيدة كعب بن زهير (؟- ٢٦هـ) المشهورة التي مدح فيها رسول الله ﷺ، والتي يقول فيها[٣]:

شُمُّ العَرانينِ أبطالٌ لَبوسُهُمُ   من نسجِ داودَ في الهَيجا سَرابيلُ[٤]
بِيضٌ سَوابغُ قد شُكَّتْ لَها حَلَقٌ   كأنّها حَلَقُ القَفْعاءِ مَجدولُ[٥]
يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُّهرِ يَعصِمُهُمْ   ضربٌ إذا عرّدَ السّودُ التَنابيلُ[٦]

وهو في البيت الأول يُشير إلى عزة وكرامة المسلمين، ويذكر دروعهم، ويقول في البيت الثاني: إن دروعهم هذه كانت بيضاء سابغة، ويُشبه حلق هذه الدروع بحلق نبت القفعاء الذي يُشبه الخواتم. أما في البيت الأخير، فيقول: وهم يمشون في هذه الدروع كأنهم الجمال البيض، يمنعهم ضرب إذا فر السود

(١) ابن هشام، جـ ٤، ص٦٩. أسلم هذا الصحابي قبل فتح مكة بيسير. للاستزادة عنه انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٣، ص١٥٥- ١٥٧؛ ابن قتيبة، ص١٨٨.

(٢) الدخال: أي النسج. القونس. أعلى الخوذة.

(٣) ديوان كعب بن زهير، ص٩١، ابن هشام، جـ ٤، ص٩٥؛ القرشي، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، ص٢٨٧؛ الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٥٣.

(٤) شم العرانين: الشمم حدة في طرف الأنف مع تشمير. العرانين. الأنوف. كناية عن العزة والكرم.

(٥) القفعاء: نبات ينبسط على وجه الأرض، له حلق كالخواتم.

(٦) الزهر: البيض. يعصمهم: يمنعهم. عرّد. فرّ. التنابيل: مفردها تنبال وهو القصير.

القصار.

وقال في قصيدة أخرى[1]:

وبيضٍ من النسيجِ القديمِ كأنها نِهاءٌ بقاعٍ ماؤهــا مُترايــعُ
تُصَفِّقُها هوجُ الرياحِ إذا ضَفَتْ وتَعقُبُها الأمطارُ فالماء راجعُ

وفي أول هذين البيتين يُشير الشاعر إلى أن هذه الدرع بيضاء، ويُشبهها في صفائها بماء الغدير المتزايد، وفي البيت الثاني يُواصل تشبيهها بما تُحدثه الرياح والأمطار في مياه الغدير.

٥- التُّبَّعِيَّةُ:

دروع تُنسب إلى تُبَّع، قال ابن منظور: "التَّبابعة ملوك اليمن، واحدهم تُبَّــعٍ، سموا بذلك لأنه يَتْبَع بعضهم بعضًا كلما هلك واحد قام مَقامه آخر تابعًا له علــى مثل سِيرته، وزادوا الهاء في التبابعة لإرادة النسب؛ وأنشد بيــت لأبــي ذؤيــب الهذلي (؟- ٢٧هـــ) يذكر فيه الدروع:

وعلَيهما ماذِيَّتانِ قَضاهُما داوُدُ، أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

وشرحه وقال: لقد "سَمِعَ أن داودَ، على نبينا وعليه الصلاة والســلام، كــان سُخِّر له الحديدُ فكان يَصنَع منه ما أَراد، وسَمِعَ أَنَّ تُبَّعًا عَمِلَها وكان تُبــع أَمَــر بعملها ولم يَصنَعها بيده لأنه كان أعظمَ شأنًا من أن يصنع بيده"[2]، وخلاصة الأمر أن العرب كانوا ينسبون الدروع المحكمة الصنع إلــى داود، أو إلــى تبــع ملــك حمير[3].

جدير بالذكر أن بيت أبي ذؤيب سابق الذكر، ورد برواية أُخرى، تقرأ[4]:

---

(١) ديوان كعب بن زهير، ص١٣٢.

(٢) ابن منظور، مج ٨، ص٣٦.

(٣) القرشي، ح ٩، ص٢٤٧.

(٤) المفضليات، ص٤٢٨.

وعليهما مَسْرُدَتانِ قَضَاهُما دَاوُودُ أو صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ

و"ماذِيَّانِ" في القراءة الأولى، أو "مَسْرُدَتانِ" في القراءة الثانية: إشارة إلى الدروع كما سيتبين عند تناول الماذية، والمسردة.

على أية حال فكما سبقت الإشارة فقد وصلتنا الإشارة إلى الدروع التبعية في كثير من الأشعار، من ذلك قول امرئ القيس (١٣٠- ٨٠ق. هـ)[1]:

ومَسْفُوحةً فضفاضةً تُبَّعِيَّةً وأبيضَ قضَّابًا أحدَّ كَفاني

أي: ودرع مسفوحة: واسعة. فضفاضة، كريمة تُنسب إلى تبع، وسيف لطيف دقيق ....

كما ورد ذكر الدروع التبعية في قول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)[2]:

وكلّ صَمُوتٍ نَثْلةٍ تُبَّعِيَّةٍ، ونَسجُ سُلَيْمٍ كلَّ قَضَّاءَ ذائلِ

والصموت، والنثلة، والقضاء، والذائل، جميعها صفات وأسماء للدروع،

---

(١) ديوان امرئ القيس، وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري المتوفى سنة ٢٧٥هـ، دراسة وتحقيق، أنور عليان أبو سويلم، محمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠٠م، مج ٢، ص٧٤٥. جدير بالذكر أنه وصلتنا إشارة تُفيد أن امرأ القيس كان يملك في وقت من الأوقات مائة درع، أودعها لدى السموأل، حين خرج إلى قيصر يستنجده على بني أسد بن خزيمة، فلما هلك امرئ القيس بلغ الحارث بن أبي شمر الغساني خبرُ الدروع، فأتى السموألَ في جيش، فتحصن منه السموأل، وأخذ الحارث ابنا له، وهدد بضرب عنقه إن لم يدفع له الدروع، فنظم السموأل في ذلك شعرًا، منه: وَفَيْتُ بِأدْرُعِ الكِنْدِيِّ إنّي * إذا ما ذُمَّ أقْوامٌ وَفَيْتُ/ بَنَى لي عاديا حِصنًا حَصِينًا * وماءً كلّما شِئتُ اسْتَقَيْتُ/ وقالوا: إنّهُ كَنزٌ رَغِيبٌ * فلا -واللهِ- أغْدُرُ ما مَشَيْتُ. ديوان السموأل، صنعه أبو عبد الله نفطويه، تحقيق وشرح، واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م، ص٦١، ٦٢. وعن قصة هذه الدروع، راجع، ابن قتيبة، ص٦١، ٦٢.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د. ت، ص١٤٦؛ وانظر، ابن منظور، مج ١١، ص٣١٢. وعن النابغة الذبياني، انظر، ابن قتيبة، ص٨٧.

سنتناول كل منها في حينه. وقوله: "ونسج سلَيم" أراد دروعًا من نسج سليمان، وأراد بسليمان داودَ؛ لأنه -كما سيتبين فيما بعد- أول من عمل الدروع المحكمة، فنُسبت إليه، كما نُسبت الدروع التُبَّعيَّة إلى تُبَّع.

وقول الشاعر الجاهلي السفاح (؟- ؟)[1]:

تقولُ ابْنَةُ العَمْرِيِّ مالَكَ لا نرى ... لكَ الدَّهرَ إلا هَمَّ حَرْبٍ تَسَعَّرُ

عَتَادُكَ منها لأمَةٌ تُبَّعيَّةٌ ... وأبيَضُ من ماءِ الحديدِ ومِغْفَرُ

واللأمة -كما سيمر بنا- هي الدرع، والمعنى: وعتادك درعًا تُبَّعَة، وسيف من ماء الحديد، ومغفر.

وقول مزرد بن ضرار الذبياني (؟- ١٠هـ)[2]:

ومَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبَّعيَّةٌ ... وَآهَا القَتِيرُ تَجْتَوِيها المَعَابِلُ[3]

وهنا يقول إنها درع واسعة، فضفاضة، تُنسب إلى "تبع" ملك اليمن، تُشددها المسامير، ومن حسن صنعها أن السهام الطوال عريضة النصل تنبو عنها، ولا تؤثر فيها.

وقول عباس بن مرداس يوم حنين (؟- ١٨هـ)[4]:

كانت إجابتنا لداعي ربنا ... بالحق منا حاسر ومقنع

في كل سابغة تخير سردها ... داود إذ نسج الحديد وتبع

أي: وكانت إجابتنا لداعي ربنا – أي الرسول ﷺ – بالحق، في كل وضع،

---

(١) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص١٧٠.

(٢) المفضليات، ص٩٨. وعن مزرد بن ضرار. انظر، ابن قتيبة، ص١٩٩.

(٣) مسفوحة: الدرع المصبوبة. يُريد أنها متينة أو واسعة. القتير: المسامير، وآها: شددها. المعابل: سهام طوال عراض النصال. تجتويها: تكرهها، يريد أنها تنبو عنها.

(٤) ابن هشام، جـ ٤، ص٦٦. وعن عباس بن مرداس. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٣، ص١٥٥.

سواء كنا حاسرين من لبوس الحرب، أو لابسوها كاملة فلا يظهر منا غير عيوننا، فنلبس دروعًا طويلة واسعة، تخير نسجها سيدنا داود، أو تبع، أي هي دروع جيدة كريمة.

وقول بشار بن برد (٩٥- ١٦٧هـ)(١):

وتُبَّعٌ وسرابيلُ الحديدِ له   أزمانَ يُنسجُ في أزمانه الزَّرَدُ

وسرابيل الحديد: هي الدروع، وهي دروع كريمة مما كانت تُنسج قديمًا في أزمان تُبع ملك اليمن.

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)(٢):

تَضيقُ الدُّرُوعُ التُّبَّعِيَّاتُ مِنْهُمُ   عَلَى كُلِّ رَحْبِ البَاعِ سَبْطِ الأَنامِلِ(٣)

أي ويلبس هؤلاء الكرام، دروعًا كريمة تبعية، ....

وقول أبو عبد الله محمد بن الفخار (؟- ٥٣٩هـ)(٤):

ألا إنَّ دِرْعي نثرةٌ تُبَّعِيَّةٌ   وسيفيَ صدْقٌ إن هززْتُ يمان

أي: ودرعي واسعة، كريمة تُنسب إلى تبع، وسيفي صدق ....

٦- الجارنة:

قال ابن منظور: الجارِنة: "اللينة من الدروع. أبو عمر: الجارنة المارِنة. وكلُّ ما مَرَنَ فقد جَرَنَ". وأنشد بيتًا للبيد بن ربيعة (؟- ٤١هـ) يصف الدروع،

---

(١) ديوان بشار بن برد، قرأه وقدم له، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٣٢.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، سلسلة ذخائر العرب، العدد ٣٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، مج ٣، ص١٨٦٥.

(٣) رحب الباع: كريم مقتدر. سبط الأنامل: سخي.

(٤) الحجاري، أبا عبد الله محمد بن إبراهيم وآخرون، المغرب في حلي المغرب، حققه وعلق عليه، شوقي ضيف، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، د. ت، جـ ١، ص٤٣٢.

ويقول[1]:

وحَوَاٍرنٍ بيض وكلُّ طِمِرَّةٍ يَغدُو عَلَيها القَرَّتَيْن، غُلامُ[2]

٧- الجُبَّةُ:

في اللسان[3]: الجُبَّةُ: ضَرْبٌ من مُقَطَّعاتِ الثِّيابِ تُلْبَس، وجمعها جُبَبٌ وجِبابٌ. والجُبَّةُ: من أسماءِ الدِّرْع، وجمعها جُبَبٌ. وأنشد للراعي النميري (؟- ٩٦- ٩٧هـ)[4]:

لَنا جُبَبٌ، وأرْماحٌ طِوالٌ، بِهِنَّ نُمارِسُ الحَرْبَ الشَّطُونا

كما ورد ذكر الجُبَّب بمعنى الدروع في قول مُهَلْهِل بن رَبيعَة (؟- ٩٤ق. هـ)[5]:

خَذَ الْعَهْدَ الأَكيدَ عَلَيَّ عُمْرِي بِتَرْكِي كُلَّ مَا حَوَتِ الدِّيَارُ
وَهَجْرِي الْغَانِيَاتِ وَشُرْبَ كَأْسٍ وَلُبْسِي جُبَّةً لا تُسْتَعَارُ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي إلى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارُ

٨- الجَدْلاء:

قيل: هي الدرع إذا كانت منسوجة، نحو الدرع المَوْضُونَة[6]، أي لطيفة الجدل[7]،

---

(١) ابن منظور، مج ١٣، ص١٠٣؛ وعن هذا البيت انظر، ديوان لبيد، ص١٦٠.

(٢) الطمرة: الفرس المشرفة. القرتين: الغداة والعشي.

(٣) ابن منظور، مج١، ص٢٩٥.

(٤) انظر، ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه، راينهرت فايبرت، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٧٢.

(٥) ديوان مهلهل بن ربيعة، إعداد وتقديم، طلال حرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص٣٤.

(٦) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠.

(٧) ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت (١٨٦- ٢٤٦هـ)، تحقيق، نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٢٨.

أو محكمة[1] النسج، وقد وردت الإشارة إلى هذه الدروع في قصيدة للشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكرى (؟- ؟)، وصف فيها أنواع عدة من سلاحه، ويهمنا ما قاله في درعه[2]:

ومُطَّرِدِ الكَعْبَيْنِ أَسْمَرُ عاتِرٌ   وذَاتُ قَتِيرٍ في مَواصِلِها دَرَمْ

مُضاعَفَةٌ جَدْلاءُ أوحُطَمِيَّةٌ   تُغَشِّي بَنَانَ المَرْءِ والكَفَّ والقَدَمْ

ويُشير الشاعر في الشطر الأول من البيت الأول إلى الرماح، أما في الشطر الثاني، فالقتير: هي رؤوس مسامير الدرع، ويقصد بذات قتير: الدرع. في مواصلها: أي ما يتصل بالحلقتين، درم: أي استواء. أما في البيت الثاني فيصف هذه الدرع ويقول: إن هذه الدرع كانت مضاعفة: أي منسوجة من حلقتين حلقتين. جدلاء: أي محكمة. حطمية: منسوبة إلى حطم، وهي درع سابغة: أي طويلة فضفاضة، لذا فهي تغشي بنان المرء وكفه وقدمه.

كما ورد ذكر الدرع الجدلاء في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[3]:

وَسَعَتْ نساؤهُمُ بكلِّ مُفاضَةٍ   جَدْلاءَ سابغةٍ وبالأبدانِ

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يوم الخندق (٥هـ) [4]:

جَدْلاءُ يَحفِزُهَا نِجادُ مُهَنَّدٍ   صَافِي الحَدِيدَةِ صَارِمٍ ذِي رَوْنَقِ

أي: ودرع جدلاء، تدفعها حميلة سيف مهند، ....

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[5]:

فيه الرماحُ وفيه كُلُّ سابِغَةٍ   جَدْلاءَ مُبْهَمَةٍ من صُنْعِ سَلاَّمِ

---

(١) الزمخشري، جـ ١، ص١١١.

(٢) المفضليات، ص٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٧٣.

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٧٦؛ ابن هشام، جـ ٣، ص١٥٨.

(٥) ديوان الحطيئة، ص١٢٨.

ويقصد بالسابغة دروع تتميز باتساعها وطولها، قال ابن السكيت: جدلاء: طيفة مجدولة. مُبْهَمةٌ: لا تستبين فيها أطرافَ حلقِها، يُقال قد أُبْهِم عليَّ الأمْرُ: ي ليس فيه فُرْجَةٌ أعرِفُها، وحائط مُبْهم: ليس فيه باب. وسَلَّام: أراد سليمان ابن اود (عليهما السلام)[1].

كما قال الحطيئة[2]:

وكُلُّ مُفاضَةٍ جَدْلاءَ زَغْفٍ مُضاعَفَةٍ وأبْيَضَ مَشْرَفِي

ويقصد بالأبيض المشرفي: السيف، أما مفاضة، وزغف، ومضاعفة، فجميعها صفات للدرع.

كما قال كُثَيِّر عَزَّة (٤٠- ١٠٥هـ)[3]:

بأيْدِيهِمُ خَطِّيَّةٌ وعَلَيْهِمُ سَوابِغُ فِرْعَوْنِيَّةٌ جُدِلَتْ جَدْلا

أي: ويحمل فرساننا في أياديهم رماحًا خطية، ويلبسون على أجسامهم دروعًا فرعونية[4]، جدلت جدلا: أي حُبك منها الزرد حبكًا محكمًا.

وقال أيضًا[5]:

فما زِلْتُم بالنَّـاس حَتَّـى كأنَّهُـمْ مِنَ الخَوْفِ طيرٌ أَخْذَأَتْها الأجادِلُ[6]

طِعانٌ يفضُّ الجُدْلَ عن آنُفِ الشَّبا وضَرْبٌ ببيضٍ أخْلَصتها الصَّياقِلُ[7]

---

(١) ديوان الحطيئة، ص١٢٨.

(٢) ديوان الحطيئة، ص١٨٠.

(٣) ديوان كثير عزة، شرح، قدري مايو، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢١٦.

(٤) الدُرع الفِرْعَوْنِيَّةُ قيل: -كما سيمر بنا- هي منسوبة إلى فرعون موسى، وقيل: الفِرْعَوْن بلغة القبط التِمساح.

(٥) ديوان كثير عزة، ص٢٣٩.

(٦) الأجادل: الصقور.

(٧) آنف: أنوف. الشبا: الرمح. البيض: السيوف. الصَّياقل: ج صَيقل، وهو صانع السيف وصاقله.

ويقول في البيت الثاني: لكم طعانٌ بالرماح يَفُلُّ حديد الدروع المجدولة، وضرب بالسيوف اللمّاعة التي أحْسَنَ صقلَها الصياقل.

٩- الجُنَّةُ:

الجُنَّةُ: الدِّرْعُ وكل ما وَقاك جُنَّةٌ(١). وقد ورد ذكر الجُنَّة بمعنى الدرع، وذلك في قول كُثَيِّر عَزَّة (٤٠- ١٠٥هـ)(٢):

وأعلمُ أنّي لا أُسربَلُ جُنَّةً ... مِنَ المَوْتِ معقودًا عليَّ تَميمُها

أي: إنني على يقين من أن الموت قادمٌ فلا درع تقيني منه، ولا تميمة تنفع في ردّه عنّي.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)(٣):

بحَيثُ لا غوثَ إلا صارمٌ ذكَرٌ، ... وجُنَّةٌ كحَبابِ الماءِ تَغشاني

وقوله كذلك(٤):

وَفارسٍ أُغمِدَ في جُنَّةٍ ... يُقَطِّعُ السَّيْفَ إذا ما وَرَدَ
كَأنَّما ماءٌ عَلَيْها جَرَى ... حَتَّى إذا ما غابَ فِيهِ جَمَدْ

١٠- الجَوْشَن:

قال الزمخشري: ضرب جَوْشَه وجَوْشَنَه أي صدرَه. وخرجوا عليهم الجواشِنُ وهي الدروع جمع جَوْشَن(٥)، ومن المتعارف عليه أن الجوشن هو درع يقي

---

(١) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤؛ ابن منظور، مج ١٣، ص١١٢.

(٢) ديوان كثير عزة، ص٣٣٦.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص٣٧٣.

(٤) الصولي، أبي بكر محمد بن يحيى، كتاب الأوراق، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، تحقيق، ج. هيورث. دن، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٤)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، منتصف أغسطس ٢٠٠٤م، ص١٢٥.

(٥) الزمخشري، جـ ١، ص١٤١.

منطقة الصدر[1]، ويؤكد ذلك قول ابن منظور: الجَوْشَن من السلاح زَرَدٌ يلبسه الصدرُ والحَيزوم[2]، كما قيل عن مواصفات الجوشن: أن يكون بغير ظهر[3]، أو كما قيل "صدرية -بلا ظهر"، تُصنع من ألواح صغار من الحديد أو القرن أو الجلود، وتكسى بالثياب[4].

وقال الفيروز آبادي الجَوْشَنُ: الصَّدْرُ، والدِرْعُ، وأشار إلى أنه إلى عَمَل الجواشن -الدروع- يُنسب بعض الأشخاص، وأن من يقوم بعملها يُسمى: الجَوْشَنيّ[5]، وذكر أن ذا الجَوْشَنِ: شُرَحْبِيلُ بن قُرْطِ الأَعْوَرُ الصَّحَابِيُّ، سمي بذلك لأنه أوَّلُ عربيٍّ لَبِسَهُ، أول لأنَّهُ كان نَاتِئَ الصَّدْرِ، أو لأن كِسْرَى أعْطَاهُ جَوْشَنَاً[6].

ولا شك أن هذا النوع من الدروع يستمد اسمه من معناه، فالجوشن: الصدرُ، قال زُهير بن أبي سُلْمَى (؟- ١٣ق. هـ) يصف خيلاً[7]:

قد عُلِيَتْ فَهْيَ مَرْفُوعٌ جَوَاشِنُها   على قَوَائِمَ عُوجٍ لحْمُها زِيَمُ

وقوله "مَرْفُوعٌ جَوَاشِنُها" أي إن صدورها عالية مشرفة، وهو أمر محمود في

---

(١) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي، جـ ١، من الفتح العربي حتى معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٩٣.

(٢) ابن منظور، مج ١٣، ص١٠٥. الحزيم، والحيزوم: وسط الصدر وما يُضَمُّ عليه.

(٣) ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبد الرحمن، حلية الفرسان وشعار الشجعان، اعتنى بطبعه، لوي سي، المطبعة المشرقية، لصاحبها بول جيتينار، بالباريز، ص٧٦؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم، الحيل في حروب دولة المماليك، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣م، ح١، ص١٢.

(٤) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠. وعن كيفية عمل الجواشن من الجلود خاصة. راجع، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٢٢٨.

(٥) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٥٥٩.

(٦) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٥٥٩.

(٧) ديوان زهير بن أبي سلمى، ، دار صادر، بيروت، د. ت، ص٩٢.

الخيل.

وقول ذو الرمة (٧٧- ١١٧هـ) يصف ثورًا طَعَن كِلابًا بِروْقَيه في صدرها[١]:

فكرَّ يَمْشُق طعنًا في جَواشنِها كأنه الأجرَ في الإقبال يَحتَسِبُ

على أية حال فالجوشن يُعد من أكثر الدروع ذكرًا في المصادر المكتوبة، والجدير بالذكر أنه وصلنا ما يُفيد أن درع سيدنا علي ﷺ كانت صدرًا لا ظهرَ لها –أي جوشنًا– فقيل له في ذلك: فقال: إذا استمكن عدوّي من ظهري فلا يُبقي[٢].

وقد وصلنا ذكر الدروع الجواشن في قول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٣]:

باتَتْ خَلائِقُهُمْ على أموالِهِمْ وكأنَّهُنَّ جَواشِنٌ ودُرُوعُ

وقول ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)[٤]:

كأنّهُ في جَوشنٍ مُزرَّرِ ذي مُقلةٍ تَسرَحُ فوقَ المَحجِرِ

ومما وصلنا عن الجواشن، أن "أبا العشائر" أخرج للمتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ) درعًا حسنًا في ميافارقين، فقال مترجلاً[٥]:

---

(١) ديوان ذي الرمة، شرح الإمام أبي نصر الباهلي، تحقيق، واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م، مج ١، ص٧٩؛ ابن منظور، مج ١٣، ص١٠٥. وعن ذي الرمة. انظر، ابن قتيبة، ص٣٥٧.

(٢) ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي، العقد الفريد، حققه وشرحه وعرف أعلامه، محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، مج ١، ص١٨٧.

(٣) ديوان البحتري، دار صادر، بيروت، د، ت، مج ١، ص٣٢٠.

(٤) ديوان ابن المعتز، ص٢١٧.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق، عبد المنعم خفاجي وآخرون، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت، ص٢١٥.

بِهِ وبِمِثْلِه شُقَّ الصُفُوفُ   وزَلّتْ عَنْ مُباشِرِها الحَتوفُ
فَدَعْهُ لَقىً فإنّكَ مِنْ كِرامٍ   جَواشِنَها الأسِنَّةَ والسُّيوفُ

وللمتنبي كذلك في وصف قوة الرماح التي تنفذ من الدروع والجواشن، قوله[1]:

قَواضٍ مَواضٍ نَسجُ داوُدَ عِندَها   إذا وَقَعَتْ فيهِ كَنَسجِ الخدَرْنَقِ[2]

وبعد بيت آخر يقول:

تَقُدُّ عَلَيْهِمْ كَلَّ دِرْعٍ وَجَوشَنٍ   وَتَفري إلَيهِمْ كلَّ سورٍ وَخَندَقِ

والمعنى في البيت الأول: إن الرماح إذا وقعت في دروع الأبطال خرقتها كما تخرق نسيج العنكبوت. أما في البيت الثاني، فيقول: تقد عليهم الدروع والجواشن، وتُقطع الأسوار والخنادق التي حولها.

ويصف ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـ) ملابس جيش فيقول[3]:

لَبَوسٌ تكفُّ الموجَ وهي غُطامِطٌ   وتَدْرَأُ بأسَ اليَمِّ وهو شديدُ[4]
فمنها دُروعٌ فوقها وجَواشِنٌ   ومنها خفاتينٌ لها وبُرودُ[5]

كما قال ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ)[6]:

فوارسُ أُفْدٌ أقبلتْ في جواشنٍ   من الرقم، لم تخلق لها البيض والسمر[1]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٢٢٠. جدير بالذكر أنه وصلتنا إشارات كثيرة عن الرماح التي تخرق الدروع والجواشن، وسوف نشُير إليها بشيء من الإسهاب، عند تناول الرماح في دراسة أخرى عن الأسلحة الهجومية.

(٢) قواض: قواتل، والضمير للقنا. مواض: نوافذ. الخدرنق: العنكبوت.

(٣) ديوان ابن هاني الأندلسي، دار صادر، بيروت، د. ت، ص١٠٠، ١٠١.

(٤) الغطامط: البحر العظيم الأمواج. تدرأ: تدفع دفعًا شديدًا.

(٥) الخفاتين: ج الخفتان، نوع من الدروع. ديوان ابن هاني الأندلسي، ح ١، ص١٠١.

(٦) ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له، إحسان عباس، دار صار، بيروت، د. ت، ص١٧٧.

والمعنى: إن هؤلاء الفوارس أقبلوا مسرعين، لابسين جواشن قوية، لا تستطيع السيوف والرماح النيل منها. والجدير بالذكر أن هذا البيت ورد لابن حمديس في قصيدة عن الصيد، وسوف يمر بنا أنه كان ينبغي على الصائدين ارتداء الدروع عند الصيد؛ خشية أن تهجم عليهم الوحوش الضارية.

١١- الحَصْداءُ:

في اللسان "الحَصَد": هو اشتداد الفتل واستحكام الصناعة في الأوتار والحبال والدروع. وقال الليث: الحَصَدُ مصدر الشيء الأَحْصَدِ، وهو المحكم فتله وصنعته من الحبال والأوتار والدروع[٢]، وفي المحيط، درع حَصْداءُ: ضَيِّقَةُ الحَلَقِ، مُحْكَمَةٌ[٣].

وقد ورد ذكر الدرع الحصداء في قول سعد بن مالك بن ضبيعة (؟- ٩٥ق. هـ)[٤]:

والنَّثْرَةُ الحَصْدَاءُ والـ ... ـبَيْضُ المُكَلَّلُ والرِّمَاحُ

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٥]:

وكَأَنَّ الشَّلِيلَ والنَّثْرَةَ الحَصْـ ... ـدَاءَ مِنْهُ على سَلِيلِ غَرِيفِ[٦]

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ)[٧]:

---

(١) أَفَدَ: ج أفد، وهو المستعجل المسرع.

(٢) ابن منظور، مج ٣، ص١٨٧.

(٣) الفيروز آبادي، جـ ١، ص٤٠٧.

(٤) ديوان الحارث بن حلزة يليه شعر بكر وأخبار حرب البسوس، إعداد وتقديم، طلال حرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م؛ ص٨٤.

(٥) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٣٠٨.

(٦) السليل: الولد. الغريف: الشجر الكثير الملتف.

(٧) ديوان ابن حمديس، ص١٦٤.

وحصداءُ فولاذيّةُ النّسجِ لم تَزَلْ   من اللهذمِ الوقّادِ مطفئة وقدا

١٢- الحَصِينُ، والحَصِينة:

الحِصْنُ: كلُّ مَوْضِعٍ حَصِينٍ لا يُوْصلُ إلى جَوْفِهِ. ودرع حَصِين وحَصِينة: أي مُحْكَمَةٌ[١]، وهو ما في اللسان وزاد قول ابن الأحمر (؟- ؟):

هُمُ كانوا اليَدَ اليُمْنَى وكانوا   قِوامَ الظَّهرِ والدِّرْعَ الحَصِينا

كما أنشد قول الأعشى (؟- ٧هـ) [٢]:

وكُلُّ دِلاصٍ كالأَضاةِ حَصِينَةٍ   تَرَى فَضْلَهَا عَنْ رَبِّهَا يَتَذَبْذَبُ

وذكر أن شمر قال: الحَصِينة من الدروع الأَمِينة المُتَدانية الحِلَق التي لا يَحِيكُ فيها السِّلاح، وأنشد قول عنترة بن شداد (؟- ٢٢ق. هـ):

فَلَقًى أُلَّتي بَدَنًا حَصِينًا   وعَطْعَطَ ما أَعَدَّ من السِّهام

وعن قوله تعالى في قصة سيدنا "داود" (عليه السلام): ﴿ وَعَلَّمْنَهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾[٣]؛ قال الفراء: قُرِئَ لِيُحْصِنكم ولِتُحْصِنَكم ولنحصنكم، فمن قرأ لِيُحْصِنَكم فالتذكير لِلَّبُوس، ومن قرأ لتُحْصِنَكم ذهب إلى الصنعة، وإن شئت جعلته للدرع لأنها هي اللبوس وهي مؤنثة، ومعنى لِيُحْصِنَكم ليمنعكم ويُحْرِزَكم، ومن قرأ لِنُحْصِنَكم، بالنون، فمعنى لنُحْصِنَكم نحنُ، الفعلُ لله عز وجل[٤].

والجدير بالذكر أن عمر بن الخطاب (رضي) كان قد سأل عمرو بن معدي

---

(١) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤؛ الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٥٦٤؛ وانظر، خزانة السلاح، ص٦١.

(٢) انظر هذا البيت في ديوان الأعشى الكبير، ص٢٥٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) ابن منظور، مج ١٣، ص١٤٤.

كرب (١٠٠- ق. هـ/ ٢١هـ) يومًا عن كثير من أنواع السلاح، وحين سأله عن الدرع، قال ابن معدي كرب: متعبة للراجل، مشغلة للراكب، وإنها لحصنٌ حصين[1].

وعلاوة على ما تقدم فقد ورد ذكر الدرع الحصينة في مواضع عدة، ومن ذلك أنه روي عن الرسول ﷺ أنه قال قبل غزوة أحد (٨هـ): "إني قد رأيت والله خيرًا، رأيت بقرًا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما، ورأيت أني أدخلت يدي في درعٍ حصينة فأولتها المدينة"[2].

وقد ورد ذكر الدرع الحصينة في قول المختار بن أبي عُبيد الثقفي (؟- ؟)[3]:

تسربلتُ من همدانَ دِرْعًا حصينة ... تردّ العوالي بالأنوف الرواغمِ

وقول منفعة بن مالك الضبي (؟- ؟)[4]:

كفاني من الدنيا دِلاص حصينة ... وأجرد خوّار العنان نجيبُ

وقول كُثَيِّر عَزَّة (٤٠- ١٠٥هـ)[5]:

على ابْن أبي العاصي دِلاصٌ حَصينةٌ ... أجاد المُسدّي سَرْدَها وأذالَها[6]

يؤودُ ضعيفَ القومِ حَمْلُ قَتيرِها ... ويستضلعُ الطِّرفُ الأَشَمُّ احتمالَها[7]

والمعنى: وقد اتخذت يا ابن الأصل الكريم -يقصد ممدوحه الخليفة عبد الملك

---

(١) ابن قيم الجوزية، الفروسية، ص١٠٢.

(٢) ابن هشام، جـ ٣، ص١٨.

(٣) المرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، معجم الشعراء، سلسلة الذخائر، العدد (٩٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٣٣٦.

(٤) المرزباني، ص٤٤٩.

(٥) ديوان كثير عزة، ص٢٣١.

(٦) يقصد بابن أبي العاص: الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فمن جدوده أبو العاص.

(٧) يؤرد: يَهُدُّ ويبهظ. قتيرها: مساميرها. يستضلع: يستثقل. الطِّرف: كريم الأبوين. الأشم: المترفّع العزيز.

بن مروان– درعًا براقة لينة محكمة، أجاد صانعها نسجها وأطال فيه. وإن درعك هذه؛ يصعب على الضعيف حملها، ويستثقلها حتى الطِّرْف الشجاعُ الكريم.

١٣- الحُطَمِيَّةُ:

قيل: هي دروع تُنسب إلى "حطم" أحد ملوك اليمن[١]، وقيل: بل منسوبة إلى شخص يُسمى "حطمة بن محارب" وكان يَعْمَلُ الدُّروعَ. وعلاوة على ذلك فقيل: إنها الدروع التي تُحطم السيوف، أو الثقيلة العريضة[٢].

وقال صاحب اللسان: الحُطَمِيَّة: درع تنسب إلى رجل كان يعملها، وكان لعليّ ﷺ، درع يُقال لها الحُطَمِيَّةُ. وفي حديث زواج فاطمة ﷺ: أنه قال لعليّ أَيْنَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ؟ هي التي تُحَطِّمُ السيوف أي تكسرها، وقيل هي العريضة الثقيلة، وقيل هي منسوبة إلى بطْنٍ من عبد القيس يُقال لهم حُطَمَةُ ابنُ محاربٍ كانوا يعملون الدروع[٣].

وقد وردت الدروع الحطمية في قصيدة للشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكرى (؟- ؟)، وصف فيها أنواع عدة من سلاحه، ويهمنا ما قاله في درعه[٤]:

مُضاعَفَةٌ جَدْلاءُ أوحُطَمِيَّةٌ ... تُغَشّي بَنانَ المَرْءِ والكَفَّ والقَدَمْ

كما جاء ذكرها في قصيدة لجرير (٣٣- ١١٤هـ) يرثي شخصًا، ويقول[٥]:

إذا لَفَّ عَنْهُ مِنْ يَدَيْ حُطَمِيَّةٍ ... وَأَبْدَى ذِرَاعيْ باسِلٍ قَدْ تَخَدَّدا[٦]

---

(١) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٤٤٤؛ ديوان جرير، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م، ح ٤، ص٩٤.

(٢) المفضليات، ح ٨، ص٣٠٩.

(٣) ابن منظور، مج ١٢، ص١٦٢.

(٤) المفضليات، ص٣٠٨، ٣٠٩.

(٥) ديوان جرير، ص٩٤.

(٦) تخددا: ذهب لحمها.

١٤- الحَلْقَةُ:

قيل: إن الحَلْقَةُ: اسم لجُملة السِّلاح كله[١]، وأن الدُّرُوعُ تُسمى حَلْقَةً[٢]؛ وذكر ابن منظور إنما ذلك يرجع لمكان الدروع، وغلبوا هذا النوع من السلاح أعني الدروع، لشده غَنائه، ويدلك على أن المراعاة في هذا إنما هي للدروع أن النعمان قد سمَّى درعه حَلْقَةَ. وفي صلح خيبر: ولرسول الله ﷺ الصفراء، والبيضاء، والحلْقةُ؛ الحلْقةِ، بسكون اللام: السلاح عاماً، وقيل هي الدروع خاصة؛ ومنه الحديث: وإن لنا أَغْفالَ الأَرض والحَلْقَةَ[٣].

وقد ورد ذكر الحَلْقَة بمعنى الدرع في قول الأخطل (١٩- ٩٠هـ)[٤]:

وَوَقْعُ الْمَشْرَفِيَّةِ في حَديدٍ لَهُنَّ وراءَ حَلْقَتِهِ صَليلُ

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ)[٥]:

همُ يضربون الكبشَ يَبرق بيضهُ ترى حوله الأبطال في حَلَقٍ شُهْبِ

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٦]:

وَعَلى خَيلِهِ أُسُودٌ، عَلَيْهَا حَلَقٌ يَدْرَأُ السِّلاحَ مَدارُهُ

جدير بالذكر أنه وصلتنا كثير من الإشارات عن حلق الدروع، من ذلك -على سبيل المثال- وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٧]:

---

(١) الزمخشري، جـ ١، ص١٩٤.

(٢) الرازي، ص١٤٩؛ الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١١٦٣؛ ابن منظور، مج ١٠، ص٧٧؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠.

(٣) ابن منظور، مج ١٠، ص٧٧.

(٤) ديوان الأخطل، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٢١.

(٥) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص١٢٦.

(٦) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص١١٨.

(٧) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص١٢٠.

أيَدٌ في السَلاحِ تَبهَى عَلَيْهِ   حَلَقُ الدِرْعِ مُحكَمًا وقَتِيرُهُ

وقول علي (رضي) ردًا على قول لعمرو بن العاص في صفين (٣٦هـ)[1]:

لأُصبِحَنَّ العَاصِيَ بنَ العَاصي   سبْعِين ألفًا عَاقِدي النَّواصي

مُجَنَّبِيــنَ الخيـلَ بالقِــلاصِ   مُستَحْقِبينَ حَلَــقَ الـدِّلاصِ

كما أن لدينا كثير من الإشارات عن حلق الحديد -أي حلق الدروع- كقــول امرؤ القيس (١٣٠- ٨٠ق. هـ)[2]:

قَومٌ إذا ما الحَرْبُ شبَّـ   ـبتْ يَصطَلُونَ بِنَارِهَا

كَالأُسدِ في حَلَقِ الحَديـ   ـدِ لَدَى انبِثَاثِ غُبَارِها

وقول مُهَلْهَل بن رَبِيعَة (؟- ٩٤ق. هـ)[3]:

يَمشُونَ فِي حَلَقِ الحَدِيدِ كَأنَّهُمْ   جُرْبُ الجِمَالِ طُلِينَ بِالْقَطِرَانِ

وقول ربيعة بن مقروم الضبي (؟- ١٦هـ)[4]:

وشهدتُ معركةَ الفُيُولِ وحَولها   أبناءُ فارسَ بيضُهُم كالأعبَلِ[5]

مَسربلي حلق الحديد كأنهـم   جُرِبُ مُقارفَةُ عنيّةَ مُهْمَـلِ[6]

وعلاوة على ما تقدم فقد وردت كلمة "الحلق" كإشارة إلى حلق الدروع وذلك

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص٧١.

(٢) ديوان امرئ القيس مج ٢، ص٦٩٣، ٦٩٤.

(٣) ديوان مهلهل بن ربيعة، ص٨٧.

(٤) ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، جمع وتحقيق، تماضر عبد القادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ص٤٤. وعن ربيعة بن مقروم. انظر، ابن قتيبة، ص٢٠٢.

(٥) معركة الفيول: وقعة في عقب القادسية وكانت العجم جاءت بالفيول فيها. الأعبل: حجارة بيض شبهه البَيْضَ بها.

(٦) العنية: أبوال الإبل، يؤخذ معها أخلاط فتخلط ثم تُحبس زمانًا في الشمس ثم تُعالج بها الإبل الجرباء.

في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)(١):

إذا الرجالُ عَضَّهم نابُ الفَرَقْ
وَجَدْتَني بالسيفِ هَتَّاكَ الحَلَقْ(٢)

والحق أنه يصعب الجزم ما إن كانت هناك علاقة بين "الحلقة" كإسم للدرع، والحلق الذي تُنسج منه الدروع، وربما يضعف هذه العلاقة ذلك القول الذي يُفيد أن الحَلْقةُ: اسم لجُملة السِّلاح كله!

١٥- الخَدْبَاء:

قيل: هي الدرع اللينة(٣)، أو الدرع الواسعة(٤)، وفي اللسان: درع خدباء: واسعة، وقيل: لينة، قال كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يصف درعًا(٥):

خَدْباءُ، يَحفِزُها نِجادُ مُهَنَّدٍ، صافي الحَديدةِ، صارمٍ، ذي رَوْنَقِ(٦)

١٦- الخرنق:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ(٧)، ولم أقف على معنى الخرنق هنا تحديدًا، وإن كنت أعتقد أنها إشارة إلى نعومة ملمس هذه الدرع، فمن معان

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٨٥.

(٢) أي: وإذا الرجال عضهم ناب الخوف، كنت أنا بسيفي هتاك لحلق الدروع.

(٣) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠.

(٤) الفيروز آبادي، جـ ١، ص١٥٤.

(٥) ابن منظور، مج ١، ص٤٠٦.

(٦) كلمة "خدباء" وردت في الديوان "جَدْلاءُ". ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٧٦.

(٧) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار التقوى للتراث، القاهرة، ١٩٩٩م، جـ ١، ص٥٣. ووردت هذه الكلمة برسم آخر "الحرنق". انظر، مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤.

الخرنق: ولد الأرنب، الذي يكون له ملمسًا ناعمًا، قال الشاعر[1]:

لَيِّنَةِ المَسِّ كَمَسِّ الخِرْنِقِ

ومن الجدير بالذكر أنه سيمر بنا أن بعض الشعراء كانوا يفخرون بنعومة وليونة دروعهم ويُشبهونها بالخرنق: أي ولد الأرنب.

١٧- الخفتان:

لابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـ) قصيدة وصف فيها ملابس جيش بقوله[2]:

فمنها دُروعٌ فوقها وجَواشــنٌ   ومنها خفاتينٌ لها وبُــرود

قال محقق الديوان: الجواشن، الواحد جوشن: زرد كالدرع يلبسه الصدر. الخفاتين، الواحد حفتان: نوع من الدروع[3]. وإن كان لم يتوافر فيما بين يدي من المصادر أو المراجع ما يُشير إلى أن الخفتان: نوع من الدروع!

١٨- الداودية:

نسبة إلى داود عليه السلام[4]؛ قال تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾[5]، وفي هذه الآية يقول "سبحانه": إنه قد ألان لنبيه "داود" عليه السلام الحديد، وعلمه كيف يصنع منه الدّروع متقنة سابغة، أي واسعة فضفاضة. حيث كانت الدروع قبله تُصنع من صفائح ثقيلة، وغير سابغة، وكان "داود" عليه السلام أول

---

(١) انظر، ابن منظور، مج ١٠، ص٩٤.

(٢) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص١٠٠، ١٠١.

(٣) ديوان ابن هاني الأندلسي، ح ١، ص١٠١.

(٤) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠.

(٥) سورة سبأ: الآية ١١.

من سردها، وحلقها فجمعت بين الخفة والتحصين[١]، ومن ثم فتُنسب الدروع الفائقة إلى نسج سيدنا "داوود"[٢].

وقد وردت الإشارة إلى الدروع المنسوبة إلى سيدنا داوود عليه السلام في قول الحصين بن حمام المري (؟- ١٠ق. هـ)[٣]:

صَفَائِحَ بُصرَى أَخْلَصَتْهَا قُيونُها   ومُطَّرِدًا من نَسْجِ داوودَ مُبْهَمَا

وهو يُشير في الشطر الأول إلى سيوف مصنوعة في بصرى، أخلص صناعها في عملها فجاءت بها خالصة من العيوب. أما في الشطر الثاني فيقول: ودروع من نسج داوود -مطردة- أي متتابعة، لا فتق فيها ولا ثلم ولا خرق.

كما ورد ذكر هذه الدروع في قول الأعشى (؟- ٧هـ)[٤]:

وَدُرُوعٌ مِنْ نَسْجِ دَاوُودَ في الحَرْ   بِ وَسُوقٌ يُحْمَلْنَ فَوْقَ الجِمَالِ[٥]
مُلْبَسَاتٌ مِثْلَ الرَّمَادِ مِنَ الكُـ   ـرَّةِ مِنْ خَشْيَةِ النَّدَى وَالطِّلالِ[٦]

ويفخر الشاعر في البيت الأول بأن الفرسان -كان أشار إليهم من قبل- يلبسون دروعًا محكمة تُنسب إلى داوود. أما في البيت الثاني، فهو يُشير إلى شيء مهم عن الدروع بوجه عام، حيث يقول: وهذه الدروع دُهنت بالزيت، وذُرَّ فوقها البعر، حتى لا يصيبها الصدأ من الندى والطِّلَال.

وورد ذكر الدروع المنسوبة إلى داوود عليه السلام أيضًا في قول عمرو ابن معدي

---

(١) سعد بن عبد الله الجنيدل، معجم التراث، السلاح، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٧هـ، ص١٠، ١١.

(٢) القلقشندي، جـ٢، ص١٥١.

(٣) المفضليات، ص٦٦؛ وانظر، النويري، السفر السادس، ص٢٠٢.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص٦١.

(٥) وسوق: ج وسق، وهو الحمل.

(٦) الكرة: البعير. الطلال: ج طل، وهو المطر الضعيف.

كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[١]:

أَعْدَدْتُ لِلحَدَثانِ مُطَّـرِدًا   لَدْنَ المَهَزَّةِ غيرَ ذي وَصْمِ
وَمُفاضَةً كالنِّهْيِ مُحْكَمَةً   مِن صُنْعِ داوُدٍ أبـي سَلْـمِ

أي: وقد أعددت لنوائب الدهر، رمحًا مستقيمًا لينًا، ليس به عقد. كما أعددت درعًا واسعة، تُشبه في صفائها وملاستها مياه الغدير، وهي من صنع داود، أبـي سلم: أي أبي سليمان.

وقول لبيد (؟- ٤١هـ)[٢]:

وَما نَسَجَتْ أَسْرَادُ داودَ وابْنِهِ   مُضاعفَةً مِنْ نَسْجِهِ إذْ يُقابِـلُ[٣]
وكانَتْ تُراثًا منْهُما لِمُحَـرِّقٍ   طَحُونٌ كأنَّ البَيْضَ فيها الأعابِلُ[٤]

وقوله كذلك[٥]:

وتَنَزَعْنَ من داودَ أحْسَنَ صَنْعِهِ   ولقَدْ يَكـونُ بِقـوَّةٍ وَنَعيـمِ
صَنَعَ الحديدَ لِحِفْظِهِ أسْرَادَهُ   لِيَنَالَ طُولَ العيشِ، غَيْرَ مَرُومِ

وقول كعب بن زهير (؟- ٢٦هـ)[٦]:

شُمُّ العَرانينِ أبطالٌ لَبوسُهُمُ   من نسجِ داودَ في الهَيجا سَرابيلُ

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[٧]:

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٦٤.
(٢) ديوان لبيد، ص١٣٥.
(٣) يقابل: يسدي ويلحم.
(٤) محرق: لقب عمرو بن هند، ولقب الحارث بن عمرو من آل جفنة. الأعابل: الحجارة البيض الضخام.
(٥) ديوان لبيد، ص١٨٩.
(٦) ديوان كعب بن زهير، ص٩١.
(٧) ديوان الحطيئة، ص٢٨٢، ٢٨٣.

والمُشْعِلُونَ ضِرامَ الحرب إنْ لَقِحَتْ يَومًا إذا ازْوَرَّ عنها مَنْ يُغَاليها
يَمْشُونَ في نَسْجِ دَاوُدَ مُضاعَفَـةً بُزْلٍ طَلَى أُدْمَها بالزِّفْتِ طَاليهـا

وقول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ)[١]:

مَفْرَشي صَهْوَةُ الحِصانِ ولَكِنْ قَميصي مَسرودَةٌ مِنْ حَديد
لأَمَــةٌ فاضَــةٌ أضــاةُ دِلاصٌ أحْكَمَتْ نَسْجَهـا يَـدا داود

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـــ) يصــف دروع جــيش مــن الفرسان[٢]:

وتَخْضِبُ الحَلَقَ الماذِي من عَلَقٍ كأنَّما صاغَها داودُ من ذَهَبِ[٣]

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ) يصف درعًا[٤]:

وفضفاضَةٍ خضراءَ ذاتِ حبائكٍ إذا لُبِسَتْ فاضَتْ على بَطَلٍ كُفْـوِ
لها لينُ لمس لايخافُ خشونَةً تشافهها من حدّ ذي شُطَبٍ مُهْوِ[٥]
على أنّها من نَسْجِ داود نَثْرَةٌ أدقَ على الأبصار من أثَرِ الرَّفْـوِ

١٩- الدِخَاس:

الدَّخِيسُ: هو العدد الجَمُّ. وعددٌ دَخِيسٌ ودِخاسٌ: أي كثير[٦]. ودِرْعٌ دِخَــاسٌ: أي متقاربة الحَلَقِ[٧].

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص١١٢. وانظر، الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٥١.

(٢) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص٥٦.

(٣) والحلق الماذي: إشارة إلى الدروع، وسوف نتناولها بالتفصيل، عند الحديث عن الماذية.

(٤) ديوان ابن حمديس، ص٥٢١.

(٥) لمس، في رواية أخرى "سرد". مهو: منقض.

(٦) ابن منظور، مج ٦، ص٩٣.

(٧) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥؛ الفيروز آبادي، جـ ١، ص٧٤٧؛ ابن منظـور، مج٦، ص٩٣؛ النويري، السفر السادس، ص٢٤١؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٠.

٢٠- الدَرمَة:

يُقال: مكان أدرم: أي مستوٍ أملس، ودِرْع دَرِمَــة: أي ملســاء، قــد ذهبــت خشونتها وقَضَضُ جدتها وانسحقت، قال الراجز(١):

يا قائدَ الخَيْلِ، ومُجْـ ـتابَ الدِّلاصِ الدَّرِمَه

وفي المحيط: دِرْعٌ دَرِمةٌ: مَلْساءُ، أو لَيِّنَةٌ(٢)، وفــي اللســان: قــال شــمر: والمَدَرَّمَةُ من الدروع اللينةُ المستوية، وأنشد(٣):

هاتِكَ تَحمِلُني وتَحمِلْ شِكَّتي، ومُفاضَةً تَغْشَى البَنَانَ مُدَرَّمَهْ

وعلاوة على ما تقدم فلابن أبي حصينة (٣٨٨- ٤٥٧هـ) بيت شعر يقــول فيه(٤):

يَحضُنُ دُرْمًا كالأُكَرْ كَأَنَّــهُ إِذا وَكَــرْ

وهو في هذا البيت يُشبه بيض النعام بالدرع الدرمة، أي الدرع الملساء(٥).

٢١- الدِلاص:

الدَّليصُ: البَريقُ. والدَّليصُ والدَّلِصُ والدِّلاصُ والدُّلاصُ: الشيء اللَّيِّنُ البَرّاقُ الأَملس. والدِّلاصُ من الدُّروع: اللينة. ودِرْعٌ دِلاصٌ: برّاقة ملســاء ليّنــة بيّنــةُ الدَّلَصِ، والجمع: دُلُصٌ(٦)، يُقال: أدرُعٌ دُلُص، وقيل دِلاص الواحد والجمع سواء،

(١) الزمخشري، جـ ١، ص٢٦٩.

(٢) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٤٥٨.

(٣) ابن منظور، مج ١٢، ص٢٢٩.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، سمعه وشرحه، أبو العلاء المعري، حققه محمد أسعد طلس، جـ ١، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م، جـ ١، ص١٥.

(٥) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ح ٧، ص١٥.

(٦) ابن منظور، مج ٧، ص٤١؛ وانظر، الزمخشري، جـ ١، ص٢٧٨؛ الفيروز آبادي، جـ ١، ص٨٤٢.

كما قال عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)(١):

أعددتُ للحربِ فَضفَاضَةً   دِلاصًا تَثَنّى على الرّاهِشِ

كما قال الإمام علي بن أبي طالب (رضي) (٣٢ق. هـ/ ٤٠هـ)(٢):

لأوردن العاصي ابن العاص   سبعين ألفا عاقدي النواصي

مستحلقين حلق الدلاص   قد جنبوا الخيل مع القلاص

أو كما ورد في رواية أخرى(٣):

لأُصبِحَنَّ العَاصيَ ابنَ العَاصي   سَبْعين ألفًا عَاقِدي النَّواصي

مُجَنِّبيـنَ الخيـلَ بالقِـلاصِ   مُستَحْقِبينَ حلَـق الـدِّلاصِ

أو كما روى أبو العلاء المعري(٤):

مُستَلْئِمِينَ حلَـق الـدِّلاصِ

كما قال أبو دِهْبِلٍ الجُمَحِيُّ (؟- ٦٣هـ)(٥):

درْعِي دِلاصٌ، شَكُّها شَكٌّ عَجَبْ،   وجَوْبُها القاتِرِ من سَيْرِ اليَلَبْ

وقال كُثَيِّر عَزَّة (٤٠- ١٠٥هـ)(٦):

على ابْن أبي العاصي دِلاصٌ حَصينةٌ   أجاد المُسدّي سَرْدَهـا وأذالَهـا

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٣٣.

(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، دار المنار بالقاهرة، مكتبة فياض بالمنصورة، د. ت، ص٢٣.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص٧١. وأورد أبو العلاء المعري هذه الأبيات، نسبة إلى رجل من أصحاب علي (رضي). راجع، ديوان ابن أبي حصينة، جـ ٢، ص١٦٦.

(٤) انظر، ديوان ابن أبي حصينة، جـ ٢، ص١٦٦.

(٥) ابن منظور، مج ١، ص٩٥٢.

(٦) ديوان كثير عزة، ص٢٣١.

وقال ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)[١]:

وإذا بَدا أُفدي الزّمانُ بهِ، وَسطَ الخَميس، كأنّهُ دُلصُ

وقال البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٢]:

كأنّ النّجومَ المُستَسِرّاتِ، في الدّجى، سِكاكُ دِلاصٍ، أو عُيُونُ جَرادِ

ويُلحظ أنه في هذا البيت يُشبه النجوم المتلألئة في ظلمة الليل، بمسامير الدروع الدلاص، أو بعيون الجراد.

كما ذكر ذات الدروع الدلاص في قوله[٣]:

بَسطَةٌ في السّلاحِ يَعجِزُ عَنها سابغُ السّرْدِ زَغْفُهُ، وَدِلاصُهْ

وقال ابن عبد ربه (٢٤٦- ٣٢٨هـ) في الحرب وذكر القائد[٤]:

مَقِلُكَ تحتَ أظلالِ العَوالي وبَيْتُك فوقَ صَهَواتِ الجِيادِ[٥]
تَبَختَرُ في قَميصٍ من دلاصٍ وترفلُ في رِداءٍ من نِجادِ[٦]
كأنّك للحُروبِ رَضيعُ ثَدْيٍ غَذَتْك بكلِ داهيةٍ نآدِ[٧]

وقوله: "تَبَختَرُ في قَميصٍ من دلاصٍ" أي وهو في الحرب، يزهو متبخترًا في درع برّاقة ملساء ليّنة.

وقال ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـ) [٨]:

---

(١) ديوان ابن المعتز، ص٢٥٤.
(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٤٣٤.
(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص١٢٨.
(٤) ابن عبد ربه، مج ١، ص١٢٨.
(٥) المقيل: مكان النوم وقت الظهيرة.
(٦) النجاد: حمائل السيف.
(٧) النآد: الداهية.
(٨) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص٩٢.

وكـــلّ درعٍ دِلاصٍ المَتن سابغٍ   تُطوَى على كل ضافي النسْج مَسرود

وقال الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ)[1]:

أأسْحَبُ ذَيْلِي في الهَوانِ وأُسرتي   تَجُرُّ إلى العِزّ الدِّلاصَ المُسَرَّدا

وقال ابن قلاقس (٥٣٢- ٥٦٧هـ) يصف جيشاً[2]:

وباعثُها خضراء كالبحرِ مَوْجُها   دِلاصٌ وعَسَّالٌ وعَضْبٌ وأجْرَدُ

كما قال يصف كتيبة[3]:

بكتائب كتــبَ الإلــــهُ أمامَها فتحًا ونَصْــرًا
من كلّ مُتَّشح على   بحرِ الدلاصِ الزُغْفِ نَهْرًا

وقال ابن سهل الأندلسي (٦٠٥- ٦٩٤هـ)، يمدح الشيخ أبا فارس الفـتح ابن فارس بن أبي حفص والي أشبيلية سنة ٦٤٣هـ[4]:

تَهَشُّ إلى الأقْرانِ حتى كأنّما   تُلاقي لدى الرَّوعِ الحبائبَ لا العِدا
يمينًا لأنْتَ الليثُ لولا حزامةٌ   تُرينا بعِطْفيك الــدِّلاصَ المسَــردا

والمعنى: إنه كالليث في صفاته، لولا أن الحزم يُحتم عليه أن يلـبس الـدرع المسرودة، فهو بلبس الدرع يفترق عن الأسد.

٢٢- الدُّلامِص:

الشيء الدُّلامِص: هو البراق[5]. والدِّلامِص: الدرع البراقة[6].

---

(١) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص٤٤٧.

(٢) ديوان ابن قلاقس، تحقيق، سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٨م، ص٢٦٢.

(٣) ديوان ابن قلاقس، ص٤٤٤.

(٤) ديوان ابن سهل الأندلسي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٠٧.

(٥) الفيروز آبادي، جـ ١، ص٨٤٢؛ ابن منظور، مج ٧، ص٤١.

(٦) النويري، السفر السادس، ص٢٤١؛ خزانة السلاح، ص٤١.

٢٣- ذات الحَرابِيِّ:

الحِرْباء: مِسْمارُ الدِّرْع، وقيل: هو رأس المِسْمَار في حَلْقَةِ الدرع. والحَرابِي: مسامير الدروع[١]. ويُقصد بذات الحَرابِيِّ: الدرع، قال الحطيئة (؟- ٤٥)[٢]:

كالهُنْدُوانّي لا تَثْنِي مَضَارِبَه   ذاتُ الحِرَابِيِّ فوق الدَّارِعِ البَطَلِ

وعن شرح هذا البيت قال ابن السكيت: ذاتُ الحِرَابِيِّ: الـدِّرْعُ، والحِرَابِـيُّ: المسامير التي تجمع طَرَفي الحلق، واحدتها حِرْباء[٣].

٢٤- ذات الحواشي:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ[٤]. ولعلها سُميت بذلك لطول حواشيها، أي جوانبها وأطرافها[٥]! وهو ما يُمكن أن نستشفه من قول ابـن هـاني الأندلسـي (٣٢٦- ٣٦٢) يمدح الأميرين طاهرًا وأبا عبد الله الحسين ابني الإمام المنصور بالله وهما أخوا المعز لدين الله، ويقول[٦]:

تَطلَعَ الأقمارُ مـن تيجانهـم   وعليهـم سابغـاتٌ كـالدَّآد[٧]
كلُّ رِقَاقِ الحَواشي فوقَهُـمْ   كعيونِ من أفـاعِ أو جـراد

والسابغات -كما سيمر بنا- هي الدروع الطويلة الفضفاضـة، وقـد نعتهـا الشاعر هنا بأنها رقاق الحواشي، وشبه مسامير حلقها بعيون الأفاعي أو عيـون

---

(١) راجع، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٦؛ ابن منظور، مج ١، ص٣٦١.
(٢) ديوان الحطيئة، ص١٨٥.
(٣) ديوان الحطيئة، ص١٨٥.
(٤) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعـاد، جـ ١، ص٥٣.
(٥) الحاشية: جانب الثوب. الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٦٧٣.
(٦) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص١١٥.
(٧) الدآدي: الليالي الشديدة الظلمة، شبه حلق الدروع بسوادها.

الجراد، التي تتميز بشدة لمعانها.

٢٥- ذات الفُضُول:

الفَضْلُ: ضد النقص، والفَضْل والفَضْلَة: البقية من الشيء، أو ما زاد فيه. وكل درع زيد فيها، فهي ذات فضول. قال ابن منظور: ذات الفضول اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ، وقيل: ذو الفُضُول لفَضْلَة كان فيها وسعة[١]، وقد كانت درعه ﷺ هذه من حديد[٢].

جدير بالذكر أنه وصلتنا غير إشارة عن الدروع التي لها فضول، ومن ذلك قول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٣]:

وإنْ مَشَى في فُضُولِ الدِّرْعِ قَلَّصَهَا   مُبَجَّلُ بَيْنَ تَشْمِيرٍ وإسبالِ[٤]

وقوله كذلك[٥]:

رَفيعٌ الباعِ، يَرْفَعُ مَنْكِباهُ   فُضُولَ الدِّرْعِ عَنْهُ، وَالشَّلِيلِ

وقوله أيضًا[٦]:

عَظيمُ كَرَاديسِ المَنَاكِبِ، قَادِرٌ   على الدِّرْعِ أن يَغتالَ عنه فُضُولَهَا

٢٦- ذات الوشاح:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ[١]. والوشاح في الأصل: كلة حَلْيُ النساء،

---

(١) ابن منظور، مج ١١، ص٦٢٧. وعن درع الرسول المسماة "ذات الفضول". راجع، مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤.

(٢) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، جـ ١، ص٥٢.

(٣) ديوان البحتري، ط دار المعارف، مج ٣، ص١٧٢٣.

(٤) قلص: شمرّ ورفع.

(٥) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٥٩.

(٦) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص١٢٦.

ومنه اشتق تَوَشَّحَ الرجل بثوبه. وفي الحديث أنه كان يتوشح بثوبه أي يَتَغَشَّى به والأصل فيه من الوشاح[٢].

٢٧- الذَّائلة:

يُقال: درع ذائلة: أي الطويلة الذيل[٣]، وقيل: المذالات: الدروع الطويلة - السابغة- من أذال الرجل ثوبه أو درعه أطال ذيلها، قال الشاعر[٤]:

وأرعنَ ملمومِ الكتائبِ خيلهُ مُضَرَّجَةٌ أعرافُهـا ونحورُهـا[٥]
عليها مُذَالاتُ القُيُونِ كأنّها عيونُ الأفَاعِي سَرْدُها وقَتِيرُها

وقال ابن منظور: ودِرْع ذائلةٌ وذائل ومُذالةٌ: طويلة. والذّائل: الدِّرْع الطويلة الذَّيْل؛ وأنشد للنابغة (؟- ١٨ق. هـ)[٦]:

وكلّ صَمُوتٍ نَثْلَة تُبَّعِيَّـة، ونَسجُ سُلَيْمٍ كلّ قَضّاءَ ذائِلِ[٧]
عُلِينَ بِكدْيَوْنٍ، وأُبْطِنَّ كرَّةً فهنَّ وِضاءٌ صافياتُ الغلائلِ

و"الصَمُوت"، و"النَثْلة"، و"التُبَّعِيَّـة" و"نَسجُ سُلَيْمٍ"، جميعها أسماء أو صفات للدروع كل يتم تناوله في حينه. ولكن في البيت الثاني ملمح مهم يخص هذه الدروع، فقوله -كما ذكر الأصمعي: عُلِينَ بِكدْيَوْنٍ، أي جعل على ظواهر هذه

---

(١) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، جـ ١، ص٥٣؛ ابن منظور، مج ٢، ص٧٥١.

(٢) ابن منظور، مج ٢، ص٧٥٠، ٧٥١.

(٣) النويري، السفر السادس، ص٢٤١؛ الزمخشري، جـ ١، ص٣٠٨؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦١.

(٤) النويري، السفر السادس، ص٢٤٤.

(٥) الأرعن: الجيش المضطرب لكثرته.

(٦) ابن منظور، مج ١١، ص٣١٢، وانظر، ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٦؛ وراجع، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٧) يعني بـ "سليم" سيدنا "سليمان بن داود" عليه السلام.

الدروع دُرْدِيّ الزيت، لئلا تصدأ فيحصل بعضه بعضاً. والكُرَّة: البعر والرماد، وقيل: هي ما طُلِيَتْ به من دُهْن أو نَسَم. والوِضاء: وضئ، وهو النقي الصافي. وقوله "صافيات الغلائل"، يعني الدروع صافية، فغلائلها صافيات، لصفائها، لأن الدروع إذا كانت صافية لم تدنس الغلالة تحتها، وقال بعضهم الغلائل: مسامير الدروع، واحدتها غلالة(١).

كما ورد ذكر الدروع المذالة في قول كثير عزة (٤٠- ١٠٥هـ)(٢):

إذا أخذوا أدْراعَهُمْ فَتَسَرْبَلوا مُقَلَّصَ مَسْروداتِها وَمُذالَها(٣)

أي: إذا ارتدى فرسانك الدروع -المسرودة- طويلها وقصيرها ...

٢٨- الرَبُوض:

الرَبُوضُ: هي الواسِعَة من الدُرُوعِ(٤).

٢٩- الزَّرَدُ:

الزَّرَد -كما في المخصص- اسم من أسماء، الدروع، وعرفه عن صاحب العين قائلاً: الزَّرَد: حلَق الدِّرْع والجمع زُرُود والزَّرَّاد -صانعها، وقيل: الزاى في ذلك بَدَل من السين في السَّرْد(٥)، وذكر الرازي أن الزَّرْدَ: كالسَّرْد وَزْناً ومَعْنًى وهو تَدَاخُلُ حِلَقِ الدِّرعِ بعضها في بعض. والزَّرَد بفتحتين الدِّرْع المزْرُدة، والزَّرَّاد

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٧.

(٢) ديوان كثير عزة، ص٢٢٩.

(٣) المقلص: القصير.

(٤) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥؛ الفيروز آبادي، جـ ١، ص٨٧٠؛ ابن منظور، مج ٧، ص١٦٩؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦١.

(٥) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥؛ ابن منظور، مج ٣، ص٢٣٩. ويُؤخذ في عين الاعتبار أن هناك من اعتبر أن الزَّرَدة: هي حلقة الدرع، والسَّرْد: ثَقْبها.

بتشديد الراء صانِعُها[1]، وقال الزمخشري: زرَد الدِّرْع: سردها لأنها حلَق فيه ضيق. ويُقال: لبسوا الزَّرْدَ والزَّرَدَ تسمية بالمصدر وفعل بمعنى مفعول[2].

والدروع المزرودة: هي بمثابة قمصان؛ تصنع من حلقات الحديد الصغيرة المشدودة إلى بعضها[3]، وقيل: إن هذه الزَّرَديات تأخذ هيئة شبكية أو مخططة كالتي تغطي الحمار الوحشي[4]، ومنها ما هو قصير ومنها ما هو طويل، والأخير هذا كان منه ما يسترسل إلى الأرض ويطلق عليه "زَّرَديات سابلة" أو "زردية مسبلة"، كانت تغطي ساقي الفارس[5].

وقد وردت الإشارة إلى الزرد أي الدروع وذلك في قول البحتري (٢٠٦-٢٨٤هـ)[6]:

يَمْشُون في زَرَدٍ كأنّ متونَها في كُلّ مَعْركةٍ مُتونُ نِهاءِ
بِيضٍ تَسيلُ على الكُماة فُضُولُها سَيْلَ السَّرَابِ بقَفْرةٍ بَيْداءِ

٣٠- الزَّغْفَةُ:

الزَّغْفُ والزَّغْفَة: هي الدِرْعُ اللَّيِّنَةُ الواسِعَةُ المُحْكَمَةُ، وقيل: هي الدِرْعُ الرَّقِيقَةُ الحَسَنَةُ السَّلاسِلِ[7]، قال الشاعر[8]:

---

(١) الرازي، ص٢٧٠.

(٢) الزمخشري، جـ ١، ص٣٩٧. وعن الزرد ومعانيه. راجع أيضًا، ابن منظور، مج ٣، ص٢٣٩؛ الفيروز آبادي، جـ ١، ص٤١٧.

(٣) محمد مصطفى نجيب، تنظيم الجيش المملوكي في عهد السلطان الغوري (٩٠٦- ٩٢٢هـ/ ١٥٠١- ١٥١٦م)، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٢.

(٤) Dozy, R., Tome Premier, p. 585

(٥) ماير، ل. أ، الملابس المملوكية، ترجمة، صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٦٧.

(٦) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص٣٨٤؛ النويري، السفر السادس، ص٢٤٢.

(٧) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٠٨٨.

(٨) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤.

تَحْتِي الأَغَرُّ، وفَوْقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ   زَغْفٌ تَرُدُّ السيفَ، وهو مُثَلَّمُ

أي: وأمتطي فرسي المسمى الأغر، وألبس درعًا لينة واسعة محكمة، لا يستطيع السيف أن ينال منها، فلو أصابها سيُثلم.

وورد في اللسان، أن ابن الأعرابي قد أنكر تفسير الزغفة بالواسعة من الدروع وقال: هي الدروع الصغيرة الحلَقِ، وقال ابن شميل: هي الدقيقة الحسنة السلاسل؛ ومنه قول الربيع بن أبي الحقيق في الزَّغَف:

رُبَّ عَمٍّ ليَ لو أَبْصَرْتَه   حَسَنِ المِشْيَةِ في الدِّرْعِ الزَّغَفْ

وقال ابن السكيت الزَّغَفِ: الدِّرع الواسعة الطويلة، أظنه من قولهم زَغَفَ لنا فلان، وذلك إذا حدَّثَ فزاد في الحديث وكذّب فيه(١).

وقد ورد ذكر هذه الدرع في قصيدة للحارث بن حلزة اليشكري (؟- ٥٤ق. هـ) يمدح فيها الملك قيس بن شراحيل ويصف جوده ويقول(٢):

وإلى ابنِ ماريَةَ الجَوَادِ وهَلْ   شَرْوَى أبي حَسَّانَ في الإِنْسِ(٣)

يَحْبُوكَ بالزَّغْفِ الفَيُوضِ على   هِمْيَانِها، والدُّهْمِ كالغَرْسِ(٤)

وهو في البيت الأول ينسب الملك قيس إلى أمه، ويقول إنه كريم وهل مثله أحد؟! أما في البيت الثاني، فيقول: وهو يُعطيك الدرع الزغف: أي اللينة المحكمة. الفيوض: أي السابغة؛ على المنطقة التي تشدها، ويُعطيك خيلاً دهم، تُشبه النخيل في طولها.

كما ورد ذكر الدرع الزغف في قول أوس بن حجر (٩٥- ٢ق. هـ)(٥):

---

(١) ابن منظور، مج ٩، ص١٦٣.

(٢) ديوان الحارث بن حلزة، ص٥٦؛ المفضليات، ص١٣٣.

(٣) الشروى: المثل.

(٤) الهميان: المنطقة أو شيء يُشد به الدرع.

(٥) ديوان أوس بن حجر، ص٩٦.

وَبَيْضَاءَ زَغْفٍ نَثْلَةٍ سُلَمِيَّةٍ لَهَا رَفْرَفٌ فَوْقَ الأَنَامِلِ مُرْسَلُ

كما يصف الشاعر الجاهلي يزيد بن الْخَذَّاقِ (؟- ؟) الدروع التي يُعدوها للحرب ويقول[1]:

نعدُّ لِيَوْمِ الرَّوْعِ زَغْفًا مُفَاضَةً دِلاَصًا وذَا غَرْبٍ أَحَدَّ ضَرُسَا[2]

أي ونجهز ليوم الروع دروعًا محكمة، واسعة، برّاقة ملساء ليّنة، وسيوفًا خفيفة ....

وقول المتلمس الضبعي (؟- ٤٣ق. هـ)[3]:

والبَيْضَ والزَّغْفَ المُضَا عَفَ سَرْدُهُ حَلَقٌ مُوَثَّقْ

وقول عبيد بن الأبرص (؟- ٢٥ق. هـ) وهو يفخر بفتان بني أسد[4]:

رُجُحٌ، إذا حَضَرَ النَّادي، حُلومُهُمْ، وَفِيهِمُ الزَّغْفُ وَالخَطّيُّ وَالرُّبُطُ

وهو في الشطر الثاني يفتخر بأنهم أصحاب دروع واسعة -زغف- ورماح - خطي- ورُبط: أي خيول تُربط في الأفنية.

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ -١١هـ)[5]:

---

(١) المفضليات، ص٢٩٨.

(٢) الغرب: الحد، وأراد بذي الغرب السيف. الأحذ: الخفيف. الضروس: السيئ الخلق في الإبل. وهو في السيف تشبيه.

(٣) ديوان المتلمس الضبعي، رواية الأثرَم وأبي عبيدة عن الأصمعي، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٠م، ج ٢، ص٢٤٧. وعن المتلمس، انظر، ابن قتيبة، ص١٠٤.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص٩٤. وعن عبيد بن الأبرص. انظر، ابن قتيبة، ص١٦٦.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، ص٢٧.

وأسْمَرَ خَطِّيٍّ وأبْيَـضَ باتِـرٍ   وزَعْفٍ دِلاصٍ كالغَديرِ المُثوَّبِ
سِلاحُ امرِئٍ قد يَعلمَ النّاس أنّهُ   طَلُوبٌ لثأراتِ الرّجالِ مُطَلَّـبِ

وقوله: وزَعْفٍ دِلاصٍ كالغَديرِ المُثوَّبِ، أي ودروع رقيقة النسج برّاقة ملساء ليّنة، تُشبه الغدير عندما تصفق الرياح ماءه فيتلقلق.

وقول الشاعر الجاهلي النعمان بن زرعة (؟- ؟)[1]:

وبِرايَـتي هـامُ الكُمـاةِ كأنّمـا   تُذْري السُّيوفُ بها نَقيفَ الحَنْظَلِ
يَمْشُون في الزَّغَفِ المُضاعَفِ نَسْجُهُ   مَشْيَ الجِمالِ إلى الجِمالِ البُـزَّلِ

وقول الشاعر الجاهلي هجرس بن كليب (؟- ؟)[2]:

ولقدْ تَعْلَـمُ تَيْـمٌ أنـني   نِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ في اليوم الكَسِفْ[3]
إذْ لَقينا منْ تَميمٍ عُصْبَةً   كَقُرُومِ الشَّولِ تمشي في الزَّغَـفْ[4]

وقول الأعشى (؟- ٧هـ)[5]:

كَتَائِبُ مَنْ بَنِي ذُهْلٍ   عَلَيْهَا الزَّغْفُ قَدْ نُظِمَا

وقوله كذلك[6]:

قُلْنَا الصِّلاَحَ فَقَالُوا لا نُصالِحُكُمْ   أَهْلُ النُّبُوكِ وَعِيرٌ فَوقَهَا الخَصَفُ
لَسْنَا بِعِيرٍ وَبَيْـتِ اللهِ مَائِـرَةً   إلاَّ عَلَيْهَا دُرُوعُ القَوْمِ والـزَّغَفُ

والمعنى: لقد سألناهم المهادنة، فأبوا مستكبرين، وقالوا لا نصـالحكم أبـدًا،

---

(١) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٢٤٠.
(٢) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٣٣٨.
(٣) يوم كاسف: عظيم الهول. شديد الشر.
(٤) القَرْم والأقْرَم: السيد، والفحل، جمعه القُروم. الشَّوْل من النوق: التي خَـفَّ لبنهـا وارتفـع ضرعها.
(٥) ديوان الأعشى الكبير، ص٣٥٢.
(٦) ديوان الأعشى الكبير، ص٣٥٩.

وهل أنتم إلا أهلُ نخيل، وحمَّالو تَمْر فوق العير؟ وإني أُقسم ببيت الله، ما كانت إبلنا تضطرب حين تضطرب، إلا محملة بالدروع[1].

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[2]:

ولو أبصرتَ ما جَمَّعْـ ـتُ فوق الوَرْدِ تَزْدَهِدُهْ[3]
رأيتَ مُفاضةً زَغِفًا وتَرْكًا مُبْهَمًا سَرْدُهْ

وقوله أيضًا[4]:

وكلِّ مُفاضَةٍ بيضاءَ زَغْفٍ وكُلِّ مُعاودِ الغارات يَخْدِي

وقول عبد الله بن الزبعري (؟- ١٥هـ) يوم أحد (٣هـ)، -حين كان لم يزل مشركًا[5]:

نشد علينا كل زغف كأنها غدير بضوج الواديين نقيع

كما ورد ذكر الدروع الزغف في قول كعب بن مالك (؟- ٥٠هـ) واصفًا المسلمين يوم الخندق (٥هـ)[6]:

يَغْدونَ بالزَّغْفِ المُضاعفِ شَكَّهُ وبمُتْرصَاتٍ في الثقافِ صِيَابِ[7]

كما قال الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[8]:

---

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص٣٥٩.

(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٩٠.

(٣) الورد: فرس الشاعر. تزدهده: تستقلّه وتحتقره.

(٤) ديوان عمرو بن معدي يكرب، ص٩٥.

(٥) ابن هشام، جـ ٣، ص٧٧. وقد أسلم بعد الفتح. للاستزادة عنه. راجع. ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٣، ص٢٢٢.

(٦) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٢٧؛ وانظر، ابن هشام جـ ٣، ص١٥٧.

(٧) المترصات: الرماح الشديدة. الثّقاف: ما يقوّم به الرمح المعوجّ. صياب: تصيب الهدف.

(٨) ديوان الحطيئة، ص١٨٠.

ومن مُفاضةٍ جَدْلاءَ زَغْفٍ   مُضاعفةٍ وأبيَضَ مَشْرَفِي

وقال جرير (٣٣- ١١٤هـ) يمدح عمر بن عبد العزيز[1]:

وَنِعْمَ ابن أخو الحُرُوبِ إذا تَرَدَّى   على الزَّغْفِ المُضَاعَفَةِ النِّجادَا

وهو يقول: ونعم هذا الممدوح وهو في الحرب عليه درع واسعة طويلة، ومن فوقها حمالة السيف.

وقال البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[2]:

أجْلَبُوا تحتَ غابَةٍ مِنْ قَنَا الخطِّ   وَزَغْفٍ من الحَديدَ مُفَاضِ

كما قال أيضًا[3]:

بَسطَةٌ في السِّلاحِ يَعجِزُ عنها   سابغُ السَّرْدِ زَغْفُهُ، وَدِلاصُهُ

وقال كذلك[4]:

يَمْشُونَ في زَغَفٍ، كأنَّ مُتونَها،   في كُلِّ مَعْرَكَةٍ، مُتونُ نِهاءِ
بِيضٌ تَسيلُ، على الكُماة، فُضُولُها   سَيْلَ السَّرَابِ بِقَفْرَةٍ بَيْداءِ
فإذا الأسِنَّةُ خَالَطَتْها خِلْتَها   فيهَا خَيَالُ كَوَاكِبٍ في مَاءِ

وقال الأمير تميم بن المعز لدين الله (٣٣٧- ٣٧٤هـ)[5]:

عَلَيِّ زَغَفُ لأمةٍ خضراء   مسرودةٍ محبوكةِ الأجزاء
سابغةٍ كالنِّهْيِ بالعَراء   فلم أزلْ في صَهوةِ القَبَّاء[6]

---

(١) ديوان جرير، ص١٠٧.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٤٤٤.

(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص١٢٨.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص٣٨٤.

(٥) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، سلسلة الذخائر، العدد (٨٤)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت، ص١٥.

(٦) القباء من الخيل: الدقيقة الخصر الضامرة.

وقال ظافر الحداد (؟- ٥٢٩هـ)[١]:

سلِ الخيلَ والسُّمْرَ الذَّوابلَ والوَغى فرسانها والبِيض والبَيْضَ والزَّغْفا

والسمر الذوابل: هي الرماح الرقيقة الجيدة. والبِيض: السيوف. والبَيْض: الخوذ. والزغف: الدروع.

وقال ابن قلاقس (٥٣٢- ٥٦٧هـ) يصف كتيبة[٢]:

بكتائب كتَبَ الإلـ ـهُ أمامَها فتحًا ونَصْرًا

من كلِّ مُتَّشح على بحرِ الدلاصِ الزُغْفِ نَهْرًا

وقال كذلك[٣]:

والبيضُ نحوَ الزَغْفِ ممتدّةٌ جداولٌ تتبعُ غُدْرانا

٣١- السابرية:

هي درع تتميز بأنها دقيقة النسج محكمة الصنع[٤]، أو كما قال أبو العلاء المعري: السَّابِريُّ: الدرع الرقيق النسج[٥]، والجمع: سابريات، قيل إنها تُنسب إلى مدينة سابور[٦]، وقيل منسوبة إلى الملك سابُور[٧].

وقد ورد ذكر الدرع السابرية في قول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ)[٨]:

---

(١) ديوان ظافر الحداد ابن الإسكندرية، تحقيق، حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت، ص٢١٦.

(٢) ديوان ابن قلاقس، ص٤٤٤.

(٣) ديوان ابن قلاقس، ص٥٤١.

(٤) الفيروز آبادي، جـ ١، ص٥٦٩؛ وانظر، النويري، السفر السادس، ص٢٤٢.

(٥) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ٢، ص٥٣.

(٦) العماد الكاتب، الفتح القسي، ص٦٢.

(٧) ابن منظور، مج ٤، ص٣٩٥.

(٨) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٢٢.

مَثَّلتُ عَينَكَ في حِشايَ جِراحَةً ... فَتَشابَها كِلتاهُما نَجلاءُ
نَفَذَتْ عَليَّ السَّابِرِيَّ وَرُبَّما ... تَندَقُّ فيهِ الصَّعدَةُ السَّمراءُ

والمعنى في البيت الثاني: إن عينك نفذت في الدرع الذي أنا لابسه ووصلت إلى لبّي، وربما لم ينفذ في هذا الدرع الرماح.

كما قال ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـ) في وصف جيش[1]:

لبسوا الصقال على الخدود مفضّضًا ... والسابريَّ على المناكب مُذهَبا

كما قال ابن أبي حصينة (٣٨٨- ٤٥٧هـ)[2]:

وَفَوارِسًا سُودَ الجُلُودِ لِطُولِ مَا ... يَصدَا عَلَيهَا السَّابِرِيُّ المُحكَمُ

أي: إن جلود هؤلاء الفوارس ذات لون أسود، وإنما ذلك من جراء صدأ الدروع السابرية التي يطول لبسهم لها.

٣٢- السابِغةُ:

هي الدرع الواسعة[3] الطويلة التامة[4]، قال ابن منظور: والدِّرْعُ السابِغةُ: التي تجرها على الأرض أو على كَعْبَيكَ طُولاً وسِعةً، قال شمر لعبد الله بن الزبير الأسدي (؟- ٧٥هـ)[5]:

وسابِغةٍ تَغْشَى البنان، كأنَّها ... أضاةٌ بِضحْضاحٍ من الماء ظاهِرِ

وعلاوة على قول عبد الله بن الزبير الأسدي، فقد ورد ذكر الدرع السابغة

---

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص٤٢.

(٢) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ص٢٤٦.

(٣) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥؛ وراجع، النويري، السفر السادس، ص٢٤٢؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦١.

(٤) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٠٤٦.

(٥) ابن منظور، مج ٨، ص٥١٤.

لدى كثير من الشعراء، ومن ذلك قول السموأل (؟- ٦٤ق. هـ)[١]:

أَعَدَّ لِلْحَرْبِ كُلَّ سابِغَةٍ فَضْفاضَةٍ كالْغَدِيرِ وَالْيَلَبا

أي: وأعد للحرب دروعًا طويلة واسعة فضفاضة؛ تُشبه في صفائها ماء الغدير.

وقول عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ق. هـ)[٢]:

عَلَيْنا كُلُّ سابِغَةٍ دِلاصٍ تَرى فَوْقَ النِّطاقِ لَها غُضُونا

وقول سلامة بن جندل (؟- ٢٣ق. هـ)[٣]:

فأَلْقَوا لَنا أرسانَ كُلِّ نَجِيبَةٍ وسابِغَةٍ، كأنَّها مَتْنُ خِرْنِقِ[٤]
مُداخَلَةٍ، مِنْ نَسجِ داودَ، سَكُّها كَحَبِّ الجَنَى، مِنْ أَبلَمٍ مُتَفَلِّقِ[٥]

وفي البيت الأول يُثني الشاعر على هذه الدرع السابغة، ويُشبهها بمتن الخرنق -أي ولَدُ الأرنب- في لينها وملامستها. أما في البيت الثاني، فقوله: مداخلة: أي يدخل زردها بعضه في بعض. من نسج داود: يريد بذلك القدم وجودة الصنعة. سكها: أي مساميرها. كحب الجني، من أبلم: أي تُشبه مساميرها ما يُجنى من حب نبت الأبلم، وفي ذلك كناية عن بريق مسامير الدروع.

---

(١) ديوان السموأل، ص١٠٤.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٦٧؛ الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٥٣؛ شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٧٦، ٧٧.

(٣) ديوان سلامة بن جندل، صنعه، محمد بن الحسن الأحول، تحقيق، فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، ص. ص١٧٠- ١٧٣. وعن سلامة بن جندل. انظر، ابن قتيبة، ص١٧٠.

(٤) ألقوا لنا: أي خلَّوا لنا.

(٥) السك: إدخال المسامير في خروق الدروع. يُقال أُحكم سكها: أي سمرها. الأبلم: بقلة تخرج لها قرون كالبقالي وليس لها أرومة، ولها وريقة منتشرة الأطراف كأنها ورق الجزر.

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول عنترة (؟- ٢٢ق. هـ)[١]:

وَمِشَكِّ سابِغةٍ هَتَكْتُ فُرُوجَهَا   بالسَّيْفِ عن حامي الحَقيقَةِ مُعْلَمِ

وقوله "مِشَكِّ سابِغةٍ" أي دروع قد شك بعضها إلى بعض، قاصدًا الزرد، والمعنى في هذا البيت: إنه شق بالسيف درع مزرد يلبسه مقاتل شجاع، فكيف الظن بغيره!

وقول الشاعر الجاهلي عبدُ قَيْسِ بنُ خُفَاف (؟- ؟)[٢]:

وسابِغَةٍ منْ جيادِ الدُّرُو   عِ تَسْمَعُ للسَّيفِ فيها صَليلاَ

كَمَاءِ الغَدِيرِ زَفَتْهُ الدَّبُورُ   يَجُرُّ المُدَجَّجُ منها فُضُـولاَ[٣]

وهنا يقول الشاعر: إنها درع سابغة من جياد الدروع، إذا وقع عليها السيف تسمع صليلاً، وهذه الدرع في صفائها مثل ماء الغدير الذي تصفقه الرياح، ومن طولها يضطر لابسها أن يجر فضولها، لأنها تزيد أو تفضل عن أطرافه.

وقول الشاعر الجاهلي كعب بن أسد بن سعيد القُرَظي (؟- ؟)[٤]:

لا تعدم الأوس منا في مواطنها   نابًا لمن نابها في الحرب ميمونا

لا نُستَخف إذا كان الصياح ولا   نعطي السوابغ إلا أهلهـا فينـا

وقول الشاعر الجاهلي بشر بن شلوة (؟- ؟)[٥]:

لا يَصْدِفون عن الوَغى بنُحُورهم   في كلِّ سابِغَةٍ كَلَوْنِ العِظْلِمِ

والشاعر في هذا البيت يُشبه لون الدروع حين تصدأ، بلون عصارة شجر "العظلم" الذي يتميز بلون أخضر إلى الكدرة.

---

(١) ديوان عنترة، تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٤؛ القرشي، ص١٦٧. وعن عنترة بن شداد. انظر، ابن قتيبة، ص١٥٣.

(٢) المفضليات، ص٣٨٦.

(٣) الدبور: ريح تهب من المغرب تقابل الصبا. زفيها الماء: تطرده وتدفعه.

(٤) المرزباني، ص٢٣٢.

(٥) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٢٣٢.

وقول زهير بن أبي سُلمَى (؟- ١٣ق. هـ) في قصيدة يذكر ملامح من قوة جيش، وبعد إشارته إلى خيول حربها، يقول[1]:

عَلَيها أُسودٌ ضارياتٌ لَبُوسُهُمْ   سَوابِغُ بِيضٌ لا تُخَرِّقُها النَّبلُ

أي: ويمتطي هذه الخيول، فوارس يلبسون دروعًا سابغة، بيضاء، لا تستطيع السهام أن تخترقها.

وقول الأعشى (؟- ٧هـ) وهو يصف جيشًا[2]:

سَوَابِغُهُمْ بِيضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ   مِنَ الْبِيضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتِ

أي: وكانت دروع مقاتلي هذا الجيش طويلة تغطي جسدهم، وهي دروع بيضاء، خفيفة؛ لذا فهي لا تعوق حركتهم، وفوق رؤوسهم بِيض -خوذ- لها بريق يلمع فتبدو كالنجوم.

وقوله كذلك[3]:

سَوَابِغَ مُحْكَمِ الْمَاذِيـ   ـي شدُّوا فَوْقَهَا الحُزُمَا

والماذي: كما سنشير فيما بعد هو جيد الحديد وخالصه، تصنع منه دروعًا تُسمى "الماذية. فيُريد الشاعر القول: إنهم يلبسون دروعًا طويلة فضفاضة، بيضاء، ويتمنطقون فوقها بالحُزُم.

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[4]:

أعددتُ للحَدَثانِ سابغةً وعَدَّاءً عَلَنْدى

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٦٠.

(٢) ديوان الأعشى الكبير، ص٣١١.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص٣٥١.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٨٠.

وقوله[1]:

تمنَّاني وسابغتي دلاصٌ   كأنَّ قتيرَها حَدَقُ الجَرَادِ

جدير بالذكر أن هذا البيت ورد بعدة روايات، منها[2]:

تمنَّاني وسابغتي قميصي   كأنَّ قتيرَها حدَقُ الجَرَادِ

وورد في رواية أخرى مع بيت آخر مكمل له، على هذا النحو[3]:

تمنَّاني وسابغتي دلاصٌ   حروسُ الحسِّ مُحكَمَةُ السَّرادِ
مُضاعفةٌ تخيَّرَها سُلَيْمٌ   كأنَّ سِكاكهــا حَــدَقُ الجــرادِ

ولعمرو بن معدي كرب أيضًا[4]:

وَسَعَتْ نساؤهُمُ بكلِّ مُفاضَةٍ   جَدْلاءَ سابغةٍ وبالأَبـــدانِ

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول كعب بن زهير (؟- ٢٦هـ)[5]:

بيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ   كأنها حلَقُ القَفْعاءِ مَجدولُ

وقول لبيد (؟- ٤١هـ) في عامر بن مالك[6]:

فقد تَكونُ واضحًا خِضَمّا
مُرْتديًا سابغــةً مُعْتَمّــا

واضحًا: أي ظاهرًا مشهورًا. خضما: أي سخيًا كريمًا. مرتـديًا سـابغة: أي لابسًا درعًا فضفاضة طويلة. معتمًا: أي لابسًا عمامة.

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٠٧.

(٢) ابن عبد ربه، مج ١، ص١٣٧.

(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب، ح ٦، ص١٠٧.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٧٣.

(٥) ديوان كعب بن زهير، ص٩١.

(٦) ديوان لبيد، ص٢٠٥.

وأورد ابن هشام مما قيل من الشعر يوم بدر (٢هـ) قول الحارث بن هشام ابن المغيرة –أحد مشركي قريش[١]:

على أنني واللات يا قوم فاعلموا   بكم واثق أن لا تقيموا على تبل
سوى جمعكم للسابغات وللقنا   وللبيض والبيض القواطع والنبل

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول الصحابي كعب بن مالك الأنصاري (؟-٥٠هـ) يوم أحد (٣هـ)[٢]:

يَمْشُونَ نَحْوَ عمايَاتِ القِتَالِ كَمَا   تَمْشِي المَصَاعِبَةُ الأدْمُ المراسيلُ
أو مثلَ مَشْيِ أُسُودِ الظّلِّ ألثَقَها   يَوْمَ رَذَاذٍ منَ الجَوْزَاءِ مَشْمُولُ
في كُلِّ سَابِغَةٍ كالنّهيِّ مُحْكَمَةٍ   قِيَامُها فَلَجٌ كالسَّيْفِ بُهْلُولُ
تَرُدُّ حَدَّ قِرَانِ النَّبلِ خَاسِئَةً   وَيرْجِعُ السّيفُ عنها مَفْلُولُ

ويُشير الشاعر في أول هذه الأبيات إلى أن جماعة المسلمين وهم يمشون بالدروع يبدون كأنهم الجمال تارة، أو الأسود تارة أخرى. وفي البيتين التاليين يذكر أنهم كانوا يلبسون دروعًا سابغات محكمات، صافيات كمياه الغدير أو الفلج –النهر الصغير– ثم يقول: وهي دروع قوية، تستطيع أن ترد السهام خائبة، وإذا ما ضربها السيف، فحده لابد أن يُفل أي يكسر.

كما قال يوم الخندق (٥هـ)[٣]:

قَذَفْنا في السَّوَابِغِ كلَّ صَقْرٍ   كريمٍ غيرِ مُعْتَلِثِ الزّنَادِ[٤]

أي: ودفعنا في الدروع الفضفاضة الطويلة، فرسان أشداء كالصقور، معروفة أصولهم.

---

(١) ابن هشام، جـ ٢، ص٢٨٠.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٨٥؛ ابن هشام، ج٣، ص٨٢.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٤٠؛ ابن هشام، جـ ٣، ص١٦٠.

(٤) المعتلث: المنتسب إلى غير أبيه.

وقال يوم الخندق أيضًا[١]:

فِي عُصْبَةٍ نَصَرَ الإِلَهُ نَبِيَّـهُ   بِهِمُ وكانَ بِعَبْدِهِ ذَا مَرْفَقِ[٢]
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخُطُّ فُضُولُهَا   كالنِّهيِ هَبَّتْ رِيحُهُ المُتَرَقْرِقِ
بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كأَنَّ قَتِيرَهَا   حَدَقُ الجَنَادِبِ ذَاتُ شَكٍّ مُوثَقِ
جَدْلاءُ يَحْفِزُهَا نِجادُ مُهَنَّدٍ   صَافِي الحَدِيدَةِ صَارِمٍ ذِي رَوْنَقِ
تلكُم مَعَ التَّقْوى تكونُ لِبَاسَنَا   يومَ الهِيَاجِ وكلُّ سَاعَةِ مصدقِ

ويُشير الشاعر في البيت الأول إلى جماعة المسلمين التي ترعاها عناية الله. وفي البيت الثاني، يذكر أنهم في حرب هذا اليوم، كانوا يلبسون دروعًا سابغة، من طولها كانت ترسم على الأرض خطوطًا، وهي دروع تُشبه في صفائها ماء الغدير المترقرق. أما في البيتين التاليين، فيُشير إلى صفات أخرى لهذه الدروع – وقد مر بنا ذكرها– وفي آخر هذه الأبيات، يقول: هذه الدروع وتقوى إيماننا، تكون لباسنا عند الحرب، وعند الساعة الحاسمة.

وله أيضًا يوم الخندق[٣]:

تَرانَا فِي فَضَافِضَ سَابِغَاتٍ   كغُدْرَانِ المَلا مُتَسَرْبِلِينَا

أي: وترانا لابسين دروعًا واسعة فضفاضة طويلة، تُشبه في صفائها ماء الغدران.

كما قال أيضًا[٤]:

عليَّ فَضْفَاضة كالنِّهي سابغة   وصارم مثل لون الملحِ مصقولُ

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول الصحابي عباس بن مرداس (؟-

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٧٦؛ ابن هشام، جـ ٣، ص١٥٨.

(٢) العصبة: الجماعة. المرفق: الرفق والعناية.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٠٥؛ ابن هشام جـ ٣، ص١٥٥.

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص١٢٦.

١٨هـ) يوم حنين (٨هـ)[١]:

كانت إجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقنع

في كل سابغة تخير سردها داود إذ نسج الحديد وتبع

ولبجير بن زهير قصيدة في حنين والطائف، نظمها عندما انصرف الرسول ﷺ من الطائف (٨هـ) بعد القتال والحصار، منها[٢]:

في كل سابغةٍ إذا ما استحصنتْ كالنِّهْي هبتْ ريحهُ المترقرق

جُدُل تمسُّ فضولُهن نعالَنا من نسّجِ داودَ وآلِ مُحرّقِ

كما ورد ذكر الدرع السابغة في قول حميد بن ثور (؟- ٣٠هـ)[٣]:

من كل أبيضَ هنديٍّ وسابغةٍ تَغْشى البَنان لها من نَسجِها حُبُكُ

والمعنى: إن هذه الدرع السابغة كانت تصل إلى البنان، وهي منسوجة من طرائق -حُبُك- مختلفة.

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[٤]:

فيه الرماحُ وفيه كلُّ سابِغَةِ جَدْلاءَ مُبْهَمَةٍ من صنْعِ سَلاَّمِ

وقول حسان بن ثابت (؟- ٥٤هـ)[٥]:

---

(١) ابن هشام، جـ ٤، ص٦٦.

(٢) ابن هشام، جـ ٤، ص٨١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٢، جـ ٤، ص٣٥١. وبجير: هو ابن زهير بن أبي سلمى، أسلم قبل أخيه كعب. للاستزادة، راجع، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ١، ص٢٣٠، ٢٣١

(٣) ديوان حميد بن ثور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص٧٥. وهذا الشاعر من الصحابة، ترجم له بن الأثير الجزري، انظر، أسد الغابة، ص٧٢، ٧٣؛ وعنه انظر أيضًا، ابن قتيبة، ص٢٥٢.

(٤) ديوان الحطيئة، ص١٢٨.

(٥) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمامي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ص١٢٥. وعن حسان بن ثابت. انظر، ابن قتيبة، ص١٩٢.

وَقَدْ أراني أَمَامَ الْحَيِّ مُنْتَطِقًــا   بِصارِمٍ مِثْلِ لَونِ الْملحِ قَطَّــاعِ
تَحفِزُ عَنِّي نِجادَ السَّيْفِ سَابِغَةٌ   تَغْشَى الأَنَامِلَ مثْلُ النِّهْيِ بِالْقَاعِ

ويقول في البيت الثاني: وتدفع عني حمالة السيف درعًــا طويلــة، تغطــي أناملي، وقد شبه هذه الدرع بالنهى –أي الغدير من الماء– بالقاع.

وقول كُثَيِّر عَزَّة (٤٠- ١٠٥هـ)(١):

بِأَيْدِيهِمْ خَطِّيَّةٌ وعَلَيْهِمُ   سَوابِغُ فِرْعَوْنِيَّةٌ جُدِلَتْ جَدْلا

أي: ويحمل فرساننا في أياديهم رماحًا خطية، ويلبسون على أجسامهم دروعًا طويلة فضفاضة، شديدة تُنسب إلى الفراعنة، حُبك منها الزرد حبكًا محكمًا.

وقول جرير (٣٣- ١١٤هـ) في قصيدة يهجو الأخطــل، مفتخــرًا بقومــه ويقول(٢):

لَنَا تحتَ المَحامِلِ سابِغاتٌ   كَنَسْجِ الرِّيحِ تَطْرِدُ الحَبَابَا

وهو يُشير في الشطر الأول إلى أن فرسان قومه يلبســون أســفل حمائــل السيوف دروعًا طويلة، أما في الشطر الثاني فيُشبه حلق هذه الدروع بالفقــاقيع التي تعلو الماء إذا حركته الريح.

وقول السيد الحميري (١٠٥- ١٧٣هـ)(٣):

في فيلقٍ فيه السوابِغُ والقَنا   والبيضُ تلمعُ كالحريق المُلْهَبِ

أي: وقد كان هذا الفيلق من الجيش يلبس دروعًا سابغات، ويصطحب رماحًا وسيوفا تلمع كالحريق الملهب.

---

(١) ديوان كثير عزة، ص٢١٦.
(٢) ديوان جرير، ص٥٩.
(٣) ديوان السيد الحميري، اعتنى به وقدم له وعلق عليه، نواف الجراح، دار صــادر، بيــروت، ١٩٩٩م، ص٤١.

وقوله كذلك[1]:

غداةَ مشى الأكفاءُ من آلِ هاشمٍ إلى عبدِ شمسٍ في سرابيلِ أهوال
كأنّهم والسابغاتُ عليهمُ مصاعبُ أجمالٍ مَشَتْ تحتَ أحمالِ[2]

ويُشير الشاعر في هذين البيتين إلى ملمح من ملامح معركة بدر. والأكفاء: يقصد بهم علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ﷺ. ويقول: حين تقدم هؤلاء الأكفاء إلى بني عبد شمس، وهم لابسين دروعًا تهول لها العين، بدوا في هذه الدروع السابغات كفحول شديدة مشت وهي محملة بأحمال.

وله كذلك في رثاء الحسين ﷺ قصيدة، أشار فيها إلى جيش بني أمية، ويقول[3]:

فغدوا له والسّابغا تِ عليهمِ والمَشرفيّة

أي: وقصدوه وهم مدججون بالسلاح، فيلبسون دروعًا سابغة، ويحملون سيوفًا مشرفية[4].

وجاء ذكر الدرع السابغة في قول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ)[5]:

تَرُدُّ عنْه قَنا الفُرسانِ سابغَةٌ صَوبُ الأسِنَّة في أثنائها دِيَمُ
تَخُطُّ فيها العَوالي لَيس تَنفُذُها كأنَّ كلّ سِنانٍ فَوقَها قَلَمُ

---

(١) ديوان السيد الحميري، ص١٣٣.

(٢) المصاعب: ج مصعب، وهو الفحل الذي تُرك فلم يُركب فصار صعبًا.

(٣) ديوان السيد الحميري، ص١٨٠.

(٤) المشارف قرى من أرض اليمن، وقيل من أعرض العرب تدنو من الريف، والسيوف المشرفية منسوبة إليها. ابن منظور، مج ٩، ص٢٠٨؛ وراجع ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص١٩.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٣٤١؛ وانظر، الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٥٢.

وكأنّهم في السّابغاتِ صوارم والسّابغات لهم من أغماد
أُسْد عليهم من جلودِ أراقـمِ قُمُصٌ أزِرّتُها عيونُ جراد

والمعنى في البيت الأول: وكأنهم وهم لابسون هذه الدروع السابغات، سيوفًا، وهذه الدروع السابغات أغماد هذه السيوف. أما في البيت الثاني، فيقول: إنهم يبدون كأُسد ترتدى دروعًا رقيقة تُشبه جلود الحيات –وقد شبهها بذلك لروعة جلد الحية، وتمتعه بالرقة، والخفة، والنعومة، وعجب الصنعة والتركيب– ومساميرها تُشبه عيون الجراد؛ التي تتميز بلمعانها.

وقوله كذلك(١):

والسابغاتُ على الكماة حبائكٌ كحباب ماء أو نثيرِ غدائر

وقوله أيضًا(٢):

في كلّ سابغةٍ كأنّ قتيرَها حدَقُ الجنادبِ في سرابِ المجْهَل
ماذيّةٌ يشكو لكثرة لحمها ضُرّاً بلا نفـعٍ لسانُ المُنْصُـل
كغمامةٍ يجلو عليك بريقُها في السّرد لمعَ البارقِ المُتهَلّـل

وقال ابن سناء الملك (٥٥٠– ٦٠٨هـ) يمدح صلاح الدين الأيوبي بعد فتحه لحلب(٣):

أتَى إليها يقودُ البحـرَ مُلتَطِمًـا والبِيضُ كالمَوجِ والبَيْضَاتُ كالْحَببِ
تبدو الفوارسُ منه في سَوابِغِها بين النقيضين من ماءٍ ومن لهـبِ
مُسْتَلْئِمين ولولا أنّهم حَفِظُـوا عوائدَ الحربِ لاسْتَغْنَوا عن اليَلَـبِ

---

(١) ديوان ابن حمديس، ص٢١٠.
(٢) ديوان ابن حمديس، ص٣٨٥.
(٣) ديوان ابن سناء الملك، تحقيق، محمد إبراهيم نصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد (٩١)، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢.

وله قصيدة في مدح الملك الأفضل بن صلاح الدين، منها قوله[1]:

مَلكٌ له البِيْض تِيجَانٌ وما بَرِحَت   له السوابغ في يَومِ الوَغَى حُلَلا

وله قصيدة أخرى في مدح الملك الأفضل كذلك، منها[2]:

زانَ السِّلاحَ الذي يحوي وشَرَّفَه   فالمشْرَفيُّ بذا سمَّوه واليَزَنـــي
وقد بكَتْ إذ قَلاها كــلُّ سابغَــة   فَشِدَّةُ البأس تُغْنِيه عَن الجُنَــن
يَعزُّ للدِّرْعِ من قرَّتْ شَجَاعَتُــه   وقد يكونُ لبعضِ النَّاسِ كَالكَفَن

وفي ترجمة ابن سعيد الأندلسي (٦١٠- ٦٨٥هـ) للشاعر ابن الساعاتي (ت ٦٠٤هـ)، أورد قوله[3]:

قُمْ يا نَديمُ إلى مُباشرة الْوَغَى   فالحربُ قائمةٌ ونحن هُجُودُ
القَطْرِ نَبْل والغَديرُ سَوابـــغ   والبرقُ بِيض والغمام يَقود

وقال ابن سهل الأندلسي (٦٠٥- ٦٤٩هـ)[4]:

قومٌ إذا ركبوا الخيول حسبتهــا   عقبانَ جوٍّ حُمِّلَت أُسْدَ الشَّرى
أو شمت مُسْبَغَةَ الدروعِ عليهمُ   أبصرْتَ أنهارًا تضـــمُّ الأبحــرا

٣٣- السِّرْبالُ:

هو القميص والدِّرْع، وقيل: كُلُّ ما لُبِسَ فهو سِرْبالٌ[5]، ويُقال: تَسَرْبَل دِرْعَ،

---

(١) ديوان ابن سناء الملك، ص٢٤٢.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص٣٥٥.

(٣) ابن سعيد، أبي الحس علي بن موسى الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شــعراء المائــة السابعة، تحقيق، إبراهيم الإبياري، سلسلة ذخائر العرب (١٤)، ط ٤، دار المعارف، القاهرة د. ت، ص١٢٤.

(٤) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص١٣٢.

(٥) ابن منظور، مج ١١، ص٤٠٠.

وبِدِرْعِه وسَرْبَلْته إيَّاها وبها[1]. قال عنتـرة بـن شـداد (؟- ٢٢ق. هـ/ ؟- ٦٠١م)[2]:

وَلَقَدْ لَقيتُ المَوْتَ يَوْمَ لَقيتُهُ مُتَسَرْبِلاً والسَّيْفُ لَمْ يَتَسَرْبَلِ

والمعنى: لقد دخلت غمار الحرب لألقى الموت وأنا لابس درعي، وسيفي غير مسربل أي مجرد مسلول.

والسربال بمعنى الدرع، ورد في قوله تعالى: ﴿ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [3] أي لباس كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك[4].

وقد ورد ذكر السربال بمعنى الدرع أيضًا في قول كثير من الشعراء، ومـنهم مُهَلْهَل بن رَبْيعَة (؟- ٩٤ق. هـ)، فله[5]:

قَرِّبَا مَرْبَطَ المُشَهَّرِ مِنِّي قَرِّباهُ وَقَرِّبَا سِرْبَالِي

والمُشَهَّرُ: هو حصان الشاعر. وهنا يقول: قربا مني مربط فرسـي، وقربـا كذلك درعي، لأنه لا يريد الاستبطاء عند الطلب لخوض غمار الوغى.

وقول ابن أبي الحقيق (؟- ؟)[6]:

بفَيْلَقٍ تُسْقِطُ الأَحْبالَ رؤيتُها، مُستَلْئِمي البَيْضِ من فوق السَّرابيلِ

أي: وإذا رأت النساء الأحبال هذا الفيلق -الجيش العظيم- وجنوده لابسـين الدروع والخوذ، لتُسقط ما في أرحامها رهبة من منظره.

---

(١) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤.

(٢) ديوان عنترة، ص٨٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٨١.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ ٣، ص٥٩٨.

(٥) دوان مهلهل بن ربيعة، ص٧١.

(٦) ابن منظور، مج ١٢، ص٦٣٠.

وقول علقمة بن عبدة (؟- ٢٠ق. هـ)(١):

تُقَدِّمُهُ حتَّـى تَغِيـبَ حُجُولـهُ   وأنتَ لِبَيْضِ الدّارِعينَ ضَرُوبُ(٢)

مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ، عليهما   عَقِلاَ سُيوفٍ مِخْذَمٌ ورَسُـوبُ(٣)

ويقول في البيت الثاني: ظاهرت بين درعين أي لبست واحدة على الأخـرى، عليهما سيفين: مخذم، ورسوب.

وقول أوس بن حجر (٩٥- ٢ق. هـ)(٤):

فَلَنِعْمَ رِفْدُ الحيِّ ينتظرُونَهُ   ولَنِعمَ حَشْوُ الدِّرْعِ وَالسِّرْبالِ

وقوله أيضًا(٥):

سَرابيلُنا في الرَّوْعِ بيضٌ كأنّها   أضَا اللُّوبِ هَزّتْها من الرِّيحِ شمألُ

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ- ١١هـ)(٦):

نَحْنُ الكُماةُ لِذي الوَغَى في هَوْلِه   والخَاضِبُونَ مُجَوَّبَ السِّرْبالِ

أي: ونحن الفرسان الشجعان عند الحروب، ونقتِّل فيها، فتُخضب الدم دروعنا.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)(٧):

إذا ما مَذْحِجٌ قذفتْ عليها   سرابيلاً لها من كلِّ سَرْدِ(٨)

---

(١) المفضليات، ص٣٩٤.

(٢) تقدمه: أي في الحرب. حجوله: ما في قوائمه من بياض، تغيب في الدم حتى يواريها.

(٣) عقيل كل شيء: كريمه وخيرته. المخذم: القاطع الذي يبين الضريبة. الرسوب: الغائص فيها لا ينبو عنه.

(٤) ديوان أوس بن حجر، ص١٠٨.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، ص٩٠. ولم أقع على هذا البيت في ديوان أوس.

(٦) ديوان عامر بن الطفيل، ص٩٠.

(٧) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٩٦.

(٨) مذحِجٌ: هم من يفتخر بهم الشاعر.

وتَركًا للرؤوسِ مُسَبَّغاتِ   إلى الغاياتِ من زَغْفٍ وَقَدِّ

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يوم أحد (٣هـ)[١]:

وَلَو هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيلِ كَافَحَكُمْ   ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ البِطْحَاءِ تَرْعِيلُ[٢]

تَلْقَاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النَّبيِّ لَهُمْ   مِمَّا يعدُّونَ للهَيْجَا سَرَابِيلُ

وقول ضرار بن الخطاب الفهري (؟- ١٣هـ)، يوم أحد، وهو من جيش كفار قريش[٣]:

فَظَلَّ مُهْرِي وسِرْبَالِي جَسِيدُهما   نَفخُ العُروقِ، رِشاشُ الطَّعنِ، والوَرَقُ

أي: وقد صُبغ مهري ودرعي بدم الخزرجيين، ومنه دم رمت به عروقهم حين طُعنوا، وآخر رمته جراحاتهم قطعا غليظة، علقت بمهري ودرعي.

وقول عبد الله بن الزبعري -أحد مشركي قريش- يوم أحد[٤]:

وسرابيل حسان سريت   عن كماة أُهلكوا في المنتزل[٥]

وقول كعب بن زهير (؟- ٢٦هـ) في قصيدته الشهيرة التي مدح بها رسول الله ﷺ[٦]:

شُمُّ العَرانينِ أبطالٌ لَبوسُهُمُ   من نسج داودَ في الهَيجا سَرابيلُ

وقول لبيد (؟- ٤١هـ) يمدح شخصًا[٧]:

حتى إذا شَقَّ الصَّباحُ الفَجْرَا

---

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٨٥.

(٢) كافح: حارب وجاهد. الشاكلة: الناحية. الترعيل: الضرب السريع.

(٣) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص٧٣.

(٤) ابن هشام، جـ ٣، ص٧٣.

(٥) سريت: جردت.

(٦) ديوان كعب بن زهير، ص٩١؛ القرشي، ص٢٨٧؛ ابن منظور، مج١١، ص٤٠٠.

(٧) ديوان لبيد، ص٨٢.

أَلْقَى سَرَابِيلاً شَلِيلاً غَمْرَا[1]

فَنُثِرَتْ فَوْقَ السَّوَامِ نَثْـرَا

فَلَمْ تُغَادِرْ لِكِـلابِ وِتْـرَا

كما ورد ذكر السرابيل أي الدروع في قول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[2]:

وحَثَّهُ الرَّكْضُ والسِّرْبالُ سابِغَةٌ إلى نِداءٍ بِظَهْرِ الغَيْبِ تَثْوِيب

وقول كثير (٤٠- ١٠٥هـ)[3]:

يجرّ سربالا عليه كأنه سبيُّ هلال لم تُخرّق شرانقه

والشاعر في هذا البيت يُشبه السربال أو الدرع بـ "سبيِّ الهلال": أي سلخ الحية. ويرجع ذلك لروعة جلد الحية، وتمتعه بالرقة، والخفة، والنعومة، وعجب الصنعة والتركيب[4].

وقول ذو الرُمَّة (٧٧- ١١٧هـ)[5]:

لَبِسنا لها سَرْدًا كأنَّ مُتونَهـا على القومِ في الهَيْجا مُتونُ الخَرانِقِ

سَرابيلَ في الأَبدانِ فيهِ صُدْأَةٌ وبَيْضًا كبَيْضِ المُقْفِـراتِ النَّقانـقِ

ويقول في البيت الأول: لبسنا -للإغارة- دروعًا، تُشبه في لينها لين متنون الخرانق: وهي الأرانب. ويقول في البيت الثاني: وصدأ هذه الدروع ظاهر على الأبدان -لكثرة لبسهم إياها- كما لبسنا خوذًا تشبه بيض النعام.

---

(١) والشَّلِيلُ -كما سيتبين فيما بعد: قيل هي الغِلالة التي تُلْبَسُ فوق الدِّرْع، وقيل: هي الدِّرْع الصغيرة القصيرة تكون تحت الكبيرة. غمرًا: غامرًا سابغًا.

(٢) ديوان الحطيئة، ص٢٢٤.

(٣) الزمخشري، جـ ١، ص٤٢١.

(٤) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، سلسلة الذخائر، العدد (٧٧)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت، جـ ٤، ص١٧٧.

(٥) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص١٤٥.

وقول بشار بن برد (٩٥- ١٦٧هـ) في قصيدة يمدح المهدي[١]:

وتُبَّعٌ وسرابيلُ الحديدِ له   أزمانَ يُنسجُ في أزمانه الزَّرَدُ

وفي القصيدة نفسها يقول:

إن فاخَرُوكَ بمَجدٍ كنتَ أمجدَهُم   وما ظَلَمتَ وأنتَ الماجِدُ النَّجُدُ

أو صالحوكَ فصُلحٌ ما رَعَوكَ به   أو حاربوكَ ففي سِربالِكَ الأَسدُ

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٢]:

وتَسوَدُّ مِنْ حَمْلِ السلاحِ ولُبْسِهِ   سَرَابيلُ وَضّاحٍ، بهِ المِسكُ رَادِعُ

والمعنى: لقد اسود لون جلده، من كثرة حمله السلاح، ولبسه دروعًا حسنة مضيئة، ورغم ما لحديد هذه الأسلحة من رائحة متغيرة، ففيه أثر رائحة المسك.

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـ) يمدح أحد الأشخاص، ويقول[٣]:

مُضاعَفُ نسج العِرض يمشي كأنما   يلُوثُ به سِربالَ داودَ لائث

ويلوث أي: يلف. وأراد بسربال داود: الدروع الداودية، جعل له درعًا مضاعفة النسج لا يستطيع أحد هتكها، أي أن عرضه خالص النقاوة، لا يُمكِّن أحدًا أن يلطخه[٤].

ويرثي آخر ويقول[٥]:

ماتَ مَنْ لوْ عاشَ في سِرْبالِهِ   غلبَ النُّورُ عليهِ فاتَّقَدْ

(١) ديوان بشار بن برد، ص٢٣٢.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٨٥.

(٣) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص٦٣.

(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي، ح ٢، ص٦٣.

(٥) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص١٢١.

وقول الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ)(١):

وَلَم يَبْقَ مِنّي في مُهاواتِنا السُّرى وَمَنْ صاحِبي إلاّ نِجادٌ وَسِرْبالُ

والمعنى: لم يبق مني ومن صاحبي في موافقتنا السرى ومداومتنا عليه، إلا نجاد: أي حمالة السيف. وسربال: أي درع.

وقال كذلك(٢):

وَهُمْ في سَرابيلِ الحَديدِ ضَراغِمٌ وَمِنْ قِصَدِ خَطِّيَّةٍ أَجَماتُها(٣)

كما قال كذلك(٤):

وَسِرْبالِي مُضاعَفَةٌ أُفيضَتْ على نَزَقِ الشَّبابِ المُرْجَحِنِّ

كَأنّي خائِضٌ مِنْها غَديـرًا يَشُبُّ النّارَ فيهِ خَبيءُ جَفْنِ(٥)

وقال أيضًا(٦):

وَنَعْتَقِلُ الرِّماحِ مُثَقَّفاتٍ وَنَرْفُلُ في سَرابِيلِ الحَديدِ

وله كذلك(٧):

وَما أُمُّ ذَيّالِ السَّرابيلِ باسِلٍ طَوِيلِ نِجادِ السَّيْفِ عَبْلٍ مَناكِبُهْ

ولابن سناء الملك (٥٥٠- ٦٠٨هـ) قصيدة مدح في الملك الكامل بن العادل، منها قوله(٨):

---

(١) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص١٢٠.

(٢) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص٢٨٠.

(٣) القصدة بالكسر: القطعة من الشيء إذا انكسر، والجمع قِصَد. يُقال: قد انقصد الرمح وتقصدت الرماح إذا تكسرت.

(٤) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص٥٧.

(٥) خبّي جفن: كناية عن السيف. والسيف إذا اصطك بالدرع الحديد أثار الشرار.

(٦) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص٧١.

(٧) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص١٩١.

(٨) ديوان ابن سناء الملك، ص٢٥٤.

فتىً يهبُ السِّرْبالَ في حَوْمَةِ الْوَغى ودِرْعُ الفَتىَ في ذَلِكَ الْيومِ سِرْبَالُ

٣٤- السَّرْدُ:

السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلَق[١]، والسَّرَّاد: هو الزَّرَّاد[٢]، أي صانع الدروع.

جدير بالذكر أن كلمة السرد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾[٣]، وفي هذه الآية يُشير "سبحانه" إلى أنه قد ألان لنبيه "داود" عليه السلام الحديد، وعلمه كيف يصنع منه الدّروع متقنة سابغة، أي واسعة فضفاضة. حيث كانت الدروع قبله تُصنع من صفائح ثقيلة، وغير سابغة، وكان "داود" عليه السلام أول من سردها، وحلقها فجمعت بين الخفة والتحصين[٤].

وعلى الرغم من أن هناك اتفاقًا -كما تقدم- على أن السرد اسم جامع لسائر الدروع والحلق، فقد تباينت التفسيرات حول قوله تعالى:" وقدر في السرد"، فقيل: أي وقدر في مسامير حلق الدروع، بحيث ألا يجعل المسمار غليظًا والثقب ضيقًا فيقصم الحلق، ولا يجعل المسمار دقيقًا والثقب واسعًا فيتقلقل أو ينخلع أو يتقصف. بينما قال آخرون: السرد: هو الحلق الحديد، كما قال بعضهم: درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق[٥] واستشهد بقول أبو ذؤيب

---

(١) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤؛ ابن منظور، مج ٣، ص٢٦٠؛ النويري، السفر السادس، ص٢٤٢؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦١.

(٢) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤؛ ابن منظور، مج ٣، ص٢٦١.

(٣) سورة سبأ: الآية ١١.

(٤) سعد بن عبد الله الجنيدل، ص١٠، ١١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ ٣، ص٥٤٤.

الهذلي (؟- ٢٧هـ)[١]:

وعليهما مَسْرُودَتانِ قَضَاهُما　　دَاوُودُ أو صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ

وقال أبو العلاء المعري: السَّرْدُ: نَسْج الدُّرُوع أصل ذلك درع مسرودة قد أتبع نسجها بعضُه بعضًا كقولهم (سَرَدْتُ الكلام) إذا تابعته[٢] ونسج الدرع هو تداخل الحلق بعضها في بعض، كما قيل السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق وما أشبهها من عمل الخلق، وسمي سردًا لأنه يُسْرَد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار فذاك الحَلَق المسْرَد[٣]. ويؤيد ذلك قول عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ- ١١هـ)[٤]:

بالبَاسِلِينَ مِنَ الكُمَاةِ عَلَيْهِمُ　　حَلَقُ الحديدِ يَزِينُها السَّرْدُ

على أية حال فقد ورد ذكر السرد أي الدروع في قول الشاعر الجاهلي شهاب بن نويرة (؟- ؟)[٥]:

وحرقاء مِعْ بني عِجْلٍ حَمَتْها　　سَيُوفُ الهندِ والسَّرد الحصيدُ

وقول ضرار بن الخطاب (؟- ١٣هـ) يوم أحد (٣هـ) وكان حينئذ من المشركين[٦]:

سِرْنَا إلَيهِمْ بِجَيْشٍ في جَوانبهِ　　قَوانِس البَيْضِ والمحبوكةُ السرُدُ

أي: وانطلقنا إليهم بجيش استكمل فرسانه عدّة الحرب، فلبسوا الخوذ، والدروع المحكمة النسج.

---

(١) ورد هذا البيت في المفضليات، ص٤٢٨.

(٢) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ٢، ص١٦٥.

(٣) ابن منظور، مج ٣، ص٢٦٠.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل، ص٤٢؛ وانظر، ديوان شعر المتلمس الضبعي، ص٢٤٨، ٢٤٩.

(٥) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٣٠٨.

(٦) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص٥١؛ ابن هشام، جـ ٣، ص٩٣.

وقول ذو الرُّمَّة (٧٧- ١١٧هـ)[١]:

لَبِسنا لها سَرْدًا كأنَّ متُونَهـا على القومِ في الهَيْجا مُتونُ الخَرانِقِ

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٢]:

بَسطَةٌ في السّلاحِ يَعجِزُ عنها سابغُ السَّرْدِ زَغْفُهُ، وَدِلاصُهُ

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ)[٣]:

ويلبسونَ مِنْ حديدٍ سَرْدًا

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨- ٤٥٧هـ)[٤]:

أَتَوْا يَثْقَلُونَ الأَرْضَ مِنْ فَوْقِ شُزَّبٍ إذا أَسْرَعَتْ في الخَطْوِ أَثْقَلَها السَّرْدُ

يُواريهمُ نَسْجُ الحَديدِ عَلَيْهِمُ فَما فيهِمُ مَنْ مِنْهُ جارِحَةٌ تَبْدُو

ويقول في البيت الأول: لقد أتى الفرسان يثقلون الأرض وهم يمتطون صهوات جيادهم الضامرة، والتي إن أسرعت في خطوها أثقلها دروع الفرسان. ويقول في البيت الثاني: إن هذه الدروع المنسوجة من حلق الحديد، تستر هؤلاء الفرسان، فحتى جوارحهم لا تبدو منها.

كما قال ابن أبي حصينة كذلك[٥]:

وَلا يَرْتَضي السَّرْدَ الدِّلاصَ وَبَأْسُهُ يُحَصِّنُهُ ما لا يُحَصِّنُهُ السَّرْدُ

أي: ويرفض -عند الحرب- لبس الدرع الدلاص، فإنه يتوقى ببأسه؛ الذي يحميه عوضًا عن الدرع.

---

(١) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص١٤٥.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص١٢٨.

(٣) ديوان ابن حمديس، ص١٢٧.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ص٣٣.

(٥) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ص٧١.

وقول ابن سهل الأندلسي (٦٠٥- ٦٤٩هـ) يمدح الرئيس أبا عثمان بن حكم (ت ٦٨٠هـ)، صاحب منورقة[١]:

أتيْتَ في الدّرعِ فوق الطِّرْفِ مرتديًا ... ماضٍ كحامله لو أعطيَ الفَهَما
كالبحرِ في النّهرِ فوق السّيلِ مُتّشحًا ... بجدولٍ قد شفى في الشرك كلَّ ظما
والسَّرْدُ قد ضاقَ ذَرْعًا إذ حواكَ علَى ... من لم يُضِقْ صدرَهُ خطبٌ وإن عظُما

كما قال يمدح الوزير أبا عمر بن الجدّ سنة (٦٤١هـ)[٢]:

أو هُدْبُ حُلّته في السلمِ يلبَسُها ... وهذهِ في الوغَى سَرْدٌ يُدَرَّعُهُ
أوْ تِلْكَ مِغْفرُ عزٍّ فوْقَ مَفْرِقِهِ ... وتِلْكَ تاجٌ مَعَاليهِ تُرَصِّعُهُ

٣٥- السعدية:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ، نسبة إلى سعد: وهو موضع يصنع به الدروع، وقيل: إنها كانت درع داود[٣].

٣٦- سُكٌّ:

سُكٌّ وسَكّاءُ: قيل هي الدرع الرقيقة الحلق، أو الضيقة الحلق[٤]، وقيل هي الضيقة من الدروع[٥].

---

(١) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص١٨٦، ١٨٧.

(٢) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص٢٣٦.

(٣) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤. وعن هذه الدرع. انظر، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، جـ ١، ص٥٣.

(٤) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦١؛ وانظر، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥؛ الزمخشري، جـ ١، ص٤١٥؛ النويري، السفر السادس، ص٢٤٢؛ ابن منظور، مج ١٠، ص٥٣٢.

(٥) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٢٤٩.

وقد ورد ذكر هذه الدرع في قول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[١]:

كأنّ النّجومَ المُستَسِرَاتِ، في الدّجى، سِكاكُ دِلاصٍ، أو عُيُونُ جَرَادِ

٣٧- السُّلُوقِيَّةُ:

الدروع السَّلُوقِيَّة: قيل نسبة إلى سلوق، إحدى قرى اليمن التي كانت تُصنع بها[٢]، وقال بعضهم إنها بالشام[٣]، والرأي الأول هو الأكثر رجحانًا، كما سيتضح فيما بعد.

وقد ورد ذكر هذه الدرع في قول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)[٤]:

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضاعَفَ نَسْجُه، وتوقِد بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِب

وقول كثير عزة (٤٠- ١٠٥هـ)[٥]:

وشهباء تَرْدِي بالسَّلوقِيِّ فَوقَها سَنَا بارقاتٍ تكرهُ العَينَ خالَها

أي: رب كتيبة شهباء -مدججة بالسلاح- يرتدي رجالها الدروع السلوقية، وتلمع أسنتها كالبرق الخاطف ...

وقول ذو الرُّمَّة (٧٧- ١١٧هـ)[٦]:

تَجُرُّ السَّلُوقِيَّ الرِّبابُ وراءها وسعدٌ يَهُزّونَ القَنا حين تُذْعَرُ

قال شارح الديوان: السَّلُوقيةُ: الدّروعُ، منسوبة إلى "سَلوقَ": قرية باليمن

---

(١) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٤٣٤.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص٤٤؛ ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥؛ ابن منظور، مج ١٠، ص١٩٥؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦١؛ القلقشندي، جـ ٢، ص١٥١.

(٣) ديوان ابن حمديس، ح ١، ص٥١٢.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص٤٦؛ وراجع، ابن منظور، مج ١٠، ص١٩٥؛ ابن قتيبة، ص٩٦؛ الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص٤٠.

(٥) ديوان كثير عزة، ص٢٣٠.

(٦) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص٣١٦.

"تُذْعَرُ"، يعني الإبلَ.

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ)[1]:

وتخالهمُ فيها ادّرَعوا   بِسَلوقَ وقد سَلّوا اليَمَنَا
وكأنّ سوابغَهُمْ حَبَبٌ   قد جاشَ بهم ماءٌ أجِنَـــا

٣٨- السُلَيمِيّةُ:

دروع تُنسب إلى سيدنا سليمان ﷺ[2]، غير أن ابن سيدة ذكر أن المقصود نسبتها إلى أبيه سيدنا داود ﷺ، لأنه أول من عمل الدروع[3]، أو كما مر بنـا أول من عمل الدروع المحكمة الصنع. وإن كان يُؤخذ في عين الاعتبار أنه وصلنا ما يُقيد أنه كما كان داود ينسج الدروع، فكان ابنه سليمان ينسجها أيضًا، قال لبيد (؟- ٤١هـ) يرثي النعمان بن المنذر[4]:

وَما نَسَجَتْ أسرَادَ داود وابنِهِ   مُضاعَفَةً مِنْ نَسْجِهِ إذْ يُقابِلُ

وأيًا كان الأمر فقد ورد ذكر الدروع المنسوبة إلى سيدنا سليمان فـي قـول النابغة (؟- ١٨ق. هـ)[5]:

وكلّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَعِيَّةٍ،   ونَسْجُ سُلَيمٍ كلَّ قَضّاءَ ذائِلِ

وعن شرح هذا البيت قال الأصمعي: وقوله: "ونسج سُلَيم" أراد نسج سليمان، وأراد بسليمان داودَ، لأنه أول من عمل الدروع، فنُسبت إليه، لذلك قال الشـاعر الجاهلي الأسود بن يعفر (؟- ٢٣ق. هـ)[6]:

---

(١) ديوان ابن حمديس، ص٥١٢.

(٢) راجع، ابن منظور، مج ١٢، ص٣٤٩.

(٣) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٤) ديوان لبيد، ص١٣٥.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٦؛ ابن منظور، مج ١١، ص٣١٢.

(٦) ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٦. وعن الأسود بن يعفر، انظر، ابن قتيبة، ص١٥٧.

من نَسْجِ داودِ أبي سَلاَّمِ

ومن المفيد ذكر هذا البيت كاملاً، فشطره الأول يخص وصف الدرع أيضًا، وهو يقول[1]:

وَدَعا بمُحْكَمَةٍ أمينٍ سكُّها، من نَسْجِ داودِ أبي سَلاَّمِ

وعلاوة على الأمثلة السابقة فقد ورد ذكر هذه الدروع في قول أوس بن حجر (٩٥- ٢ق. هـ)[2]:

وَبَيْضَاءِ زَغْفٍ نَثْلَةٍ سُلَمِيَّةٍ لَهَا رَفْرَفٌ فَوقَ الأنامـلِ مُرْسَـلُ

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[3]:

مُضاعَفَة تَخَيَّرَها سُلَيْمٌ كأنَّ قَتيرَها حَدَقُ الجَرادِ

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[4]:

فيه الرماحُ وفيه كُلُّ سابِغَةٍ جَدْلاءَ مُبْهَمَةٍ من صنْعِ سَلاَّمِ

قال ابن السكيت: وسَلاَّم: أراد سليمانَ بنَ داودَ عليه السلام. والعرب قد تُحـرِّف الاسم عن جهته وينقصون بعض الحروف[5] وأنشد قول النابغة –السابق الذكر.

٣٩- السِّمْطُ:

السِّمْطُ: واحد السُّمُوطِ، وهي سُيور تُعَلَّقُ من السرْجِ. وسَمَّطْتُ الشيء: عَلَّقْتُه

(١) ابن منظور، مج ١٢، ص٣٤٩.

(٢) ديوان أوس بن حجر، ص٩٦.

(٣) ابن منظور، مج ١٢، ص٣٤٩. وانظر، ديوان عمرو بن معدي كرب، ح ٦، ص١٠٧.

(٤) ديوان الحطيئة، ص١٢٨.

(٥) ديوان الحطيئة، ص١٢٨.

على السُموطِ تَسْمِيطًا[1]. قال ابن سيده: السِّمْطُ: الدِّرْع التي يُعَلِّقُها الفارِسُ على عَجُز فرَسه، وجمعها سُمُوط وقد سَمَطَها[2].

٤٠- السَّنَوَّرُ:

قال ابن سيدة: السَّنَوَّرُ: الدُّرُوع، ولا يُقال لواحِد الدُّرُوع سَنَوَّر إنما يُقال لَبِس القومُ السَّنَوَّرَ[3]. وفي اللسان[4]: السَّنَوَّرُ: جُمْلَةُ السلاح؛ وخص بعضهم به الدروع. قال أبو عبيدة: السَّنَوَّرُ الحديد كله، وقال الأصمعي: السَّنَوَّرُ ما كان من حَلَقٍ، يريد الدروع، وأنشد للنابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)[5]:

سَهِكِينَ من صَدَإِ الحديدِ كأنَّهُمْ، تَحْتَ السَّنَوَّرِ، جِنَّةُ البَقَّارِ

كما قال ابن منظور: السَّنَوَّرُ: لَبُوسٌ من قِدٍّ يلبس في الحرب كالدرع، وأنشد قول لبيد (؟- ٤١هـ) يرثي قتلى هوازن[6]:

وجاؤوا به في هَوْدَجٍ، وَوَرَاءهُ كَتَائِبُ خُضْرٌ في نَسِيجِ السَّنَوَّرِ

وقد ورد ذكر هذه الدروع في قول الشاعر الجاهلي السفاح (؟- ؟)[7]:

فَصَبَّحْتَهم قبلَ الشُّروقِ بغارةٍ مُذَرَّبَةٍ فيها القَنا والسَّنَوَّرُ[8]

وقول الشاعر الجاهلي أبي جداية (؟- ؟)[9]:

---

(١) ابن منظور، مج ٧، ص٣٦٤، وعن السموط. انظر، الزمخشري، جـ ١، ص٤٥٨.

(٢) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٣) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤.

(٤) ابن منظور، مج ٤، ص٤٤١.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص٥٦.

(٦) انظر، ديوان لبيد، ح ٢، ص٧٢.

(٧) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص١٧١.

(٨) الذَّرب: الحاد من كل شيء. يُقال: سنان مذَرب، وسيف مذَرب.

(٩) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٢٩٣.

وتَغلبُ قَومي لاتُرامُ إذا عَدَتْ   إلى مَعْرَك في مُضَعَفَاتِ السَّنَوَّرِ

وقوله: إلى معرك، أي: إلى موضع حرب، في مضعفات السنور: أي في دروع مضاعفات، والدرع المضاعفة: هي التي ضُوعفت حلقاتها ونُسجت حلقتين حلقتين.

وقوله أيضًا(١):

فَصَبْرًا إلى ما تَدْنُ منّا جُنُودهُ   وتَلْبِسُ بَيْضًا للوغى وسَنَوَّرا

وقول جندل بن المثنى (؟- ؟)(٢):

رأيتُ نيرانَ الحُروبِ تَسْعَرُ   منهم إذا ما لُبِسَ السَّنَوَّرُ

وقول أمية بن أبي الصلت (؟- ٥هـ)(٣):

حول شيطانِهم أبابيلُ رَبّيّـ   ـون شدُّوا وسَنَوَّرًا مدسورا

وفي تفسير هذا البيت، قال ابن هشام(٤): السنور: الدروع. والدسور، هي المسامير التي في الحلق، يقول الله عز وجل: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾(٥).

كما ورد ذكر هذه الدروع في قول عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ/ ١١هـ)(٦):

---

(١) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٢٩٥.

(٢) ابن منظور، مج ٥، ص١٥٩؛ ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٤١.

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت، ص٧٨.

(٤) ابن هشام، جـ ٣، ص٥٦.

(٥) سورة القمر: الآية ١٣.

(٦) المفضليات، ص٣٦٢. ويُلحظ أن الشطر الأول ورد في الديوان برواية أخرى، وقد أقر محقق الديوان بأن المثبت عاليه هو الأصوب. انظر، ديوان عامر بن الطفيل، ص٦٥، ح ٤ من نفس الصفحة.

فَجَاؤُوا بِفُرْسانِ العَرِيضَةِ كلِّها   وأَكْلُبَ طرًّا في لباسِ السَّنَوَّرِ[1]

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يوم أحد (٣هـ)[2]:

فَسِرْنَا إليهِمْ جَهْرَةً في رِحالِهِمْ   ضُحيًا عَلَيْنَا البيضُ لا نتخشّعُ[3]

بملْمُومَةٍ فيها السَّنَوَّرُ والقَنَـا   إذا ضَرَبُوا أَقْدامَها لا تَـورّعُ[4]

وقول عمرو بن العاص بعدما عقد له معاوية لواءه في صفين (٣٦هـ)[5]:

هل يُغْنِيَنْ وَرْدانُ عَنّي قَنْبَرَا   وتُغْنِيَ السَّكُونُ عَنّي حِمْيَرَا[6]

إذا الكُماةُ لَبِسُوا السَّنَوَّرَا

وقوله: إذا الكُماةُ لَبِسُوا السَّنَوَّرَا، أي: إذا الأبطال استعدوا للحرب ولبسوا دروعهم.

وقول جرير (٣٣- ١١٤هـ)[7]:

وَأَبْنَاءُ إسْحَقَ اللّيوثُ إذا ارْتَدَوْا   مَحَامِلَ مَوْتٍ لابسِينَ السَّنَـوَّرَا

فَيَوْمًا سَرَابيلُ الحَديدِ عَلَيْهِـمُ؛   وَيَوْمًا تَرَى خَزًّا وَعَصْبًا مُنَيَّرَا

وقول ذو الرُّمَّة (٧٧- ١١٧هـ)[8]:

أَبَتْ إبلي أَنْ تَعْرِفَ الضَّيْمَ نيبُها   إذا اجْتِيبَ للحَرْبِ العَوانُ السَّنَوَّرُ[9]

---

(١) أكلب: حي من خثعم.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٦٠؛ ابن هشام، جـ ٣، ص٧١، ٧٢.

(٣) تتخشع: نخاف.

(٤) تورّع: تتورّع (حذف إحدى التائين) أي تخاف.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص٧١.

(٦) وردان: هو غلام عمرو بن العاص. قنبر: هو غلام علي بن أبي طالب.

(٧) ديوان جرير، ص١٨٦.

(٨) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص٣١٥.

(٩) النيب: ج ناب، وهي الناقة المسنة التي قد ولت فلا يُرغب فيها ولا تُلقح، أبت هذه الضيم فكيف خيار إبلي؟ يقول: لا تُضام ولا يُغار عليها، عندما تُلبس للحرب الدروع.

وقول بشار بن برد (٩٥- ١٦٧هـ)[١]:

أَهَبَّ لهم فُرسانَ حَربٍ مُطِلَّةٍ   وخُرسًا تَباهى في السَّنَوَّرِ حُشَّدا

وقوله كذلك[٢]:

فِناؤك واسعٌ ونَداكَ ضافٍ   وحِليَتُكَ السنوَّرُ والنِّجادُ

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٣]:

أيَدُوا مُلْكَنَا، وَشَدّوا قُوَاهُ   بكُماةٍ، تحتَ السَّنَوّرِ، حُمسِ

وقوله أيضًا[٤]:

فَلا ثَارَ حتّى تَطلُعَ الخَيلُ مُرْتَقَى   خُوَيْت، بأسدٍ، في السَّنَوّرِ، جُونِ

وقول أبو فراس الحمداني (٣٢٠- ٣٥٧هـ)[٥]:

وَسائِلْ عُقَيلاً، حينَ لانَتْ بِتَدْمُرٍ،   ألَمْ نُقْرِهَا ضَرْبًا يَقُدّ السَّنَوّرَا؟

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨- ٤٥٧هـ)[٦]:

وَيَرى التَّوَقّي بِالسَّنَوَّرِ ذِلَّةً   وَالدِرْعُ يَكْرَهُهُ الهِزَبْرُ الأَرْوَعُ

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ)[٧]:

وكتيبةٍ كَتَبَتْ صـــدورُ رماحهــا   للموت في صُحُفِ الحيازم أسْطُرا

مُلِئتْ بها الحربُ العَوَانُ ضراغمًا   وصلادمًا وقشاعمًـا وَسَنَـوّرا[٨]

---

(١) ديوان بشار بن برد، ص٢٦١.

(٢) ديوان بشار بن برد، ص٢٦٧.

(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص١٩٤.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص١٠٦.

(٥) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح، يوسف شكري فرحـات، دار الجيـل، بيـروت،١٩٩٣م، ص١٦٥.

(٦) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ص٣٥.

(٧) ديوان ابن حمديس، ص٢٣٤.

(٨) الصلادم: خيول شديدة الحوافر. القشاعم: النسور الضخمة.

٤١- الشَّباك:

الشَّبكُ: هو الخلط والتداخل، ومنه تشبيك الأصابع، والشُّبَّاكةُ واحدة الشبابيك وهي المُشَبَّكَةُ من الحديد[١]، وذكر ابن منظور أنه يُقال: درْع شُــبَّاك، وأنشــد[٢] الشطر الأول من بيت طفيل الغنوي (؟- ١٣ق. هـ) الذي يقول فيه[٣]:

لَهُنَّ بشُبَّاك الحَدِيدِ تَقَاذُفٌ هُوَيَّ رُوَاحٍ بالدُجُنَّةِ يُعْجِبُ

وفي شرح الأصمعي لهذا البيت قال: شباك الحديد يعني: الــدُّروع. تقــاذف: يقول: ترامى في الجري يسمع أصواتها كما تسمع صوت المطر يجــيء رائحًــا. والدجنة: إلباس الغيم. يعجب أي يعجبه من رأى ذلك منهن.

٤٢- الشَّلِيلُ:

ذكر ابن سيدة أن الشَّلِيل: الغِلاَلَة تُلْبَس تَحْتَ الدِّرع من ثَوْب أو غيره، كمــا ذكر أنه ربما كانت درْعًا صغيرة تَحْتَ العُلْيا، وعن الأصمعي أنه قــال: الشَّــلِيل: الدِّرْع القصيرة وجمعُها أشِلَّة[٤]. وقريب مما قاله ابن سيدة، قول الفيروز آبادي: الشَّلِيلُ: الغِلالة تُلْبَسُ تَحْتَ الدِّرْع، والدِّرْع الصَّغيرَة تحت الكبيرة[٥].

وفي اللسان الشَّلِيلُ: الغِلالة التي تُلْبَسُ فوق الــدِّرْع، وقيــل: هــي الــدِّرْع الصغيرة القصيرة تكون تحت الكبيرة، وقيل: هي الدِّرْع من ثوب أو غيره، وقيــل هي الدِّرْع ما كانت والجمع الأَشِلَةَّ، وأنشد لأوس بن حجر (٩٥- ٢ق. هـ)[٦]:

---

(١) الرازي، ص٣٢٨؛ ابن منظور، مج ١٠، ص٥٣٩.

(٢) ابن منظور، مج ١٠، ص٥٤١.

(٣) ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحقيق، حسان فــلاح أوغلــي، دار صــادر، بيــروت، ١٩٩٧م، ص٦٣. وعن طفيل الغنوي. انظر، ابن قتيبة، ص٣٠٠.

(٤) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤.

(٥) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٣٤٧.

(٦) ابن منظور، مج ١١، ص٤٣٢.

وجِئْنا بِها شَهْباءَ ذاتَ أَشِلَّةٍ،   لَها عارِضٌ فيهِ المَنِيَّةُ تَلْمَعُ

كما ذكر صاحب اللسان أن ابن شميل قال: شَلَّ الدِّرْعَ يَشُلُّها شَلاًّ إذا لَبِسَها، وشَلَّها عليه. ويُقال للدِّرع نفسِها شَلِيلٌ. والشُّلَّة: الدِّرْع.

وأعتقد بعدم دقة ما ورد في اللسان من أن الشَّلِيلُ: الغِلالةَ التي تُلْبَسُ فوق الدِّرْع، فالغلالة تكون تحت الدرع وليس فوقه، وهو ما ذهب إليه كل من ابن سيدة، والفيروز آبادي -كما هو مثبت عاليه- يدعمه قول الزمخشري: ولبس الشليل تحت الدرع وهو ثوب يُلبس تحتها[1].

على أية حال فلدينا كثير من الإشارات عن الأشِلَّة، ومن ذلك ما سبق ذكره عن قول أوس بن حجر[2]:

وجِئْنا بِها شَهْباءَ ذاتَ أَشِلَّةٍ،   لَها عارِضٌ فيهِ المَنِيَّةُ تَلْمَعُ

وجئنا بها أي بالكتيبة، التي يرتدي فرسانها الدروع المتألقة، لذا فهي تبدو شهباء، ومن وفرة هذه الكتيبة، فغبارها يسد الأفق، ومن خلاله تلمع المنية أو السيوف.

وقول زهير بن أبي سلمَى (؟- ١٣ق. هـ)[3]:

فَلَمّا تَبَلَّجَ مَا فَوْقَهُ   أَناخَ فَشَنَّ عَلَيهِ الشَّلِيلا

وقول دريد بن الصمة (؟- ٨هـ)[4]:

تَقولُ هِلالٌ خارِجٌ مِن سَحابِهِ   إذا جاءَ يَعدو في شَلِيلٍ وقَونَسِ

وقول مالك بن ربيعة الغامدي (؟- ؟)[5]:

---

(١) الزمخشري، جـ ١، ص٥٠٣.

(٢) ديوان أوس بن حجر، ص ٥٨.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٣٥.

(٤) الزمخشري، جـ ١، ص٥٠٣.

(٥) المرزباني، ص٢٦٢.

ولنعم حشو الدرع يوم لقيته سعدٌ ونِعم فتى الندىً المُنتدى

طاعنتهُ والموتُ يلحظ دائبا مُهجَ النفوسِ متى يقال له رِدِ

فأزالني عنه الشَّليل وفارس يحنو عليه وفارس لم يَشهـدِ

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[١]:

رَفيعُ البَاعِ، يرفَعُ مَنْكِبَاهُ فُضُولَ الدِّرْعِ عنهُ، والشَّلِيلِ[٢]

وقوله أيضًا[٣]:

وكَأنَ الشَّلِيلَ والنَّثْرَةَ الحَصْـ ـداءَ مِنْهُ على سَلِيلِ غَرِيفِ

٤٣- الصِّدارأو الصُّدْرَةُ:

قال ابن منظور: الصدر: أعلى مقدم كل شـيء وأولـه[٤]، والعـرَب تقـول للقميص الصغير والدِّرْع القصيرة: الصُّدْرَةُ، وقال الأصمعي: يُقال لما يَلي الصَّـدْر من الدِّرْع صِدارٌ[٥]، ولا شك أن هذا النوع من الدروع يذكرنا بالجوشن[٦].

وقد ورد ذكر الصدار في قصيدة للشاعر أبو حفص عمر بن عبد الله، يمـدح الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف، ويُهنئه بموقعـة الأرَكَ بالأنـدلس سنة (٥٩١هـ)، وذلك في قوله[٧]:

وفَتَّح مثْل ما انفتحت كِمَامٌ وشُقّت عن صُدورِهَا صِدَارِ

---

(١) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٥٩.

(٢) الباع: قدر مد اليدين.

(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٣٠٨.

(٤) ابن منظور، مج ٤، ص٥١٥.

(٥) ابن منظور، مج ٤، ص٥١٦، ٥١٧.

(٦) راجع ما قيل عن الجوشن.

(٧) ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص٩٦.

وعن هذا البيت قال المحقق: الصدار: القميص الصغير، والدرع القصيرة(1)!

٤٤- الصَّمُوتُ:

الصَّمْتُ والصُّموتُ والصُّمات: السكوت، والصَّموت، بالفتح: الدرع الثقيل(2)، وقيل: هي الدِّرْع التي أحكم صنعها، إذا صُبَّت لم يُسمع لها صوت(3)، قال النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)(4):

وكلّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تَبَعِيَّةٍ، ونَسجُ سُلَيمٍ كلَّ قَضَّاءَ ذائلِ

كما ورد ذكر هذه الدروع في قول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يوم أحد (٣هـ)(5):

مُجالدَنَا عَنْ دينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ مُذَرَّبَةٍ فيها القَوَانِسُ تَلْمَعُ
وكلُّ صَمُوتٍ في الصِّوانِ كأنَّها إذا لُبِسَتْ نَهيٌ من الماءِ مُتْرَعُ

أي: وندافع عن ديننا بكتيبة عظيمة مدربة على القتال وبارعة فيه، ترى القوانس -أعلى البيْض- فيها متلألئة، وفيها دروع صموت -شديدة النسج، تقاربت حلقاتها، فلا يُسمع لها صوت- تصون لابسيها، وتبدو عليهم كالغدير المليء بالماء.

جدير بالذكر أن لدينا إشارات عن كتائب يُطلق عليها "الكتائب الخرساء" قال

---

(١) ابن سعيد، الغصون اليانعة، ح ٣، ص٩٦.

(٢) الفيروز آبادي، جـ ١، ص٢٥١.

(٣) راجع، الزمخشري، جـ ٢، ص٢٦؛ ابن منظور، مج ١١، ص٣١٢؛ النويري، السفر السادس، ص٢٤٢؛ ابن هشام، جـ ٣، ح ٦، ص٧١.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٦؛ الزمخشري، جـ ٢، ص٢٦؛ ابن منظور، مج ١١، ص٣١٢.

(٥) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٥٨، ٥٩؛ ابن هشام، جـ ٣، ص٧١.

الشاعر الجاهلي السفاح (؟- ؟)[1]:

وكَتِيبـةٍ لَفَّفْتُهـا بِكَتِيبـةٍ　　شَهْباءَ يُخـافُ رَداهـا
خَرساءَ ظاهِرةِ الأداةِ كأنّها　　نارٌ يُشَبُّ سَعِيرُها بِلَظاها

قال المحقق: وكتيبة خرساء: إذا صمتت من كثرة الدروع، أي لم يكن لها قعاقع، وقيل هي التي لا تسمع لها صوتًا من وقارهم في الحرب[2]، والتعريف الأول يتوافق مع الدروع محل التناول المعروفة بـ "الصموت".

٤٥- العَادِيَّة:

هي دروع منسوبة إلى عاد. قال ابن منظور: العَادِيُّ: الشيء القَدِيم نُسب إلى عاد. وعاد قبيلة وهم قوم هودٍ، قال الليث: وعاد الأولى هم عادُ بن عاديا ابن سام بن نوح، وأما عاد الأخيرة فهم بنو تميم الذين عَصَوُا الله ...[3]، ولا شك أن الدروع محل التناول تُنسب إلى عاد الأولى.

وقد ورد ذكر هذه الدروع في قول الشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكري (؟- ؟) يصف درعًا[4]:

مُضاعَفةٌ جَدْلاءُ أو حُطَمِيَّـةٌ　　تُغَشّي بَنانَ المَرْءِ والكَفَّ والقَدَم
لِعادِيَّةٍ مِنَ السِّلاحِ استَعَرْتُها　　وكان بِكُمْ فقْرٌ إلى الغَدْرِ أو عَدَمْ

وهو في البيت الأول يُشير إلى ما تتميز به الدرع من صفات مختلفة، وفي البيت الثاني، يقول إن هذه الدرع الكريمة، كانت في زمن عاد.

كما ورد ذكر هذه الدروع في قول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[5]:

---

(١) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص١٨٣.

(٢) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص١٨٣.

(٣) ابن منظور، مج ٣، ص٣٩٦؛ الرازي، ص٤٦١.

(٤) المفضليات، ص٣٠٩.

(٥) ديوان الحطيئة، ص١٨٥.

كالهُنْدُوانّي لا تَثْني مَضَارِبَه ذاتُ الحرَابيِّ فوق الدَّارِعِ البَطَلِ

في إرْث عادِيَّة عِزًّا ومَكْرُمةً فيها مِنَ الله صُنْعٌ غَيْرُ ذي خَلَلِ

ويقصد بذات الحرَابيِّ –كما تقدم– الدرع، وفي البيت الثاني يقول: إنها درع من أصل قديم، فهي تعود إلى عاد، لذا فهي عزيزة مكرمة، وهي تامة الصنع محكمة لا خلل فيها.

٤٦- العَلْماء:

قال الفيروز آبادي: العَلْمَاء: الدِّرْعُ[١]، وفي اللسان، قال شمر في كتاب السلاح: العَلْماءُ: من أسماء الدُّروع؛ قال: ولم أسمعه إلا في بيت زهير بن جناب (؟- ٦٤ق. هـ)[٢]:

وتَصَدَّى لِيَصْرَعَ البَطَلَ الأَرْ وَعَ بَيْنَ الْعَلْمَاءِ والسِّرْبَالِ

جدير بالذكر أنه وصلنا بيت شعر لابن قميئة (١٧٩- ٨٥ق. هـ) يقول فيه[٣]:

وتَصَدَّى لِتَصْرَعَ البَطَلَ الأَرْ وَعَ بَيْنَ الْعَلْهَاءِ والسِّرْبَالِ

وقد أورد ابن منظور هذا البيت، في مادة "عَلَهُ"؛ وقال: "العلهاء": ثوبانِ يُنْدَفَ فيهما وَبَرُ الإبل، يَلْبَسُها الشُجاعُ تحت الدرع يَتَوَقَّى بها الطعن، وأنشد بيت ابن قميئة هذا، وقال: تَصَدَّى: يعني المنية لتصيب البطل المتحصن بدرعه وثيابه. وفي التهذيب: قرأت بخط شمر في كتابه السلاح: من أسماء الدروع العَلْماء،

---

(١) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٥٠١.

(٢) ابن منظور، مج ١٢، ص٤٩١. وزهير بن جناب، شاعر جاهلي. عنه انظر، ابن قتيبة، ص٢٤٥.

(٣) ديوان ابن قمينة، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م، ص٦٩.

بالميم، ولم أسمعه إلا في بيت زهير بن جَنابٍ[1] -سابق الذكر.

٤٧- الغِلالة:

درع صغيرة تلبس تحت الدرع العليا[2]. وفي اللسان: الإغْلال: لُبْس الدُّروع[3]، وإن كان هناك خلاف ما بين كون الغلائل: الدروع نفسها، أو بطائن تُلبس تحت الدروع، بل وقيل هي مسامير الدروع التي تَجمع بين رؤوس الحلَق لأنها تُغَلّ فيها أي تدخَل[4].

وقد ورد ذكر الغلائل في قول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)[5]:

وكلَّ صَمُوتٍ نَثْلة تُبَّعِيَّة، ونَسجُ سُلَيمٍ كلَّ قَضّاءَ ذائلِ
عُلِينَ بِكدْيَوْنٍ، وأُبْطِنَّ كَرَّة فهنَّ وِضاءٌ صافياتُ الغلائلِ

وعن قوله: "صافيات الغلائل"، قال الأصمعي: يعني الدروع صافية، فغلائلها صافيات، لصفائها، لأن الدروع إذا كانت صافية لم تدنس الغلالة تحتها، وقال بعضهم الغلائل: مسامير الدروع، واحدتها غلالة[6].

كما ورد ذكر الغلائل في قول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[7]:

مُلُوكٌ يعُدُّونَ الرِّمَاحَ مَخاصِرًا إذا زَعْزَعُوهَا والدُّرُوعَ غَلاَئِلاَ[8]

والأرجح أن الغلائل هنا لا تعني الدروع؛ فمن بين معاني الغلالة -غير ما

---

(١) ابن منظور، مج ١٣، ص٦٤١، ٦٤٢؛ وراجع ديوان ابن قمينة، ح ١، ص٦٩.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٢.

(٣) ابن منظور، مج ١١، ص٥٩٧.

(٤) ابن منظور، مج ١١، ص٥٩٩.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٦؛ وانظر، ابن منظور، مج ١١، ص٣١٢.

(٦) ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٧؛ وراجع، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٧) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص٣٤٦.

(٨) المخاصر: ما يُتوكأ عليه كالعصا، وما يأخذه الملك بيديه ليُشير به إذا خاطب. زعزعوها: من الزعزعة: وهي تحريك الشيء.

تقدم ذكره – شِعار يُلبس تحت الثوب[1]، فيصير معنى البيت: إن هؤلاء الملوك يعدون الرماح إذا حركوها كالعصي التي يُتوكأ عليها، أو يُشار بها عند الخطاب، كما أنهم يعدون الدروع -ثقيلة الوزن- كالشعائر التي يلبسونها تحت ثيابهم؛ أو كالبطائن التي تُلبس تحت الدروع.

وقال ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)[2]:

إذا لَبِسوا مِن ذا الحديدِ غَلائِلاً وهَزّوا رِماحَ الخَطِّ حمرًا عُقودها

وقوله: الحديد غلائلا: تدل على أن الغلائل هنا هي الدروع.

وقال كذلك[3]:

وكأنّما شُقّتْ عليهِ غُلالَةٌ بَيضاءُ من زُبَرِ الحَديدِ المُفرَغِ

وقوله: غلالة بيضاء: أي درع بيضاء. من زبر الحديد: أي من قطع حديد ضخمة.

٤٨- الفارسي:

وقفت على غير بيت يسم الدرع بـ "الفارسي"؛ إلا أنني لم أهتد فيما بين يدي من المصادر أو المراجع المتخصصة في السلاح أو في المعاجم اللغوية لكينونة هذه الدرع!

على أية حال فقد ورد ذكر هذه الدرع في قول عمرو بن امرئ القيس (؟- ؟)[4]:

---

(١) الرازي، ص٤٧٩.

(٢) ديوان ابن المعتز، ص١٣٨.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص٢٨٠.

(٤) القرشي، ص٢٣٧.

والله لا يَزْدَهــي كَتيبتَنا   أُســدُ عَريــنٍ، مَقيلُهــا غُــرَفُ[1]
إذا مَشَينا فــي الفارسيِّ   كما تَمشي جِمالٌ مَصاعبٌ، قُطُفُ[2]

والمعنى في البيت الثاني: إذا مشينا ونحن لابسين الفارســي: أي الــدروع، نكون كالجمال التي تمشي على مهل.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول دريد بن الصمة (؟- ٨هـ)[3]:

فقلتُ لهم: ظُنّوا بألفَيْ مُدَجَّجٍ،   سَراتُهُمُ في الفارِسيِّ المُسَرَّدِ

وقوله: مدجج، أي التام السلاح. سراتهم: أي خيارهم. في الفارسي المسرد: أي يلبسون الدروع.

٤٩- الفِرْعَوْنِيَّةُ:

في اللسان: من الدُّرُع الفِرْعَوْنِيَّةُ؛ قال شمر: هــي منســوبة إلــى فرعــون موسى، وقيل: الفِرْعَوْن بلغة القِبْط التِّمساح[4]؛ ولعل في التعريف الأخير ما يُشير إلى أن هذه الدروع كانت تُصنع من جلود التماسيح، غير أن بيت الشــعر الــذي وقفت فيه على ذكر "الفرعونية" لا يدل على ذلك، بل يُشير إلى أنها كانت تُنســج من الزرد! فقد قال كُثَيِّر عَزَّة (٤٠- ١٠٥هـ)[5]:

بِأَيْدِيهِمُ خَطِّيَّةٌ وعَلَيْهِمُ   سَوابِغُ فِرْعَوْنِيَّةٌ جُدِلَتْ جَدْلا

والمعنى: إن فرساننا يحملون في أياديهم رماحًا خطيــة، ويلبســون علــى أجسامهم دروعًا فرعونية، جدلت جدلا: أي حُبك منها الزرد حبكًا محكمًا.

---

(١) يزدهي: يستفز. الغرف: الشجر الكثير الملتف.
(٢) القطف: البطيئة.
(٣) القرشي، ص٢١١.
(٤) ابن منظور، مج ١٣، ص٣٩٥. كما قال الفيروز آبــادي: الفِرْعَــوْنُ: التمســاح. القــاموس المحيط، جـ ٢، ص١٦٠٥.
(٥) ديوان كثير عزة، ص٢١٦.

٥٠- الفَضْفاضة:

هي الدرع الواسعة أو الضافية[١]، وفي اللسان: دِرْعٌ فَضْفاضٌ وفَضْفاضَةٌ وفُضافِضَةٌ: واسعة[٢]، وأنشد لعمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[٣]:

وأعدَدْتُ للحَرْبِ فَضفاضةً ... كــأنَّ مَطاوِيَها مِبْرَدُ[٤]

كما ذكر صاحب اللسان، يُقال: قد فَضْفَضَ الثوبَ والدِّرْعَ: وَسَّعَهما؛ وأنشد قول كثير (٤٠- ١٠٥هـ)[٥]:

فنَبَذْتُ ثَمَّ تَحِيَّةً، فأعادَها ... غَمْرُ الرِّداءِ مُفَضْفَضُ السِّرْبالِ

وعلاوة على ما تقدم فقد ورد ذكر الدرع الفضفاضة في قول امرئ القيس (١٣٠- ٨٠ق. هـ)[٦]:

ومَسْفُوحةً فَضفاضةً تُبَّعِيَّةً ... وأبيضَ قضَّابًا أحدَّ كَفاني

وقول السموأل (؟- ٦٤ق. هـ)[٧]:

أعَدَّ لِلْحَرْبِ كُلَّ سابِغَةٍ ... فَضْفاضَةٍ كالْغَدِيرِ والْيَلَبا

وقول مزرد بن ضرار الذبياني (؟- ١٠هـ)[٨]:

ومَسْفُوحَـــةٌ فَضْفَاضَـــةٌ تُبَّعِيَّـــةٌ ... وَآهَا القَتِيرُ تَجْتَوِيها المَعَابِــلُ[٩]

---

(١) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٢؛ وانظر، النويري، السفر السادس، ص٢٤٢.

(٢) ابن منظور، مج ٧، ص٢٣٦؛ وانظر، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤، ٤٥؛ الفيروز آبادي، جـ ١، ص٨٨٠.

(٣) انظر البيت في ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٨٤.

(٤) مطاوي الدرع: غُضونُها إذا ضُمَّتْ، واحدها مِطوى.

(٥) ابن منظور، مج ٧، ص٢٣٦.

(٦) ديوان امرئ القيس، مج ٢، ص٧٤٥.

(٧) ديوان السموأل، ص١٠٤.

(٨) المفضليات، ص٩٨.

(٩) مسفوحة: الدرع المصبوبة. يُريد أنها متينة أو واسعة. القتير: المسامير، وآها: شددها. المعابل: سهام طوال عراض النصال. تجتويها: تكرهها، يريد أنها تنبو عنها.

دِلَاصٌ كظَهْرِ النُّونِ لا يَستطيعُها   سِنَانٌ ولا تلكَ الحِظَاءُ الدَّوَاخِلُ(١)

مُوَشَّحَةٌ بَيضـــاءُ دَانٍ حَبِيكُهـــا   لها حَلَقٌ بَعْدَ الأَنَامـــلِ فاضِـــلُ(٢)

مُشَهَّرَةٌ تُحْنَى الأَصابعُ نحوَهـــا   إذا جُمِعَتْ يومَ الحِفَاظِ القَبائِـــلُ(٣)

ويقول في البيت الأول: إنها درع متينة، واسعة، تُنسب إلى "تبع" ملك اليمن، تُشددها المسامير، ومن حسن صنعها أن السهام الطوال عريضـــة النصـــل تنبـــو عنها، ولا تؤثر فيها. ويقول في البيت الثاني: إنها دِرْعٌ دِلاصٌ: أي برّاقة ملساء ليّنة، تُشبه في ذلك ظهر السمكة. لا يتمكن نصل السهم أو ما دونه أن ينفذ فيها. ويقول في البيت الثالث: إنها درع موشحة أي فيهـــا طرائـــق صـــفر -نحـــاس- محبوكة النسج، طويلة سابغة، فحلقها يزيد عن الأنامل. ويقول في البيت الرابع: إنها درع رائعة، فمن جودتها يُشار إليها، عند الجمع -أي القتـــال- للـــذب عـــن المحارم والغضب لها.

كما ورد ذكر الدرع الفضفاضة في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـــ/ ٢١هـــ)(٤):

أعددتُ للحربِ فَضفَاضَةً   دِلاصًا تَثَنَّى على الرَّاهِشِ

وقول كعب بن مالك (؟- ٥٠هـــ) يوم الخندق (٥هـــ)(٥):

تَرانَا في فَضَافِضَ سَابِغَاتٍ   كغُدْرَانِ المَلا مُتَسَرْبِلِينَا

وقوله كذلك(٦):

---

(١) الحظا: السهام الصغار لا نصال لها.

(٢) موشحة: فيها طرائق صفر. الحبيك: الطرائق من النسج، واحدة حبيكة. فاضل: زائد.

(٣) تحني الأصابع نحوها: يُشار إليها لجودتها. الحفاظ: الذب عن المحارم والغضب لها.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٣٣.

(٥) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٠٥؛ ابن هشام جـــ ٣، ص١٥٥.

(٦) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص١٢٦.

عليَّ فَضْفاضة كالنّهي سابغة وصارم مثل لون الملحِ مصقولُ

وقول الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ)[1]:

يَعُدُّ الغِنَى فَضْفاضَةً ذات رَفْرَفٍ وَصَمْصامَةً عَضْبًا وَذا خُصَلٍ نَهْدا

والمعنى: إن المال لا يُعد غنى، وإنما الغنى هو أن يُعد للحرب ما يتصل بها من درع فضفاضة: أي واسعة؛ ذات رفرف: أي لها حاشية. وصمصامة: أي سيف. وذا خصل نهدا: فرس.

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ)[2]:

وفضفاضَةٍ خضراءَ ذاتِ حبائكٍ إذا لُبِسَتْ فاضَتْ على بَطَلٍ كُفْو

لها لينُ لمس لايخافُ خشونَةً تشافهها من حدّ ذي شُطَبٍ مُهْو[3]

على أنّها من نَسْجِ داود نَثْرَةٌ أدقّ على الأبصار من أثر الرّفو

تروقك منها زُرقَةٌ فكأنّها سماءٌ بَدَتْ للعينِ في رونقْ الصحو

تردّ الرّدى عن ذِمْرِها فكأنها تَذَرّعُ من سُخْطِ الأسِنّةِ بالعفو

٥١- القِدّ:

ورد ذكر هذه الدرع في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[4]:

قومٌ إذا لَبِسُوا الحديـ ـدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وقِدّا

وفي شرح هذا البيت، قال المرزوقي: والقد: أراد به اليَلَب، وهو شبه درع

---

(١) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص١٢.

(٢) ديوان ابن حمديس، ص٥٢١.

(٣) لمس، في رواية أخرى "سرد". مهو: منقض.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٨٠.

كان يُتّخذ من القِدّ[1]، أي الجلد[2].

٥٢- القُردُماني:

قال ابن سيدة: القُرْدُمانِيُّ: ضرب من الدروع، وهي سلاح كانت الأكاسرة تدخره في خزائنها[3]، وأفاض الفيروز آبادي وقال: القُرْدَمانِي، بالضم منْسوبةً: قَباءٌ مَحْشوٌ يُتَّخَذُ للحَرْبِ، معرب فَارِسِيَّتُهُ: كَبَرْ، أو سلاح كانت الأكاسرة تـدَّخرُهَا في خَزَائِنِهم، أو الدُّروعُ الغَلِيظَة مِثْل الثَّوْبِ الكُرْدُوانِيِّ، أو المغْفَرُ، أو البيضةُ إذا كان لَهَا مِغْفَرٌ[4]، وقد أشار ابن منظور إلى أن القُرْدُمانيُّ والقُرْدُمانية، سلاح كانت الفرس والأكاسرة تدّخره في خزائنها، وقال: أصله بالفارسية كَرْدَمانْدْ، معناه عُمِلَ وبَقِي؛ قال الأَزهري: هكذا حكاه أبو عبيد عن الأَصمعي؛ وقال ابن الأَعرابي: أراه فارسياً، وأنشد قول لبيد (؟- ٤١هـ)[5]:

فَخْمَةً ذَفْراءَ تُرْتَى بالعُرَى   قُرْدُمانِيّاً وتَرْكًا كالبَصَلْ

ثم قال: القُرْدُمانية الدُّروع الغليظة مثل الثوب الكُرْدُواني. ويُقال القُرْدُمانيُّ ضرب من الدروع[6].

وقد ورد ذكر الدروع القردمانية في قول لبيد[7]:

فَمَتَى يَنْقَعْ صُراخٌ صادِقٌ   يُحْلِبوهُ ذات جَرْسٍ وزَجَلْ[8]

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ح ٦، ص٨٠.

(٢) راجع، ابن منظور، مج ٣، ص٤٢٢، ٤٢٣.

(٣) ابن سيده، جـ ٢، ص٤٥.

(٤) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٥١١.

(٥) انظر، ديوان لبيد، ص١٤٦.

(٦) ابن منظور، مج ١٢، ص٥٥٨.

(٧) ديوان لبيد، ص١٤٦.

(٨) ينقع: يرتفع. يحلبوه: يمدوه.

فَخْمَةَ ذَفْراءَ تُرْتَى بالعُرَى قُرْدُمانِيًا وتَرْكًا كالبَصَلْ[1]

أحْكَمَ الجِنثيُّ مِنْ عَوْراتِهَا كلَّ حِرْباءٍ إذا أُكْرِه صَلّ[2]

والمعنى في البيت الأول: وإذا ما ارتفع صراخ مستغيث، أمدوه بكتيبة ذات صوت، وهذا الصوت يحدث جراء كثرة السلاح فيها. وفي البيت الثاني: يصف هذه الكتيبة أو ربما دروع فرسانها المشدودة بالعرى، ويُشير مما تلبسه إلى الدروع القردمانية، وبَيْض -أي خوذ- تشبه البصل. وفي البيت الثالث: إذا قلنا: "الجُنْثيُّ" بالرفع: فهو الزراد أو الحداد، فيصير المعنى: إن الزراد أحكم صنعة هذه الدروع، فكل مسمار من مساميرها إذا أُكره أي ضُرب في القتير له صليلاً. أما إن قلنا: "الجُنْثِيَّ" بالنصب فهو السيف، ويصير المعنى: إن هذه الدروع لجَودة صنعتها تمنع السيفَ أن يمضي فيها، وتكون كلمة "أحكم" هنا: أي رَدَّ[3].

٥٣- القَرْقَل:

القرقل: جمعه القَرْقَلات، وهي دروع تُتَّخذ من الحديد، وتُغشًّى بالديباج الأحمر والأصفر[4]، وتكون على هيئة صفائح متخذة من الحديد المتواصل بعضه إلى بعض، وأحسنها ما لم تكن واسعة أو ضيقة، وقد غلب استعمال هذا النوع من الدروع على عصر المماليك[5]، قال القلقشندي: واعلم أن لِبْسَ العرب في الحرب

---

(١) زفراء: متغيرة الرائحة. ترتى: تشد.

(٢) الجنثي: صانع الزرد: العورات. الفتوق. الحرباء: المسمار في حلق الدرع.

(٣) راجع، ابن منظور، مج ١١، ص٤٥٧، ٤٥٨.

(٤) القلقشندي، (أبي العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٢، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه، محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، جـ٤، ص١١.

(٥) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٢. وهناك إشارة تفيد بأن القرقل هو القزغند. راجع، عليوه، السلاح المعدني، ص٣٠٨. وأنه يتميز بشكله القصير، حيث إنه كان يُغطي النصف العلوي من الجسم فقط. حسين عليوه، السلاح المعدني، ص٣٢٦.

كان الزرد، أما الآن فقد غلب عمل القَرْقَلاتِ من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها ببعض[1].

وعن هذه الدروع قال ابن منكلي (ت ٧٧٨هـ): "ومن لوازم الجندي الأميري: اتخاذ الجنن الواقية، إما قَرقل جيد الصفائح لا بالضيق ولا بالواسع وإذا كان كالقباء كان أحسن وأسرع اللبس بشرط أن يكون حشو كُمَّيْه صفائحًا دقاقًا لتُمكن مد القوس"[2].

كما قال كذلك: "قال أصحاب التجربة من الجند: ينبغي أن يكون طرف شرابة البيضة التي هي الخوذة مستدخلة في طوق القرقل الذي يُسمى المصفح أو غيره إذا كان لها طوق، وإن كان ما لها طوق فليتحيل على إخبائه من كل بُدّ وسبب، ..."[3].

جدير بالذكر أن ابن منظور لم يُشر إلى كون القرقل من الدروع وذكر أنه: ضرب من الثياب، وقيل هو ثوب بغير كُمَّين. كما أشار إلى أنه قميص من قُمُصِ النساء بلا لِبْنة[4]، كما أن الفيروز آبادي لم يقل غير أن القَرْقَل: قَميصُ للنساءِ، أو ثوب لا كُمَّيْ له، الجمع: قَراقِلُ[5]، وعلاوة على ذلك فلا ذكر للقرقل لا لدى الرازي ولا لدى الزمخشري.

٥٤- القَضَّاء:

بينما ذكر الفيروز آبادي أن القَضَّاءُ: الدِّرْعُ المَسْمُوَةُ[6]، فقد ذكر ابن سيدة

---

(١) القلقشندي، جـ ٢، ص١٥١، ١٥٢.

(٢) التدبيرات السلطانية، ص٣٦٢.

(٣) التدبيرات السلطانية، ص٣٤٠.

(٤) انظر، ابن منظور، مج ١١، ص٦٦١. وقد ورد ذكر القرقل كثوب للنساء في قول بشار بن برد: قَمَرُ الليلُ في قَرقَل * يتصدى لي فأهلاً بالقَمَرْ. ديوان بشار بن برد، ص٣٦٦.

(٥) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٣٨٣.

(٦) الفيروز آبادي، جـ ١، ص٨٨٢.

أنها: الدرع التي قد فُرِغ من عَمَلِها وأُحْكِم، وأنشد:

وتَعَاوَرَا مَسْرودَتَينْ قَضَاهما   داوُدُ أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

ثم أردف بقول ابن السكيت: قَضَاه يَقْضِيه: صَنَعه. وقول أبو عبيدة: القَضَّاء: الصُّلْبَة. وقول علي: قَضَّت: صَلُبَت وقَضَّضها صانِعُها: أحْكَمَ تَرْكِيب حَلَقِها[1].

وعلاوة على ما تقدم فقد ذكر الزمخشري: درع قَضَّاء: أي خَشِنَةُ المَسّ لَمـا تنسحِق[2]، وهو ما ذهب إليه النويري، حيث قال: قَضَّاء: أي خَشِـنَةُ المَـسّ[3]، وأنشد قول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)[4]:

ونَسْجُ سُلَيْمِ كلُّ قَضَّاءَ ذَائل

وقد أفاض ابن منظور، فقال دِرْعٌ قَضَّاءِ: خَشِنَةُ المَسّ من جِدَّتِها لم تَنْسَحِقْ بَعْدُ، مشتق من ذلك؛ وقال أبو عمرو: هي التي فُرِغَ مـن عَمَلهـا وأُحْكِـمَ وقـد قَضَيْتُها وأنشد قول النابغة السابق الذكر.

وذكر أنه قال بعضهم: هو مشتق من قَضَيْتُها أي أحكمتُها، قال ابـن سـيدة: وهذا خطأ في التصريف لأنه لو كان كذلك لقال قَضْياءِ؛ وأنشد أبو عمـرو بيـت الهزلي:

وتَعاوَرا مَسْرُدَتَيْن قَضاهُما   داودُ، أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

قال الأزهري: جعل أبو عمرو القَضَّاء فَعّالاً من قَضى أي حكَم وفَرغَ، قـال: والقَضَّاء فَعْلاء غير منصرف. قال شمر: القَضَّاء من الدُّرُوع الحَديثةُ العَهدِ بالجِدَّة الخَشِنةُ المَسّ من قولك أَقَضَّ عليه الفِراشُ؛ وقال ابن السكيت في قوله:

كلّ قَضَّاء ذائل

---

(١) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٢) الزمخشري، جـ ٢، ص٢٦٠.

(٣) النويري، السفر السادس، ص٢٤٢.

(٤) انظر ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٦.

كلُّ دِرْع حديثة العمل. قال ويُقال القضَّاء الصُّلْبةُ التي املاس فـي مَجَسَّـتها قضة. وقال ابن السكيت: القَضَّاء المَسْمُورةُ من قولهم قض الجَوْهرة إذا ثَقَبَها[1].

٥٥- قضة:

اسم من أسماء دروع الرسول ﷺ[2].

٥٦- القميص:

القميص الذي يُلبس معروف مذكر، وقد يُعنى به الدرع، فيؤنث؛ وأنثه جرير (٣٣- ١١٤هـ) حين أراد به الدرع فقال[3]:

تَدْعُو هوازنَ والقَميصُ مُفاضَةٌ، تَحْتَ النِّطاقِ، تُـشَدُّ بالأزرار

أو كما ورد في ديوان جرير[4]:

تَدْعُو رَبيعَةُ والقَميصُ مُفاضَةٌ، تَحْتَ النِّجَادِ، تُشَدُّ بالأَزْرَارِ

وقد ورد ذكر القميص بمعنى الدرع في قول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟- ؟)[5]:

وكَمْ مِنْ كَمِيٍّ قَدْ شَكَكْنَا قَمِيصَهُ بِأَزْرَقَ عَسَّالٍ إِذَا هُزَّ عَامِلُهْ[6]

أي: وكم من فارس مدجج في سلاحه خزقنا درعه برمح أزرق السنان.

---

(١) ابن منظور، مج ٧، ص٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤؛ وردت هذه الكلمة برسم آخـر "فضة". انظر، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، جـ ١، ص٥٣. وأعتقد أن ما أثبته عاليـه هـو الصحيح.

(٣) ابن منظور، مج ٧، ص٩٢.

(٤) ديوان جرير، ص٢٤٦.

(٥) ديوان ابن مقبل، ص١٨٠.

(٦) العسال: الرمح اللدن يهتز ويضطرب. عامل الرمح: متنه.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ- ٢١هـ)[١]:

تَمنَّاني وسابِغتي قَمِيصي كأنَّ قَتيرَها حَدَقُ الجَرَادِ

وقول كثير عزة (٤٠- ١٠٥هـ)[٢]:

طَويلُ القَميصِ لا يُذَمُّ جَنابُهُ، نَبيلُ إذا نِيطَتْ عليهِ الحمائلُ

أي: وهو صاحب درع سابغة لا يُذم له مقام، نبيل يحمل السيف ويضطلع بالمسئوليات الجسام.

وقول ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)[٣]:

هذا إلى ضافي الذَّيولِ مُضاعَفٍ كالسَّلْخِ من قُمُصِ الحديد مسبَّغِ

وقوله أيضًا[٤]:

وقُمُصِ حَديدٍ ضافياتٍ ذُيولُها لَها حَدَقٌ خُرْزُ العُيونِ صِغارُ

وقوله كذلك[٥]:

ورَفَلتُ في قُمصِ الحديـ ـدِ، وما أرَى في الليلِ ضَوًا

وقول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ)[٦]:

مَفرَشي صَهْوَةُ الحِصانِ ولَكِنْ قَميصي مَسرودَةٌ مِنْ حَديدِ

وقول ابن عبد ربه (٢٤٦- ٣٢٨هـ) في الحرب وذكر القائد[٧]:

مَقِيلُكَ تحتَ أظـلالِ العَوالـي وبَيْتُك فوقَ صَهْواتِ الجِيادِ

تَبَختَرُ في قَميصٍ من دلاصٍ وترفُلُ في رِداءِ من نِجـادِ

---

(١) ابن عبد ربه، مج ١، ص١٣٧.

(٢) ديوان كثير عزة، ص٢٤٤.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص٢٨٠.

(٤) الصولي، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص١٥٩.

(٥) ديوان ابن المعتز، ص٤٠٤.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص١١٢. وانظر، الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٥١.

(٧) ابن عبد ربه، مج ١، ص١٢٨.

٥٧- اللأمةُ:

اللأمـة: الدِّرْع[١]: جمعها لُؤَم، ويُقال: استَلأَم الرجلُ لأْمَتَه وتلأَمَها: أي لبسها، والمُلاَّم، بالتشديد: المدرع[٢]، قال الشاعر[٣]:

واستلأموا ولبسوا الحديدا

وقيل اللأمة: الدرع الحصينة، سميت لأمة لإحكامها وجودة حلقاتها[٤]. كما قيل: اللأمةُ: هي الدرع التامة التي لها فضول[٥]، وقال البعض: هي درع تكون من صفائح الحديد[٦]، غير أن من المؤكد -كما سيتبين فيما بعد- أنها كانت تسرد أي تُنسج من الزرد.

وعلاوة على ما تقدم فقد ذكر ابن منظور[٧] أن هناك من جعل اللأمة البَيْضَ -أي الخوذ- وأنشد قول ابن أبي الحقيق (؟- ؟):

بفَيْلَقٍ تُسقِطُ الأَحْبالَ رؤيتُها،   مُستَلئِمِي البَيْضِ من فوق السَّرابيل

---

(١) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤؛ ابن سلام، ص٢٣٨.

(٢) ابن منظور، مج ١٢، ص٦٢٩.

(٣) انظر، المرزباني، ص٢١٠.

(٤) ابن منظور، مج ١٢، ص٦٣٠.

(٥) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٢.

(٦) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، ١٩٨٧م، ص٢١٧. وعن استخدامها من قبل الجيوش الإسلامية. انظر -على سبيل المثال- ابن شداد، القاضي بهاء الدين، سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماه بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه تأليف: تاج الدين شاهنشاه ابن أيوب رحمه الله)، دار الفرجاني، القاهرة- طرابلس- لندن، د. ت، ص٦٧، ٩٦، ٢٠٤؛ أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص١٠٨.

(٧) ابن منظور، مج ١٢، ص٦٣٠.

وذكر كذلك أن الأعشى (؟- ٧هـ) جعل اللأمة السلاح كله، وأنشد قوله[١]:

وُقُوفًا بِمَا كَانَ مِنْ لأْمَةٍ، وَهُنَّ صِيامٌ يَلُكْنَ اللُّجُم

وذكر عن اللأمة بمعنى السلاح كله أنه يُقال: قد استَلأم الرجلُ إذا لبس ما عنده من عُدّة رُمْحٍ وبيضة ومِغْفَر وسيف ونَبْل، وأنشد قول عنترة بن شداد (؟- ٢٢ق. هـ) [٢]:

أنْ تُغْدِ في دُوني القِنَاعَ فإنَّني طَبٌّ بأخْذِ الفارِسِ المُستَلئِمِ

على أية حال فالإشارة إلى اللأمة بمعنى الدرع، والاستلئام بمعنى لبس الدرع، أمر شائع فيما بين يدينا من مصادر، كما أنه يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار أنه طالما أشير إلى أن الفارس مستلأم فالإشارة إلى لبسه الدرع والخوذة واقع ضمنيًا مع غير ذلك من سلاح. بل وحتى بيت الأعشى الذي استشهد به ابن منظور على اعتبار أن اللأمة فيه تعني السلاح كله، فقد اعتبر آخرون أن اللأمة هنا تعني الدرع[٣].

والاستلئام بمعنى لبس الدرع، واضح في قول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ) عن بني أسد[٤]:

فهم دِرْعِي التي استَلأَمْتُ فيها إلى يوم النِّسارِ، وهم مِجَنِّي[٥]

وعن اللأمة بمعنى الدرع، لدينا كثير من الإشارات، ومنها إشارة ابن هشام -حين تناول غزوة أحد (٣هـ)- إلى أن الرسول ﷺ دخل بيته فلبس لأمته يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، ولما خاطبه الصحابة في أمر البقاء في المدينة

---

(١) ابن منظور، مج ١٢، ص٦٣٠. وعن هذا البيت، انظر، ديوان الأعشى الكبير، ص٨٧.

(٢) ابن منظور، مج ١٢، ص٦٢٩. وعن هذا البيت، انظر، ديوان عنترة، ص٣٤.

(٣) انظر، ديوان الأعشى الكبير، ص٨٦، ح (٢٦- ٢٩)، ص٨٧.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص١٢٧.

(٥) يوم النسار: موضع كانت فيه وقعة.

وعدم الخروج، قال: "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يُقاتل"[1].

ومن الجدير بالذكر أن لأمة رسول الله ﷺ يوم أحد كانت صفراء اللون، ووصلتنا إشارة تُفيد أن الصحابي كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) -الذي كان منظره يُشبه منظر الرسول ﷺ إلى حد كبير- فضل أن يكون يوم أحد هدفًا لسهام المشركين بدلاً من الرسول ﷺ فلبس لأمة النبي ﷺ، ولبس النبي لأمته، فجُرح كعب أحد عشر جرحًا[2].

وقد ورد ذكر اللأمة أي الدرع، والاستلئام بمعنى لبس الدرع في قول كثير من الشعراء، ومن ذلك قول المتلمس الضبعي (؟- ٤٣ق. هـ)[3]:

وعَلَيْهِ منْ لأمِ الكَتَائبِ لأُمَةٌ   فَضْفَاضَةٌ فيها يَقُومُ ويَجْلِسُ

وقول الشاعر الجاهلي السفاح (؟- ؟)[4]:

عَتَادُكَ منها لأمَةٌ تُبَّعِيَّةٌ   وأبْيَضُ من ماءِ الحديدِ ومِغْفَرُ

وقول ربيع بن مقروم الضبي (؟- ١٦هـ)[5]

بَنُو الحربِ يومًا إذا استَلأمُوا   حَسِبْتَهُمُ في الحَدِيْدِ القُروما

أي: إن هؤلاء القوم معتادو الحروب، إذا لبسوا يومًا لأماتهم، تحسبهم وهم في حديدها كفحول الإبل.

وقول مالك بن عوف (؟- ؟) عن جيش المسلمين يوم حنين (٨هـ)[6]:

وكتيبة لبستها بكتيبة   فئتين منها حاسر وملأم

---

(١) ابن هشام، جـ ٣، ص١٩.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٩.

(٣) ديوان المتلمس الضبعي، ص٢٩٥.

(٤) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص١٧٠.

(٥) ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، ص٥٤.

(٦) ابن هشام، جـ ٤، ص٧٢.

وقول ذو الرمَّة (٧٧- ١١٧هـ)(١):

كأنَّ فُروجَ اللأْمَةِ السَّرْدِ شَدَّها   على نَفْسِهِ عَبْلُ الذِّراعَيْنِ مُخْدِرُ(٢)

وقول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ)(٣):

مَفْرَشي صَهْوَةُ الحِصانِ وَلَكِنْ   قَميصي مَسرودَةٌ مِنْ حَديدِ
لأْمَـةٌ فاضَـةٌ أضـاةٌ دِلاصٌ   أحْكَمَتْ نَسْجَهـا يَـدا داوِدِ

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـ) يمدح جعفر بن علي ويهنئه بأخذ قلعة كتامة(٤):

وما رُكِزَتْ في جوِّها قبلكَ القَنـا   ولا ركَضَتْ فيها المسوَّمةُ الجُرد
ولا التمعتْ فيها القِبابُ ولا التقتْ   بها لأمَةٌ سَـرْدٌ وقافيــةٌ شَـرْدْ

وقول ابن زيدون (٣٤٩- ٤٦٣هـ) في مدح المعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد(٥):

يَسرّكَ، في الهَيجا، إذا جر لامَةً،   ويُرضِيك، في النّادي إذا اعتمّ وارْادى(٦)

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ) وهو يصف جيشًا في معركة(٧):

وكأنَّ الجوادَ والسيفَ واللأ   مَةَ بحرٌ وجدولٌ وغدير

وقول ابن قلاقس (٥٣٢- ٥٦٧هـ)(٨):

---

(١) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص٣١٤.

(٢) فتل الذراعين: أي غليظ الذراعين. مخدر: أي أسد في أجمته.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص١١٢. وانظر، الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٥١.

(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص١٠٥، ١٠٦.

(٥) ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، د. ت، ص٢٢٩.

(٦) اعتم: لبس العمامة. ارتدى: لبس الرداء.

(٧) ديوان ابن حمديس، ص٢٤٧.

(٨) ديوان ابن قلاقس، ص١٨٧.

واللَّأْمَةُ الخضراءُ والصَّمصامَةُ الز   رقاءُ والخَطِّيَّةُ السَّمراءُ

وله فيها تشبيه بديع، حيث يمدح "ابن جميل" ويقول(1):

لَبِسَتْ به الإسكندريةُ لأْمــةً   رَدَّتْ على داودَ مُحْكَمَ سَرْدِهِ

فَحَمَى مسارحَها وكانتْ قَبْلَهُ   كالغيلِ فارَقَهُ مُقَــدَّم أُسْــدِهِ

٥٨- اللَّبُوسُ:

قال الفيروز آبادي: اللَّبُوسُ: الدِّرْعُ(2)، وفي اللسان اللَّبُوسُ: الثياب والسِّلاح، مُذكَّر، فإن ذهبت به إلى الدِّرْع أَنَّثْتَ. قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾(3) قالوا: هي الدروع تُلبَس في الحروب(4).

وقد ورد ذكر هذه الدروع في قول عباس بن مرداس (؟- ١٨هـ) يوم حنين (٨هـ)، حيث يصف جيش المسلمين ويقول(5):

فجئنا بألف من سليم عليهم   لبوس لهم من نسج داود رائع

وقول كعب بن زهير (؟- ٢٦هـ) في قصيدته المشهورة التي يمدح فيها الرسول ﷺ(6):

شُمُّ العَرانينِ أَبْطــالٌ لَبوسُهُــمُ   مِنْ نسجِ داودَ في الهَيْجا سَرابيلُ

---

(١) ديوان ابن قلاقس، ص٤٠٨.

(٢) الفيروز آبادي، جـ ١، ص٧٨٣؛ وانظر، الرازي، ص٥٩٠؛ الزمخشري، جـ ٢، ص٣٢٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) ابن منظور، مج ٦، ص٢٤٥.

(٥) ابن هشام، جـ ٤، ص٦٧.

(٦) ديوان كعب بن زهير، ص٩١؛ وانظر، ابن هشام، جـ ٤، ص٩٥؛ القرشي، ص٢٨٧؛ الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٥٣.

٥٩- الماذِيَّة:

هي الدرع اللينة السهلة الرقيقة، وقيل: الدروع البيضاء[١]، ويُؤخذ في عين الاعتبار أن الماذِيّ: هو العسل الأبيض[٢] الخالص الصافي؛ وقد شُبهت بـه هـذه الدروع الصافية الخالصة من الخبث[٣]، لذا يُقال لخالص الحديد وجيده: الماذي[٤]، بمعنى أن الماذي: صفوة الحديد[٥].

وقد ورد ذكر هذه الدروع في قول عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ق. هـ)[٦]:

وحلَقِ الماذِيِّ والقَوانسِ

وحلق الماذي، هي حلق الدروع اللّينة البيضاء، أما القوانس، جمع قَـونَس، فهي أعلى البيضة من الحديد وقيل مقدمتها.

وقول عنترة بن شداد (؟- ٢٢ق. هـ) يفخر بفرسان جيشه لابسو المـاذي ويقول[٧]:

---

(١) راجع، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٤؛ ابن منظور، مـج ٣، ص٦٢٤؛ وانظـر، الفيروز آبادي، جـ ١، ص٤٨٥؛ ديوان الأعشى الكبير، ح (١٠- ١٢)، ص٣٥١.

(٢) الرازي، ص٦٢٠؛ الفيروز آبادي، جـ ١، ص٤٨٥؛ ابن منظور، مـج ٣، ص٦٢٤. قـال الشاعر الجاهلي محمد بن كعب الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار، الذي قُتل في يوم ذي قار: هُوَ العَسَلُ الماذِيّ لِينًا ونائلاً، * ولَيثٌ، إذا يَلقَى العُداةَ، غَضُوبُ. القرشي، ص٢٤٩، وقال بشـار بن برد يمدح الخليفة المهدي: هو العَسَلُ الماذِيُ طَورًا وربّما * يكونُ كبيرُ القومِ مُـرَّ جَنَـى الصدرِ. ديوان بشار بن برد، ص٣٦٥؛ وقال ابن قلاقس: أقْسَمْتُ بالنَّحلِ إنَّ النحـلَ قائلـةُ * مَاذِي الحلاوةَ مِمّا تُحْسِنُ الماذِي. ديوان ابن قلاقس، ص٢٣٣،

(٣) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٣٣.

(٤) الفيروز آبادي، جـ ١، ص٤٨٥.

(٥) ديوان الحطيئة، ص١٧٢.

(٦) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٣٧؛ شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٣٣.

(٧) ديوان عنترة بن شداد، ص٨٥.

وَفَوَارِسٍ لي قَدْ عَلِمتُهُمْ صُبُرٍ عَلى التّكْرَارِ وَالكَلْمِ[1]
يَمْشُونَ والماذِيّ فَوقَهُمُ، يَتَوَقّدُونَ تَوَقُّـدَ الفَحْـمِ[2]

ويقول في البيت الثاني: إن هؤلاء الفرسان يمشون وفوقهم الدروع الماذية، فيبدون متوهجين، كالفحم المتقد.

وقول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)[3]:

مُسْتَحقِبي حَلَقِ الماذِيّ يَقْدُمُهمْ شُمُّ العَرانِينِ ضَرّابُون للهامِ

أي: ومحاربو هذه الكتيبة يحملون دروعهم الماذية في حقائب خلف ركائبهم، ويتقدمهم أعزة كرام شجعان، يضربون هامات أقرانهم بالسيوف.

وقوله أيضًا[4]:

ونَلْبَسُ الدَّهْمَ ذا الماذِيّ ضَاحِيةً بالدُّهم ثُمّت نَغْشَى الْموْتَ والْقَتَما[5]

وقول زهير بن أبي سُلمَى (؟- ١٣ق. هـ)[6]:

وآخرينَ تَرَى الماذِيّ عُدّتَهُمْ، من نَسْجِ داودَ أو ما أورَثَتْ لِإرَمْ

أي: إنهم كانوا يلبسون دروعًا قديمة متوارثة جيدة النسج، منسوبة إلى داود (عليه السلام)، أو هي متوارثة من قوم عاد، الذي ينسب العرب كل قديم إليهم.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[7]:

---

(١) علمتهم: خبرتهم. صُبُر: أشداء يتحملون المكاره بجلد. التكرار: كثرة الكر والهجوم. الكلـم: الجرح.

(٢) يتوقدون: يتوهجون عند اللقاء.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص٨٣.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص١٧١.

(٥) نلبس: نخلط. الدهم: الجيش. القتم: الغبار، والعجاج.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمىص٩٣.

(٧) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٥٢-١.

يَمشونَ في حلَقِ الماذيِّ يَقْدُمُهمْ   ضَخْمُ الدَّسيْعَةِ ما في سَيْرِهِ عَنَفُ[1]

ومن الشعر الذي قيل يوم بدر (٢هـ)، أبيات قيل: إنها لحسان بن ثابت، وقيل: بل قالها عبد الله بن الحارث السهمي، مطلعها[2]:

مستشعري حلق الماذي يقدمهم   جلد النحيزة ماض غير رعديد

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يوم بدر أيضًا[3]:

وَفينَا رَسُولُ اللهِ والأوسُ حَوْلَهُ   لَهُ معقلٌ منهُمْ عَزيزٌ وَنَاصِرُ
وجمعُ بني النجّارِ تحتَ لوائِهِ   يَمشُونَ في الماذِيِّ والنَّقْعُ ثائرُ[4]

وقول علي بن جَبَلَة (١٦٠- ٢١٣هـ) يمدح حُمَيد بن عبد الحميد[5]:

إذا لاقى رَعيلَ المَو   تِ بالشَّطْبَةِ والشَّطْبِ
وبالماذِيَّةِ الخُضْرِ   وبالهِنْدِيَّةِ القُضْبِ

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[6]:

إذا قادها للحرب يَوْمًا تتابعت   أُلوفٌ على آثارِهنَّ أُلوفُ
فَصَفُّوا وماذِي الحديد عَلَيْهِمْ   وبَيْضٌ كأولادِ النَّعامِ كَثيفُ

وقول الأخطل (١٩- ٩٠هـ) يمدح عبد الملك بن مروان[7]:

ترى الحَلَقَ الماذيَّ تَجْري فُضُولُه   على مُسْتَخِفٍّ بالنَّوائبِ والحَرْبِ

أي ودرعه التي يلبسها درع سابغة، يلبسها -الممدوح- الذي هو دائم

---

(١) ضخمُ الدسيعة: أراد به نفسه؛ والدَّسيعة العطيّة.

(٢) ابن هشام، جـ ٢، ص٢٨٥.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٤٧.

(٤) النقع: غبار الحرب.

(٥) ابن قتيبة، ص٥٩٦.

(٦) ديوان الحطيئة، ص١٧٢.

(٧) ديوان الأخطل، ص٣٢.

التأهب للحرب، شديد البأس، هازيء بالخطوب.

وقول بشار بن برد (٩٥- ١٦٧هـ) يمدح سفيح بن عمرو[1]:

إذا لبِسَ الماذِيَّ يومَ كريهةٍ   وشمَّرَ يحدو الخيلَ أو قاد جُرداً
رأيتَ إيّاةَ المُلكِ فوقَ جبينِهِ   تهزُّ المنايا والهِرَقْلَةَ النَّقدا

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـ) يصف دروع جيش من الفرسان[2]:

وتَخضِبُ الحَلَقَ الماذِيِ من علَقٍ   كأنّما صاغَها داودُ من ذَهَب

ويقصد في البيت الأول من الحلق الماذي: أي الدروع اللينة المنسوجة من الحلق، وقوله تخضب من علق: أي ذات لون أحمر. أما في البيت الثاني، فيُشير إلى إحكام صناعة هذه الدروع.

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨- ٤٥٧هـ)[3]:

ولَنَا الأَبْطَالُ إِذَا نَزَلُوا   اشْتَمَلُوا المَاذِيَّ إلى النُّطُقِ[4]

وقول أبو بكر محمد بن قزمان (؟- ٥٠٨هـ)[5]:

رَكِبُوا السُّيُولَ من الخيول وركَّبوا   فَوْقَ العَوَالي السُّمْرِ زُرْقَ نِطَافِ
وتجلَّلوا الغُدْرَانَ مِنْ مَاذِيِّهِمْ   مُرْتَجَّةً إلا على الأَكْتَافِ

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ) مادحًا الأمير علي بن يحيى واصفًا جيشه[6]:

---

(١) ديوان بشار بن برد، ص٢٩٩.

(٢) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص٥٦.

(٣) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ص٢٧٢.

(٤) النطق: ج نطاق، وهو ما يُنتطق به، أي يُشد به حول الوسط.

(٥) الحجاري، جـ ١، ص١٠٠.

(٦) ديوان ابن حمديس، ص١٤٩.

وأُسْدٍ على مثل السّعَالي عوابسٍ   لها لَبَدٌ من صَنعَةِ الحلَق السّرْدُ[1]

كُفَاةٌ وغيدٌ، أهدت الرّيحُ منهـا   لنا سَهَك الماذيّ في أرَج النـدّ

وهو في البيت الأول يُشبه فرسان جيش الممدوح وهي تمتطي الخيول النشيطة، بالأسود، العوابس: أي الكريهات المنظر من أثر الحرب والجهد. ويُشبه ما يلبسوه من مغافر مسرودة بلبد الأسود، أما في البيت الثاني، فيقول: إن لهذا الجيش رائحة متغيرة، كرائحة صدأ الماذي –أي الدروع الحديد– مما يلبسوه من دروع ومغافر.

٦٠- المبهمة:

المُبْهَمةُ: هي الدرع التي لا تستبين فيها أطرافَ حلَقِها، وقد ورد ذكرها في قول الحصين بن حمام المري (؟- ١٠ق. هـ)[2]:

صَفَائِحَ بُصرَى أَخْلَصتْهَا قُيونُها   ومُطَّرِدًا مِن نَسْجِ داوودَ مُبْهَمَا

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[3]:

فيه الرماحُ وفيه كُلُّ سابِغَةٍ   جَدْلاءَ مُبْهَمَةٍ من صُنْعِ سَلاَّمِ

جدير بالذكر أن لعمرو بن معدي كرب (١٠٠- ٢١ق. هـ) بيتين يقول فيهما[4]:

ولو أبصرتَ ما جَمَّعْـ   ـتُ فوق الوَرْدِ تَزْدَهِدُهْ

رأيتَ مُفاضـةً زَغْفًـا   وتَرْكًا مُبْهَمًـا سَـرَدُهْ

والتَّرْك –كما سيمر بنا– جمع تريكة وتَرْكة، وهي البيضة أو الخوذة، وهي لا

(١) السعالي: ج السلعاة، وهي أنثى الغول يُشبهون بها الخيل في النشاط والخفة.

(٢) المفضليات، ص٦٦؛ وانظر، النويري، السفر السادس، ص٢٠٢.

(٣) ديوان الحطيئة، ص١٢٨.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٩٠.

تكون مسرودة، بل ما يُسرد هو المغفر الذي يكون أسفل البيضة، أو التسبغة التي تدور حولها من أسفل، وهو ما قصده الشاعر، فكلاهمـــا -المغفـــر والتســـبغة- يُسردان من حلق كالدروع.

٦١- المَسْرُودة:

قال الرازي: دِرْعٌ مَسْرُودَة ومُسَرَّدة بالتشديد: فقيل سَرْدُها نَسْجُهَا وهو تداخل الحلَق بعضها في بعض. وقيل السَّرْدُ الثَّقْب والمَسْرُودة المثقُوبة[١]، وسُمي سَرْدًا لأنه يُثقب طرفا كل حلقة بالمسمار فذلك الحلق المِسْرَد. والمِسْرَد: هو المِثْقَب[٢].

وقد ورد ذكر الدروع المسرودة في قـــول امـــرئ القـــيس (١٣٠- ٨٠ق.هـــ)[٣]:

ومَسْرُودةِ النَّسْجِ مَوْضُونَةٍ   تَضَاءَلُ في الطَّيِّ كالمِبْرَدِ
تَفِيضُ على المرء أردانُها   كَفَيْضِ الأَتِيِّ على الجُدْجُدُ

وقول كثير عزة (٤٠- ١٠٥هـــ)[٤]:

إذا أخذوا أَدْرَاعَهُمْ فَتَسَرْبَلُوا   مُقَلَّصَ مَسْرُودَاتِها وَمُذَالَها

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـــ)[٥]:

لبسوا الحديدَ على الحديدِ مُظَاهَــرًا   حتى اليَلامِقُ والدروعُ سَوَاء[٦]
وتقنّعوا الفولاذَ حتى المقلةُ النّجــ   ــلاءُ فيها المقلةُ الخوصــاء[٧]

---

(١) الرازي، ص٢٩٣، ٢٩٤؛ وراجع، ابن سيدة، جـــ ٢، السفر السادس، ص٤٤.
(٢) ابن منظور، مج ٣، ص٢٦٠.
(٣) النويري، السفر السادس، ص٢٤٣.
(٤) ديوان كثير عزة، ص٢٢٩.
(٥) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص١٦.
(٦) مظاهرًا: أي الواحد منه فوق الآخر. اليلامق: ج يلمق: القباء المحشو.
(٧) المقلة النجلاء: العين الواسعة الحسنة. الخوصاء: الضيقة

وبعد بيت آخر يقول:

من كلّ مسرودِ الدّخارِص فوقَــه   حُبُكٌ ومَصقولٍ عليــهِ هَبــاء[1]

وقول ظافر الحداد (؟- ٥٢٩هـ) [2]:

وخَطِّيةٌ سُمْر وبيض صَوارمٌ   ومَسْرودةٌ زَغفٌ ومُقَرَبة جُرْد

وقول الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ)[3]:

هُمُ الأُسْدُ يَلْقَوْنَ الوَقائِعَ حُسَّرًا   وَهَلْ يَلْبَسُ الأُسْدُ الدّلاصَ المُسَرَّدا

وقول ابن قلاقس (٥٣٢- ٥٦٧هـ)[4]:

في آلةِ البأسِ والأيامُ باسِمَةٌ   فَإِنْ شَكَكْتَ فَسَلْ مَسْرُودَةَ الشِّكَكِ[5]

٦٢- المُضاعَفَةُ:

تضاعف الشيء: أي صار ضعف ما كان، والدرع العادي يُنسج مـن حَلْـقٍ مركب في بعضه حَلْقَةً حَلْقَةً، ورغبة في إحكامها وشدة منعتها، تُنسج حَلْقَتَيْنِ حَلْقَتَيْنِ، ومن ثم فقد ضُوعِفَ حَلَقُها[6]، قال حبيب بن أوس الطائي (؟- ؟)[7]:

فزِعوا إلى الحَلَقِ المضاعَفِ وارتدوا   فيها حديدًا في الشُؤون حديدا

وقد ورد ذكر الدروع المضاعفة لدى كثير من الشعراء، ومنهم الجُمَـيْحُ (؟- ٥٣ق. هـ)، وذلك في قوله[8]:

---

(١) الدخارص: ج دخريص، وهو ما يُصل به بدن الدرع توسيعًا. الحبك: الخطوط. الهباء: الغبار.

(٢) ديوان ظافر الحداد، ص١١٧.

(٣) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص١٤٤.

(٤) ديوان ابن قلاقس، ص١٦١.

(٥) الآلة: الحربة والمراد الشدة. الشكة: السلاح.

(٦) راجع، الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١١٠٦؛ ابن منظور، مج ٩، ص٢٤٦.

(٧) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٥٢.

(٨) المفضليات، ص٤٢.

مُدَّرِعًا رَيطَةً مُضَاعَفَةً كالنِّهي وفَّى سَرَاهُ الرِّهَمُ[1]

والريطة: هي الملاءة، وأراد بها هنا الدرع. والمعنى: إنه لابس درعًا مضاعفة -نُسجت حلقتين حلقتين- تُشبه وسط النهي -أي الغدير- حين يُمتلأ بالماء وتضربه الرياح؛ فتبدو فيه طرائق وصفاء تُشبه به الدروع.

وقول قيس بن الخطيم الأوسي (؟- ٢ق. هـ)[2]:

فلمّا رأيتُ الحَربَ حَربًا تجرّدَتْ، لَبِستُ مع البُردَينِ ثوبَ المُحارِبِ
مُضاعَفَةٌ يَغشَى الأناملَ رَيعُها، كأنَ قَتيرَها عيُونُ الجَنَادِبِ[3]

والمقصود بثوب المحارب الدرع، وهي ها هنا: درع مضاعفة، أي ضوعف حلقها ونُسجت حلقتين حلقتين، وتتميز هذه الدرع بطول كميها: حيث تغطي الأنامل، كما أن قتيرها -أي مساميرها- تُشبه عيون الجراد.

وقول لبيد (؟- ٤١هـ) يرثي النعمان بن المنذر[4]:

وَما نَسَجَتْ أسرَاد داود وابنِهِ مُضاعَفَةٌ مِنْ نَسْجِهِ إذْ يُقابِلُ
وكانَتْ تُراثًا منْهُما لِمُحَرِّقٍ طَحُونٌ كأنَّ البَيْضَ فيها الأعابِلِ
إذا ما اجْتَلاها مأزِقٌ وتَزَايَلَتْ وَأحكَمَ أضغَانَ القَتيرِ الغَلائِلِ
أوتْ للشِّياحِ واهتَدَى لصَليلِها كَتائِبُ خُضرٌ ليسَ فيهِنَّ ناكِلُ

وقول حسان بن ثابت (؟- ٥٤هـ) يوم بدر (٢هـ)[5]:

قتلنا ابني ربيعة يوم سارا إلينا في مضاعفة الحديد

وقول كعب بن مالك (؟- ٥٠هـ) يوم الخندق (٥هـ)[6]:

---

(١) سراه: وسطه. الرهم: ج رهمة: المطر الضعيفة الدائمة. وفته الرهم: أي ملأته.
(٢) القرشي، ص٢٢٧، ٢٢٨.
(٣) رَيْع الدرع: فضول كميها على أطراف الأنامل.
(٤) ديوان لبيد، ص١٣٥.
(٥) ابن هشام، جـ ٢، ص٢٨٤.
(٦) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٢٧؛ وانظر، ابن هشام جـ ٣، ص١٥٧.

يَغْدونَ بالزّغْفِ المُضاعفِ شَكَّهُ   وبمُتْرصَاتٍ في الثقافِ صِيَابِ

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[١]:

وكُلِّ مُفاضَةٍ جَدْلاءَ زَغْفٍ   مُضاعَفَةٍ وأَبْيَضَ مَشْرَفِي

وقوله كذلك[٢]:

يَمْشُونَ في نَسْجِ دَاوُدِ مُضاعَفَـةٍ   بُزْلٍ طَلَى أُدْمَها بالزّفْتِ طَالِيهـا

وقول النابغة الجعدي (٥٤ق. هـ/ ٥٠هـ)[٣]:

ونـهْنَهْتُه حتّى لَبست مَفاضَةً   مُضاعَفَةً كالنّهي رِيحَ، وأمطرا

وقول صريع الغواني (؟- ٢٠٨هـ) في مدح يزيد بن يزيد[٤]:

تَرَاهُ في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضاعَفَةٍ   لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَى على عَجَلِ[٥]

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ)[٦]:

ودروعٌ قد ضُوعفت النسجُ منها   وتناهى فـي سردهـا التقديـر

كصغارِ الهاءات شُقّـتْ فأبْـدت   شكلَها من صُفوفِ جيشٍ سطور

٦٣- المُقَلَّصة:

قال ابن منظور: القالص من الثياب المُشَمَّرُ القصـير. وقلصـت قميصـي:

---

(١) ديوان الحطيئة، ص١٨٠.

(٢) ديوان الحطيئة، ص٢٨٣.

(٣) القرشي، ص٢٧٨.

(٤) شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري، المتوفى سـنة ٢٠٨هـــ، تحقيـق، سامي الدهان، سلسلة ذخائر العـرب، العـدد (٢٦)، ط ٣، دار المعـارف، القـاهرة، د. ت، ص١٢.

(٥) كلمة "يدعى" وردت في قراءة أخرى "يؤتى". انظر، ابن قتيبة، ص٥٧١.

(٦) ديوان ابن حمديس، ص٢٤٧.

شمرته ورفعته، قال الشاعر:

سراج الدُّجى حلّتْ بسَهْلٍ، وأُعْطِيَتْ نَعِيمًا وتَقْلِيصًا بدِرْعِ المَنَاطِقِ

ثم أورد حديث عائشة رضي الله عنها: أنها رأت على سعد درعًا مُقَلّصة أي مجتمعة منضمة. ثم ذكر أنه يُقال: قَلَّصَت الدرعُ وتَقَلَّصَت، وأكثر ما يقال فيما يكون إلى فوق(1).

وعلاوة على ما تقدم فقد ورد ذكر هذه الدرع في قول كثير عزة (٤٠-١٠٥هـ)(2):

إذا أخذوا أدْراعَهُمْ فَتَسَرْبَلوا مُقَلَّصَ مَسْرودَاتِها وَمُذالَها

والمعنى: إذا أخذ فرسانك الدروع للحرب قصيرها وطويلها ...

٦٤- المُفاضَةُ والفَيُوض:

المُفاضَةُ من الدُّرعِ: الواسِعَةُ(3)، ويُقال: درع مُفَاضَةٌ وفَيُوضٌ وفاضٌ: أي واسعة(4) فضفاضة(5)، أو سابغة(6)، قال الشاعر(7):

يَحْبُوك بالزَّغْفِ الفَيُوضِ عَلَى هِمْيانِها والأُدْمِ كالغَرْسِ

وعن هذه الدرع أورد النويري قول ثعلب (؟- ؟)(8):

فَنَهْنَهْتُه حتى لبِست مُفاضَةً دِلاصًا كلون النِّهْي ريحَ وأُمْطِرا

---

(١) ابن منظور، مج ٧، ص٨٩.
(٢) ديوان كثير عزة، ص٢٢٩.
(٣) الفيروز آبادي، جـ ١، ص٨٨١.
(٤) ابن منظور، مج ٧، ص٢٣٩.
(٥) ديوان الأعشى الكبير، ص٣١٠.
(٦) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦١.
(٧) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.
(٨) النويري، السفر السادس، ص٢٤٢.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول زهير بن أبي سُلمَى (؟- ١٣ق. هـ)[١]:

وَمُفاضَةٍ كالنِّهْي تَنسِجُهُ الصَّبَا   بَيضَاءَ كَفَتْ فَضلَهَا بِمُهَنَّدِ[٢]

وفي هذا البيت يُشبه الشاعر المفاضة: الدرع، بالنهي: أي الغدير في صفائها، ويشبه دوائر حلقات زرد هذه الدرع بما تُحدثه الريح من فقاقيع دائرة بالغدير.

وقول الأعشى (؟- ٧هـ) يصف جيشًا ويقول عن دروعهم[٣]:

سَوَابِغُهمْ بِيضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ   مِنَ الْبِيضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ اسْتَقَلَّتِ

وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ ذَاتُ رَيْعٍ مُفَاضَةٌ   وَأَسْهَلَ مِنْهُ عُصْبَةٌ فَأَطَلَّتِ

وقد سبقت الإشارة إلى أنه يقول في البيت الأول: وكانت دروعهم طويلة تغطي جسدهم، بيضاء، خفيفة، لا تعوق حركتهم، وفوق رؤوسهم بيض – خوذات– لها بريق يلمع فتبدو كالنجوم. أما في البيت الثاني فيقول: وأقفرت حومة الوغى من كل شيء، إلا الدروع المفاضة –أي الفضفاضة– مبعثرة هنا وهناك، وقد هبط فريق منهم إلى السهول متشبثًا بالقتال.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[٤]:

عَلَيَّ مُفَاضَةٌ كالنِّهْـ   ـيِ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهْ

تَرُدُّ الرُّمْحَ مُنْثَنِيَ الـ   ـسِّنَانِ عَوَائِرًا قِصَدُهْ

أي: وألبس درعًا واسعة، صافية كماء الغدير على الأرض الصلبة، وهي ترد الرمح منكسرًا سنانه خاسئًا عن قصده.

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٢٥.

(٢) كفت: جمعت. فضلها: ما زاد منها.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص٣١١.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٨٨.

كما قال أيضًا[1]:

ولو أبصرتَ ما جَمَّعْـــتُ فوق الورْدِ تَرْدَهِدُهْ
رأيتَ مُفاضـــةً زَغْفَـــا وترْكًا مُبْهَمَـــا سَـــرَدُهْ

وقال كذلك[2]:

وكلّ مُفاضَةٍ بيضاءَ زَغْفٍ وكُلّ مُعاوِدِ الغارات يَخْدِي

وقال كذلك[3]:

وَمُفاضَةً كالنِّهْي مُحْكَمَةً مِن صَنْعِ داوُدِ أبـــي سَلْـــمِ

كما قال أيضًا[4]:

وَسَعَتْ نساؤهُمُ بكلِّ مُفاضَةٍ جَدْلاءَ سابغةٍ وبالأَبْدانِ

وله كذلك قصيدة نظمها في قيس بن مَكْشُوحِ المُرادي، حين خالفه عمرو وقدم على الرسول وأسلم، منها[5]:

تَمنَّانـــي علـــى فـــرسٍ عليـــه جالسًـــا أسَـــدُهْ
علـــيَّ مُفاضـــةٌ كالنِّهْـــيِ أخلَصَ ماءَهُ جِدَدُهْ[6]
تَرُدُ الرمْحَ مُنْثنيَ السِّـــنانِ عَوائـــرًا قِصَـــدُهْ
فلـــو لاقيتنـــي لَلَقـــتَ ليثًا فوقَـــهُ لِبَـــدُهْ

وقال الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[7]:

وكُلّ مُفاضَةٍ جَدْلاءَ زَغْفٍ مُضاعَفَةٍ وأبْيَضَ مَشْرَفِي

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٩٠.

(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٩٥.

(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٦٤.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٧٣.

(٥) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٨٧، ٨٨؛ ابن هشام، جـ ٤، ص١٤٧.

(٦) الجدد: الأرض الصلبة.

(٧) ديوان الحطيئة، ص١٨٠.

ويفخر جرير (٣٣- ١١٤هـ) بفرسان قومه، ويقول[١]:

عَلَيْهِمْ مُفَاضَاتُ الحَدِيدِ كَأَنَّهَا أَضَا يَوْمَ دَجْنٍ في أَجَالِيدَ صَحْصَحُ[٢]

ويفخر بهم في قصيدة أخرى ويقول[٣]:

عَلَيْهِمْ مِنَ المَاذِيِّ كُلُّ مُفَاضَةٍ دِلاصٍ لها ذَيْلٌ حَصِينٌ وَرَفْرَفُ

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٤]:

أَجْلَبُوا تحتَ غابَةٍ مِنْ قَنَا الخطِّ وَزَغْفٍ من الحَدِيدِ مُفَاضِ

وقول أبو فراس الحمداني (٣٢٠- ٣٥٧هـ)[٥]:

وَمُلْكي بَقَايا ما وَهَبتُ: مُفَاضَةٌ، وَرُمْحٌ، وَسَيْفٌ قاطِعٌ، وَحِصَانُ

٦٥- المُهَلْهَلَة:

قال ابن سيدة: المُهَلْهَلَة: الدُّرُوع والجَوْشَنُ- من السِّلاح[٦].

٦٦- المَوْضُونَة:

قال ابن سيدة: المَوْضُونَة: المنسوجة، وعن ابن دريد: هي المَنْسُوجَة حَلْقَتَيْن حَلْقَتَيْن وضنت الشيء وَضْنًا: ثَنَيْت بعضَه على بعضٍ[٧]، وفي المحيط: المَوْضُونَةُ: الدِرْعُ المَنْسُوجَةُ، أو المُقَارَبَةُ النَّسْجِ. أو المَنْسُوجَةُ حَلْقَتَيْنِ حَلْقَتَيْنِ، أو بالجَوَاهِرِ[٨]، بينما لم يزد الزمخشري عن القول: درع موضونة: منسوجة

---

(١) ديوان جرير، ص٨٨.

(٢) الأجاليد: ج جلد، وهي الأراضي الصلبة المستوية.

(٣) ديوان جرير، ص٢٩٦.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٤٤٤.

(٥) ديوان أبي فراس، ص٣٣٢.

(٦) ابن سيده، جـ ٢، ص٤٥.

(٧) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٨) الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٦٢٦.

حَلْقَتَيْن حَلْقَتَيْن[1]، أي مُضاعة، قال تعالى ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾[2]، أي مضاعفة النسج أو الضفر.

وقد ورد ذكر هذه الدرع في قول امرئ القيس (٢٣٠- ٨٠ق. هـ) يصف درعًا، ويقول[3]:

ومَشْدُودَةَ السَّكِّ مَوْضُونَةٍ تَضَاءَلُ في الطَّيِّ كالمِبْرَدِ
تَفِيضُ على المرء أردانُها كَفَيْضِ الأَتِيِّ على الجُدْجُدُ

وقد سبقت الإشارة إلى أن الشطر الأول في البيت الأول ورد في قراءة أخرى "ومَسْرودةِ النَّسْجِ مَوْضونةٍ"، والسَّك: المِسْمارُ، قال الزمخشري: درع مشدودة السك وهو مسمارها[4].

وقول بشامة بن عمرو (؟- ١٤ق. هـ)[5]:

وحُشُّوا الحُروبَ إذا أُوقِدَتْ رِماحًا طِوَالاً وخيلاً فُحولاَ
ومِن نَسْجِ داوُودَ مَوْضُونَةً ترَى لِلْقَواضِبِ فيها صَلِيلاَ

أي ويلبسون دروعًا محكمة -من نسج داود- وهي دروع موضونة: أي منسوجة من حلقتين حلقتين، لوقع السيوف عليها صليلاً.

وقول أبو قيس بن الأَسْلَتِ الأنصاري (؟- ١هـ)[6]:

---

(١) الزمخشري، جـ ٢، ص٥١٤.

(٢) سورة الواقعة: الآية ١٥.

(٣) ديوان امرئ القيس، مج ٢، ص٦٤٥. جدير بالذكر أنه اختلف في هذا الشعر، فقيل أيضًا إنه لعمرو بن معدي كرب. راجع، ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٢٠٠.

(٤) الزمخشري، جـ ١، ص٤٥١.

(٥) المفضليات، ص٥٩.

(٦) المفضليات، ص٢٨٤. وقد وردت هذه الأبيات في رواية أخرى مع تقديم وتأخير، واختلاف في بعض الكلمات. انظر، القرشي، ص٢٣٤.

أَعْدَدْتُ للأَعْداءِ مَوْضُونَةً فَضْفَاضَةً كالنِّهْيِ بالقَاعِ
أَحْفِزُها عَنِّي بِذِي رَوْنَقٍ مُهَنَّـدٍ كالمِلْـحِ قَطَّـاعِ

يقول الشاعر في البيت الأول: وقد أعددت لملاقاة الأعداء درعًا موضونة – نُسجت حلقتين حلقتين- فضفاضة –واسعة- تُشبه في صفائها الماء الذي في الغدير. أما في البيت الثاني، فيقول: أدفع هذه الدرع عني بسيف مهند كالملح في صفائه. وهو في ذلك يُشير إلى قول الأصمعي بأن العرب كانت تعمل في أغماد سيوفها شبيهًا بالكلاب –وهو الخطاف- فإذا ثقلت الدرع رفعها من أسفلها فجعلها بالكلاب لتخف عليه[1].

وقول الأعشى (؟- ٧هـ) يصف درعًا[2]:

وَبَيْضَاءِ كَالنِّهْيِ مَوْضُونَةً لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ البَدَنْ

وللأعشى كذلك قصيدة تضمنت أبياتًا يصف فيها ما يُعدُّ من سلاح للحرب، ويقول[3]:

وَأَعْـدَدْتَ لِلحَـرْبِ أَوْزَارَهَـا رِمَاحًا طِوَالاً وَخَيْـلاً ذُكُـورَا
وَمِـنْ نَسْـجِ دَاوُدَ مَوْضُونَـةً تُسَاقُ مَعَ الحَيِّ عِيرًا فَعِيـرَا
إِذَا ازْدَحَمَتْ فِي المَكَانِ المَضِيـ ـقِ حَتَّ التَّزَاحُمُ مِنْهَا القَتِيرَا
لَهَا جَـرَسٌ كَحَفِيـفِ الحَصَـا دِ صَادَفَ بِاللَّيلِ رِيحًا دَبُورا
وَجَـأْوَاءَ تُتْعِـبُ أَبْطَالَهَـا كَمَا أَتْعَبَ السَّابِقُونَ الكَسِيـرَا

ويُشير الشاعر في أول هذين البيتين إلى أنه قد أُعدت للحرب عدتها –أوزارها- من رماح وخيول. ودروع محكمة من نسج داود –أي محكمة- موضونة: أي منسوجة نسجًا مضاعفًا، وهي كثيرة؛ تُحمل فوق الجمال عِيرًا من

---

(١) المفضليات، ح ٧، ص٢٨٤.
(٢) ديوان الأعشى الكبير، ص٧٥.
(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص١٤٩.

ورائها عير. ثم يقول في البيت الثالث: وإذا ازدحمت هذه الدروع في المسالك الضيقة بين الجبال احتكت رؤوس المسامير التي تربط حلقاتها. ثم يقول في البيت الرابع: فتسمع لها صوتًا كحفيف الحصاد حين تهزه الريح في سكون الليل. ويقول في البيت الخامس: وإذا نازل أبطالُ الحرب هذه الكتيبة الكثيفة الجمع، وقد تراكم فوق رجالها الدروع، حتى لا ترى فيها إلا سوادًا، أتعبتهم، كما يُتعب الجوادُ السابق الجَوادَ الأعرج إذا جرى معه مسابقًا.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ)[١]:

حشوها على الأعداء بالبيض والقنا وبالزَرْدِ الموضون، والضُمّر الجُرْد

وقول الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ)[٢]:

تَضْفو عَلَيْهِمْ أدْرُعٌ مَوْضونَةٌ يَرْتَدُّ عَنْها السَّيْفُ مَفلولَ الشَّبا

مُشْبِكاتٌ حَلَقًا كَأَنَّها مَسْرُدَةٌ بِأعْيُنِ مِن الدَّبى

أي: ويلبس هؤلاء الفرسان دروعًا موضونة، لا يتمكن السيف من النيل منها، وهذه الدروع ذات الحلقات المشبكة، تبدو كأنها مسردة بأعين الدبى: أي الجراد الصغير.

٦٧- النَثْرةُ والنَثْلَةُ:

النَثْرةُ والنَثْلَةُ: هي الدروع الواسعة[٣]، وقال الزمخشري: وأخذ دِرْعًا فنثرها على نفسه: صبَّها، ومنها: النَّثرة وهي الدِّرْعُ السَّلِسَةُ المَلْبَس[٤]، وفي اللسان: النثرة: الدِّرْعُ السَّلِسةُ المَلْبَس، وقيل: هي الدرعُ الواسِعةُ. ونَثَر دِرْعَه عليه: صَبَّها، ويُقال للدِّرع: نَثْرةٌ ونَثْلَةٌ. قال شمر في كتابه في السلاح: النثرة والنثلة

---

(١) ديوان ابن حمديس، ص١٥٢.

(٢) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص٦٢٤.

(٣) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٤) الزمخشري، جـ ٢، ص٤٢٠، ٤٢١.

اسم من أسماء الدرعِ، وهي المَنْثُولةُ، وأنشد[1]:

وضاعَفَ مِنْ فَوْقِها نَثْرَةً   تَرُدُّ القَواضِبَ عنها فُلُولا

وقال ابن شميل: النَّثْلُ الأَدْراعُ، يُقال نَثَلَها عليه ونَثَلَها عنه أي خلعها. ونَثَلَها عليه إذا لَبِسَها. قال الجوهري: يُقال نَثَر درْعه عنه إذا ألقاها عنه، قال: ولا يُقال نَثَلها. وفي حديث أم زرع: ويَميسُ في حِلَقِ النثْرة. قال: هي ما لَطُفَ من الدُّرُوع، أي يَتَبَخْتَرُ في حِلَقِ الدِّرْعِ، وهو ما لطُف منها[2].

وقد ورد ذكر هذه الدرع وأوصاف لها، وذلك في قصيدة لزهير بن أبي سُلْمَى (؟- ١٣ق. هـ) يمدح أحد الأشخاص ويقول عنه[3]:

فَلَمّا تَبَلّجَ مَا فَوْقَهُ   أناخَ فَشَنّ عَلَيه الشّليلا
وضاعَفَ مِنْ فَوْقِها نَثْرَةً   تَرُدّ القَوَاضِبَ عَنها فُلُولا
مُضاعَفَةً كَأضاةِ المَسيلِ   تُغَشّي عَلى قَدَمَيهِ فُضُولا

ويقول في البيت الأول: فعندما أضاء له الصباح، أناخ الإبل، وصب عليه درعه، أي لبسها. ويقول في البيت الثاني: ثم لبس فوق درعه هذه درعًا -نثرة- أخرى، لا تستطيع القواضب -السيوف- النيل منها، فتُرد عنها مثلمة، أي: مكسرة حدودها. ويقول في البيت الثالث: فهي درع مضاعفة: أي نُسجت حلقتين حلقتين، وهي تُشبه في صفائها الأضاءة: أي الغدير، إنها درع واسعة طويلة -سابغة- تسترسل فضولها فتُغطي على قدمي لابسها.

كما ورد ذكر هذه الدرع في قول أوس بن حجر (٩٥- ٢ق. هـ)[4]:

وَبَيْضَاءِ زَغْفٍ نَثْلَةٍ سَلَمِيَّةٍ   لَهَا رَفْرَفٌ فَوْقَ الأنامِلِ مُرْسَلُ

---

(١) الرجز بلا نسبة في لسان العرب. وهو لزهير بن أبي سلمى كما سنثبته عاليه.

(٢) ابن منظور، مج ٥، ص٢٢٦.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٥٣.

(٤) ديوان أوس بن حجر، ص٩٦.

وقول سعد بن مالك بن ضبيعة (؟- ٩٥ق. هـ) [1]:

والنَّثْرَةُ الحَصْدَاءُ والـ ـبَيْضُ المُكَلَّلُ والرِّمَاحُ

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ) [2]:

وكَأنّ الشَّليلَ والنَّثْرَةَ الحَصْـ ـداءَ مِنْهُ عَلى سَليلٍ غَريفِ

وقول الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ) [3]:

مِنْ كُلِّ مَشْبوحِ الأَشَاجِعِ، سَاحِبٍ في الرَّوْعِ ذَيْلَ النَّثْرَةِ الحَصْداء [4]

ويقول الشاعر: -وحوت هذه الكتيبة- فرسانًا شدادًا أقوياء، تراهم يسحبون دروعهم النثرة: الواسعة. الحصداء: المحكمة.

وقوله كذلك [5]:

فَالنَّثْرَةُ الحَصْداءُ لَمْ تَسُنَّها إلا على عَبْلِ الذِّراعِ باسِلِ

كما قال أبو عبد الله محمد بن الفخار (؟- ٥٣٩هـ) [6]:

ألا إنَّ دِرْعي نثرةٌ تُبَّعِيَّةٌ وسيفيَ صدقٌ إن هززْتُ يمان

٦٨- اليَلَبُ:

قيل: هي جلود تُلبس بمنزلة الدرع، تُعرف بالدرع اليمانية. وفي رواية أخرى: إنها جلود يُخرز بعضها إلى بعض وتُلبس على الرأس كالبيضة. وفي رواية ثالثة: إنها الدرق أو البيض التي تُتخذ من جلود الإبل أو الفولاذ من

---

(١) ديوان الحارث بن حلزة، ص٨٤.

(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٣٠٨.

(٣) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص١٣٦.

(٤) الأشاجع: هي العروق على ظهر الكف، وغلظها دليل قوة.

(٥) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص٤٩٦.

(٦) الحجاري، جـ ١، ص٤٣٢.

الحديد[1]. وقال أبو عبيدة: هي جلود تُعمل منها دروعٌ فتُلْبَس وليست بترسة[2]. وهناك إشارة تُفيد أن اليَلَب: درع يمانية، قال بعضهم: هي من الحديد، وقال آخرون: تُتَّخذ من جلود الإبل[3].

وقد تعرض ابن منظور لكل الآراء السابقة، وزاد قول الجوهري: اليَلَبُ: كل ما كان من جُنَنِ الجُلودِ ولم يكن من الحديد[4]. والأكيد لدينا أن اليلب كانت تُطلق على نوع من الدروع، وكذا على نوع من الترسة، وفيما يتعلق بكونها من الدروع، يتضح في قول عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ق. هـ)[5]:

عَلَيْنا البَيْضُ وَاليلَبُ اليَماني، وَأسيَافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينا

أي: ونضع على رؤوسنا خوذًا، ونلبس على أجسامنا دروعًا، ونحمل في أيادينا سيوفًا يقمن وينحنين لطول الضراب بها.

وقول ضرار بن الخطاب الفهري (؟- ١٣هـ) -أحد مشركي قريش- يوم الخندق (٥هـ)[6]:

تَرَى الأبدانَ فيها مُسْبَغاتٍ على الأبطالِ واليَلَبَ الحَصِينا

وقول السيد الحميري (١٠٥- ١٧٣هـ) في قصيدة رثاء للحسين (رضي)، مشيرًا إلى جيش بني أمية، بقوله[7]:

فغدوا لـه والسّابغا تِ عليهمِ والمَشرفيّة

---

(١) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨؛ وراجع، الفيروز آبادي، جـ ١، ص٢٣٩؛ ديوان ابن هاني الأندلسي، ح ٣، ص٥٤.

(٢) ابن سلام، ص٢٤١.

(٣) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ح ٤، ص٧٥.

(٤) ابن منظور، مج ١، ص٩٥٢.

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٦٦؛ القرشي، ص١٤٥؛ شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٧٥.

(٦) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص٩٠؛ ابن هشام، جـ ٣، ص١٥٤.

(٧) ديوان السيد الحميري، ص١٨٠.

والبَيْضِ واليَلَبِ اليما نـي والطّوال السمهريّة

كما ورد ذكر هذه الدروع في قصيدة للمتنبي، نظمها يرثي أخت سيف الدولة؛ التي توفيت سنة (٣٥٢هـ)[1]:

مَسَرَّةٌ في قُلوبِ الطّيبِ مَفرِقُها وَحَسْرَةٌ في قُلوب البيضِ واليَلَبِ

والمعنى: إن البيض -الخوذ- والدروع -اليلب- يتحسران بسبب تركها لبسهم لأنها من ملابس الرجال، والطيب يسر باستعمالها له واستعار لهما قلوبا.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠- ٦٠٨هـ) يمدح صلاح الدين الأيوبي بعد فتحه لحلب[2]:

أَتَى إليها يقودُ البحرَ مُلْتَطِمًا والبِيضُ كالمَوجِ والبَيْضَاتُ كالْحَببِ
تبدو الفوارسُ منه في سَوابِغِها بين النقيضين من ماءٍ ومن لهبِ
مُسْتَلْئِمين ولولا أَنّهم حَفِظُوا عوائدَ الحرْبِ لاستَغْنَوا عن اليَلَبِ

* * *

وجميع أنواع الدروع السابقة – كما تبين- كانت معروفة قبل الإسلام، واستمرت بعد ذلك عبر العصور الإسلامية المختلفة. وبالإضافة إلى الأنواع السابقة، نشير إلى نوعين آخرين من الدروع، هما:

٦٩- الكزاغند:

قال الطرسوسي: الكازغندات: هي ممّا استخرجها مولدي الأعراب، وهي زرديات رفاع يُلبس عليها ثياب قد بُسط فوقها مُشاقة[3] الحرير والمصطكا وتُكسى

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٤٥.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص٢.

(٣) المشاقة: هي ما بقي من الكتان والشعر ونحوه بعد المشق؛ وهو أن يُجذب في ممشقة وهي شيء كالمشط حتى يخلص خالصه، يبقى فتاته وقشوره، فتلك المشاقة تصلح للقبس والحشو. الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ح ٣، ص١٥٥.

بالثياب كالديباج أو غيرها، وتخاط عليها وتحسن بالتنبيت بالحرير وغيره[١].

وذكر "Dozy" أن الكزاغند: كلمة فارسية تشير إلى جاكت محشو ومبطن بالقطن أو بالحرير، وأنه يستخدمها الجنود بدلاً من الدروع[٢]، وهو قريب من تعريف "آدي شير" الذي قال "القزاكند -الكزاغند": هو الدرع ولباس الحرب مركب من "كز" أي "قز" و "آكند" أي محشو، وهو ثوب محشو قزًا وقطنًا كان يلبسه الجند تحت الدرع[٣].

ومن خلال التعريفات السابقة، ومما سوف يُشار إليه فيما بعد، فليس هناك مجال للشك في أن "الكزاغند" نوع من الدروع[٤]، وأميل إلى تعريف الطرسوسي، بأنها زرديات رفاع يُلبس عليها ثياب قد بُسط ... إلخ.

٧٠- جهارآينة:

كلمة فارسية، تعني: المرايا الأربع، كانت تُطلق على نوع من الدروع ظهرت في إيران خلال القرن التاسع الهجري/ ١٥م، وهذه الدرع تتكون من أربع صفائح كبيرة من الحديد متصلة بواسطة مفصلات وإحدى هذه الصفائح لحماية الصدر والأخرى للظهر، بينما الاثنتان الباقيتان للجنبين، وفيهما ثقبان كبيران يخرج منهما الذراعان، وكثيرًا ما كانت هذه الدرع تُبطن بالحرير ويُلبس فوقها الزرد[٥].

---

(١) تبصرة أرباب الألباب، تحقيق، كلود كاهن، ص١٤.

(٢) Supplément, Tome Second, p. 462

(٣) السيد ادي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص١٢٥.

(٤) هناك إشارة تفيد بأن "الكزاغندات": دروع لوقاية الذراعين، كانت تُدفن بالزرد، وتغشى بالديباج أو القطن على عصر الفاطميين. مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٦٢.

(٥) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٤٦م، ص٢٨٦؛ بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، ص٣٥،=

وبعد أن تناولنا أهم أسماء وصفات الدروع التي عُرفت عبر العصور الإسلامية، يهمنا الإشارة إلى أن المحاربين كانوا يحرصون على دخول الحروب وهم لابسين الدروع التامة أو الكاملة أو المركبة[1]، وهي تكون مؤلفة من درع: لحماية البدن -وقد يكون معها جوشن لزيادة حماية منطقة الصدر[2]- وخوذة: وهي معدة تقي الرأس، وتُسمى البَيْضَة أو التريكة، وقد يكون من تحت هذه الخوذة -أي حول الرأس- شيء من الزرد ينسدل على العنق والأذنين وهو يُسمي: المغفر، أو يتصل بأسفلها -أي أسفل الخوذة- صفائح أو شيء من الزرد يكون كالرفرف يقي العنق والأذنين ويُسمى التَسْبِغةُ[3]. ثم إن هناك أجزاء أخرى تكون على هيئة صفائح، تتخذ لوقاية الساعدين[4]، والساقين، بل وفي بعض الأحيان كان يُحرص على وقاية الكفين[5]، والكتفين[6]، وربما القدمين كذلك[7].

جدير بالذكر أنه وصلنا ما يُفيد أن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي) كان له درع تامة، وكان لها ساقان كساقي السراويل وما بينهما مرفوع مفتوح ثم تُربط

= لوحة ١١١. وللاستزادة عن هذه الدرع ونماذجها. انظر، ربيع حامد خليفة، ص. ص١٨٦-١٨٨.

(١) للوقوف على شكلها. انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، لوحة ١١٣.

(٢) للوقوف على شكلها. انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، لوحة ١٠٨.

(٣) للوقوف على شكلها. انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، اللوحات ٦٧، ٦٩، ١٠٦.

(٤) للوقوف على شكلها. انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، لوحة ١٠٧.

(٥) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، جـ ١، ص٩٢، ٩٣؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، جـ١، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص١٨٧.

(٦) انظر، بدون مؤلف، الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، لوحة ١٠٩.

(٧) كان الخف يبطن بالزرد كذلك. انظر، عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، جـ٢، ص٢٢. وعن واقيات الأيدي والأرجل. راجع، حسين عليوه، السلاح المعدني، ص٣١٣.

بشراكين -أي سَيرين- ويُصَرُّ كعقدة السروال، وكان له مغفر من نحوها[1].

كما لا يفوتنا الإشارة إلى أن الرسول ﷺ كانت له سبع أدرع -سبقت الإشارة إلى كل منها في موضعها- هي: ذات الفضول، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والسعدية، وقضة، والبتراء، والخرنق. كما وصلنا ما يُفيد أنه ﷺ كان له مغفر حديد يُقال له الموشح، وآخر يُقال له السبوغ أو ذو السبوغ، وهو الذي كان على رأسه الشريفة حين دخل مكة يوم الفتح، وقد ورد رسمه في بعض المصادر "السبوع"، و "ذو السبوع"[2]، غير أن الصحيح "السبوغ"، و "ذو السبوغ"، لِتَمامِها وسَعَتِها[3].

وإذا كانت الدراسة قد أفاضت في تناول الدروع التي استعملت لحماية أبدان المحاربين، فيهمنا كذلك الإشارة بشيء من التفصيل إلى ما استعملوه من الأسلحة الدفاعية أو الجنن الواقية لحماية رؤوسهم ونقصد بها البيض أو الخوذ أو القلنسوات، وما يخص حماية الرقبة والأذنين، وهي المغفر، والتسبغة.

البَيْضَة:

هي معدة كانت تستعمل لوقاية الرأس فقط، أي غير مزودة بزرد أو مدارئ من صفائح تقي الرقبة والأذنين، وتعرف البيضة كذلك باسم التَّرْكَةُ، وهي المستديرة، وجمعها التَّرْكُ والتَّرائك[4]، قال الأصمعي: والتَّرِيكَةُ: البيضةُ التي تركها الظليم فَفَسَدَتْ. تركها أبوها ببلد قَفْرٍ، وهي بيضة النعامة[5]. وكان يُشبه

---

(١) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٦٢.

(٢) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤.

(٣) ابن منظور، مج ٨، ص٥١٥.

(٤) النويري، السفر السادس، ص٢٤١؛ وراجع، ابن سلام، ص٢٣٩.

(٥) عن بيض النعام الذي يتركه النعام في القفار. راجع، ديوان الأعشى الكبير، ص١٣٨، ١٣٩؛ ديوان ذي الرمة، مج ٢، ص٦.

البيض الذي على رؤوس الرجال من الحديد بها[1]. بمعنى أن الأصل في التريكة: بيضة النعامة –التريكة– فُشبهت البيض التي على رؤوس الرجال بها.

وعلاوة على ذلك فتُعرف البيضة كذلك باسم جَمّاء غَفِير، ودَوْمَص، ورَبِيعَة، وعَرْمَة، وعِمَامَة، وخَيْضَعَة[2]، وعن الأخيرة هذه قال الشاعر[3]:

والضَّارِبُون الهامَ تَحْتَ الخَيْضَعَه

وقد وصلنا كثير من الإشارات عن البيض والترائك، ومن ذلك قول ابن قَمِيئَة (١٧٩– ٨٥ق. هـ)[4]:

كأنّ سَنَا البَيْضِ فَوْقَ الكُما ةِ –فِيهِ– المَصَابِيحُ تُخْبِي الذُّبَالا[5]

أي: وكأن الضوء الساطع من البيض التي يلبسها المحاربون فوق رؤوسهم –فيه– المصابيح تطفئ الفتيلة التي تسرج في المصباح.

وقول امرئ القيس (١٣٠– ٨٠ق. هـ)[6]:

مُهْرَةُ الحاسِرِ والدَّارِعِ ذي الـ بَيْضَةِ المَلْسَاء والحِنْوِ الجَدْ[7]

والمعنى: إن هذه الناقة –التي شبهها بالمهرة– مهرة للحاسر: أي الذي لا سلاح معه، والدارع: أي لابس الدرع، ذي البيضة الملساء: أي لابس البيضة الملساء.

---

(١) ديوان العجاج، ص١٢٣.

(٢) النويري، السفر السادس، ص٢٤٠؛ خزانة السلاح، ص٥٩، وانظر، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٦.

(٣) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٦.

(٤) ديوان ابن قميئة، ص١٧٨.

(٥) الذبال: ج الذبالة؛ وهي الفتيلة التي تسرج في المصباح.

(٦) ديوان امرئ القيس، مج ٢، ص٦٦٤.

(٧) الجدد: الصلب، يريد خشب الحنو.

وقول سعد بن مالك بن ضبيعة (؟- ٩٥ق. هـ)[١]:

والنَّثْرَةُ الحَصْدَاءُ والـ ـبَيْضُ المُكَلَّلُ والرِّمَاحُ

والبيض المكلل: أي البيض المسمرة بالمسامير.

وقول المتلمس الضبعي (؟- ٤٣ق. هـ)[٢]:

والبَيْضَ والزَّغْفَ المُضَا عَفَ سَرْدُهُ حَلَقٌ مُوَثَّقْ

وقول عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ق. هـ) في معلقته[٣]:

لَيَسْتَلِبُـنَّ أبدانًـا وبَيْضًـا وأسْرى في الحَديد مُقَرَّنينا

جدير بالذكر أن هناك رواية أخرى، استبدلت "في الحَديد مُقَرَّنينا"، بـ "في الحديد مقنعينا"[٤]، أي يضعون من أسفل البيض مغافر، لا تُظهر منهم غير حدق العيون، كما أن كلمة "وبَيْضًـا"، وردتِ في رواية أخرى "وَبِيضًا" وهي السيوف.

كما ورد ذكر البَيْضة أيضًا في قول عمرو بن كلثوم[٥]:

عَلَيْنا البَيْضُ وَاليَلَبُ اليَمـانِي، وَأَسْيَـافٌ يَقُمْـنَ وَيَنْحنينـا

وقول سلامة بن جندل (؟- ٢٣ق. هـ)[٦]:

كأنَّ النَّعامَ باضَ فوقَ رُؤوسِهِمْ وأعينُهُمْ، تَحتَ الحَدِيدِ، جَواحِمُ

والشاعر في هذا البيت، يُشبه بيض المحاربين على رؤوسهم ببيض النعام، وقوله: وأعينُهُمْ، تَحتَ الحَدِيدِ، جَواحِمُ، إشارة إلى أنهم كانوا يلبسون تحت البيض مغافر، لا تظهر غير أعينهم الجواحم: أي المتوقدة كالنار.

---

(١) ديوان الحارث بن حلزة، ص٨٤.

(٢) ديوان المتلمس الضبعي، ص٢٤٧.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٦٨؛ شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٨١.

(٤) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ح٣، ص٨١.

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم ص٦٦؛ القرشي، ص١٤٥؛ شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٧٥.

(٦) ديوان سلامة بن جندل، ص٢٤٧.

وقول بشر بن أبي خازم (؟- ٢٢ق. هـ)[١]:

لَقِيناهُمُ كَيْفَ نُعْلِيهِمُ   بَوَاتِرَ يَفْرِينَ بَيْضًا وَهَامَا

أي: وحين تقابلنا مع الأعداء ضربناهم على رؤوسهم بالبواتر -السيوف- فقطعنا البيض والرؤوس التي تحتها.

وقول زهير بن أبي سُلمَى (؟- ١٣ق. هـ)[٢]:

هُمُ يَضرِبُونَ حبَيكَ البَيضِ إذا لحقوا   لا يَنكصُونَ إذا ما استُلحموا وحَموا[٣]

وقول قيس بن الخطيم (؟- ٢ق. هـ)[٤]:

صَبَحناكُمُ بَيضاءَ يَبرُق بَيضُها

وقوله: يبرق بيضها، أي يلمع بيضها. أما قوله صبحناكم: أي أغرنا عليكم صباحًا. بيضاء: قال المحقق: لعله أراد كتيبة بيضاء بما تحمله من السيوف البيض[٥]، وربما كان الأمر كذلك، وربما كان إشارة إلى ما يلبسه فرسان هذه الكتيبة من دروع وبيض، من حديد أبيض.

وقول الشاعر الجاهلي أبو جداية (؟- ؟)[٦]:

فَصَبْرًا إلى ما تَدْنُ منّا جُنُودهُ   وتَلْبِسُ بَيْضًا للوغى وسَنَوَّرا

وقول ابن أبي الحقيق (؟- ؟)[٧]:

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم، ص١٩٧.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٩٣.

(٣) حبيك البيض: طرائقه، الواحدة حبيكة. ينكصون: يتراجعون، ينهزمون. استلحموا: أدركوا. حموا: اشتد غضبهم، من حمي النار: اشتد لهيبها.

(٤) القرشي، ص٢٢٩.

(٥) القرشي، ح ٨، ص٢٢٩.

(٦) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٢٩٥.

(٧) ابن منظور، مج ١٢، ص٦٣٠.

بفَيلَقٍ تُسقِطُ الأَحْبالَ رؤيتُها، مُستَلئمي البَيْضِ من فوق السَّرابيل

وقول أبو قيس بن الأسلت الأنصاري (؟- ١هـ)[1]:

مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَها مُرًّا، وتَحْبِسْهُ بِجَعْجَاعِ[2]

قد حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأسي فَمَا أَطْعَمُ غُمْضًا غَيْرَ تَهْجَاعِ[3]

ويقول في البيت الثاني: ومن كثرة مكوث البيضة على رأسي، أذهبت شعري ونثرته، ومن طول لبسها –وغيرها من السلاح- لا أنام إلا قليلاً.

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ- ١١هـ)[4]:

عَلَيْهِمُ البَيضُ والأبدانُ سَابِغَةٌ يُقَحِّمُونَ كأنَ القَوْمَ في رَهَجِ

وفي شرح هذا البيت، قال أبي بكر الأنباري: البَيْض: جمع بَيْضة وهي المغفر وهي القردماني، وأنشد قول لبيد (؟- ٤١هـ)[5]:

فَخْمَةً ذَفْراءَ تُرْتَى بالعُرَى قُرْدُمانِيًا وتَرْكًا كالبَصَلْ

والحق أن ما بين يدي من مصادر لا يجعلني أميل إلى قوله بأن البَيْضة: هي المغفر، فالمغفر: هو الزرد الذي يكون على الرأس تحت البيضة. كما أن قوله: إن البيضة: هي القردماني، هو أمر صعب كذلك، إذ من المعروف أن القردماني: الدرع.

كما ورد ذكر البيض في قول الأعشى (؟ - ٧هـ) يصف جيشاً[6]:

سَوَابِغُهمْ بِيضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ مِنَ البِيضِ أَمْثَالُ النُجُومِ استَقَلَّتِ

---

(١) القرشي، ص٢٣٤؛ المفضليات، ص٢٨٤.

(٢) الجعجاع: المحبس في المكان الغليظ أو الضيق.

(٣) حصت: أحرقت. وأراد بالتهجاع النوم القليل، وهو في الأصل النوم مطلقاً.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل، ص٣٦.

(٥) ديوان لبيد، ص١٤٦.

(٦) ديوان الأعشى الكبير، ص٣١١.

وقد سبقت الإشارة إلى أنه في هذا البيت يقول: وكانت دروعهم طويلة تغطي جسدهم، بيضاء -ذات بريق- خفيفة، لا تعوق حركتهم، وفوق رؤوسهم بِيض لها بريق يلمع فتبدو كالنجوم.

وورد ذكر التركة -وهي البيضة- لدى مزرد بن ضرار الذيباني (؟-١٠هـ)، فبعد أن وصف درع المحارب، يقول[١]:

وتَسْبِغَـةٌ في تَرْكَـةٍ حِمْيَرِيَّـةٍ   دُلامِصَةٍ تَرْفَضُّ عنها الجَنَادِلُ
كأنَّ شُعاعَ الشَّمسِ في حَجَرَاتِها   مَصَابيحُ رُهْبانٍ زَهَتْها القَنَادِلُ

والتسبغة: هي رفرف البيضة أو التركة، التي نسبها إلى حمير، وهي تركة دلامصة: أي براقة من أجود الحديد، ترفض أن تتكسر وتتفرق عنها لصلابتها. وعندما تسقط أشعة الشمس على نواحي هذه التركة، تبدو كمصابيح رهبان مضيئة.

ونجد ذكر البيضة في قول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ) يصف شخصًا، ويقول عنه[٢]:

له هامةٌ ما تأكلُ البَيْضُ أُمَّها

أي: له هامة عظيمة لا تحصها البيضة التي على رأسه.

وقوله أيضًا[٣]:

ونسمعُ للهنديّ في البِيْضِ رَنَّةً   كَرَنَّةِ أبكارٍ زُفِفْنَ عَرائسا

وورد ذكر التريكة لديه في قوله[٤]:

ولو أبصرتَ ما جَمَّعْـ   ـتُ فوق الوَرْدِ تَزْدَهِدُهْ

---

(١) الزمخشري، جـ١، ص٤١٩؛ المفضليات، ص٩٨، ٩٩.
(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٦٨.
(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٢٧.
(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٩٠.

رأيتَ مُفاضةً زَغْفًا   وتَرْكًا مُبْهَمًا سَرْدُهْ

وقوله كذلك[1]:

وتَرْكًا للرؤوسِ مُسَبَّغاتٍ   إلى الغاياتِ من زَغْفٍ وَقِدِّ

كما ورد ذكر البيض في قول ضرار بن الخطاب (؟- ١٣هـ) يوم أحد (٣هـ)[2]:

سِرْنا إِلَيهِمْ بِجَيْشٍ في جَوانبهِ   قوانِسُ البَيْضِ والمحبوكةُ السرُدُ

أي: وانطلقنا إليهم بجيش استكمل فرسانه عدّة الحرب، فلبسوا البيض، والدروع المحكمة النسج.

كما قال في اليوم نفسه[3]:

بل ضاربين حبيكَ البيضِ إذْ لَحِقُوا   شُمَّ العرانينِ عندَ الموتِ لُذّاعِ

وقول عبد الله بن رواحة (؟- ٨هـ) في قصيدة يشجع المسلمين قبيل حرب مؤتة (٨هـ)[4]:

بذي لجب كأن البيض فيه   إذا برزت قوانسها النجوم

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[5]:

فَسَفُّوا وماذِي الحديد عَلَيهُمْ   وبَيْضٌ كأولادِ النَّعامِ كَثيفُ

أي: يلبسون دروعًا سهلة لينة، ويضعون على رؤوسهم بَيْض. وقوله: إنها

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٩٦.

(٢) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص٥١؛ ابن هشام، جـ ٣، ص٩٣.

(٣) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص٦٩.

(٤) ابن هشام، جـ ٤، ص٧.

(٥) ديوان الحطيئة، ص١٧٢.

كأولاد النعام: قال ابن السكيت: أراد كبَيْضِ النعام، فلم يمكنه[1].

وقول العجاج (؟- ٩٠هـ)[2]:

والهَامَ والبَيْضَ انْتِقَافَ الحَنْظَلِ حَتَّى ارفَأَنَّ النا...

ويقول الشاعر في هذا البيت: ...

ويُخْرِجُ دِماغَها، ...

الضَّارِبِينَ زُحُوفًا يَـومَ ذي نَجَبٍ، فيها الدِّرْعُ وَفِيها البَيضُ والغابُ[1]

وقول ذي الرُّمَّة (٧٧- ١١٧هـ)[2]:

لَبِسنا لها سَرْدًا كأنَّ مُتونَهــا على القومِ في الهَيْجا مُتونُ الخَرانِقِ
سَرابيلَ في الأَبدانِ فيهَ صُدْأَةٌ وبَيْضًا كبَيْضِ المُقْفـراتِ النَّقانــقِ

وبيض المقفرات: هي بيض النعام "المقفرات": اللواتي في القفر من الأرض. وقد شبه بيض الفرسان المدرعين ببيض النعام.

وقول بشار بن برد (٩٥- ١٦٧هـ)[3]:

تحت العجاجةِ إذ فيها جماجمُهم مثلَ القرودِ عليها البَيض تتَّقِدُ

وورد ذكر التريكة في قول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[4]:

جَلَّيْتَهُ بشُعاعِ رأسٍ، رَدَّهُ لُبْس التَّرائِكِ للهياجِ صَليعا

وورد ذكر البيضة في قول ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)[5]:

وحربٍ لو أنَّ الله يَرمي بجَمرِها شماريخَ رَضوى زَلزَلَتها جُنودُها[6]
يُسعِّرُهــا أبطالُهــا بصــوارِمٍ، ويَفلقُ بيضاتِ الحديدِ حديــدُها[7]

وجاء ذكر البيضة في قول تميم بن المعز (٣٣٧- ٣٧٤هـ) فــي قصــيدة يمدح أخاه العزيز بالله ويذكر انتصاره على أفتكين في معركة بالشام، ويُشير إلى

---

(١) الزحوف: ج زحف، يريد الجيش الزاحف إلى العدو. ذو نجب: مكان، كان فيه يـوم. الغــاب: القنا شبهها بالغاب لكثرتها.

(٢) ديوان ذي الرمة، مج ١، ص١٤٥.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص٢٣٣.

(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٢٩٣.

(٥) ديوان ابن المعتز، ص١٣٨.

(٦) رضوى: جبل.

(٧) يسعّر: يلهّب، يوقد. يفلق: يشق.

ملامح من هذه الحرب، حيث يقول[1]:

وقد ولغتْ في الصدُورِ الرِّمــاحُ　　وصلّتْ لبيض السيوف الطُّلى[2]

وغنّتْ على البَيْض بيضُ الذّكور　　غِنــاءً يُعيـد الفُــرَادى ثُنَــا[3]

كما نجد ذكرِ التريكة في قول ابن أبي حصينة (٣٨٨- ٤٥٧هـ)[4]:

قَوْمٌ إذَا لَبِسُوا التَّرِيكَ لِحَادِثٍ　　غَطُّوا بِهِنَّ مَوَاقِعَ التِّيجَانِ

وورد ذكر البيضة في قول ظافر الحداد (؟- ٥٢٩هـ)[5]:

سلِ الخيلَ والسُّمْرَ الذَّوابِلَ والوَغَى　　فرسانها والبيض والبَيْضَ والزَّغْفا

والبيض: هي السيوف. أما البَيْض: فهي الجنن الحديد التي تقي الرؤوس.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠- ٦٠٨هـ) في قصيدة يمـدح صـلاح الـدين الأيوبي بعد فتحه لحلب[6]:

أتَى إليها يقودُ البحــرَ مُلتَطِمًــا　　والبيضُ كالمَوجِ والبَيْضَاتُ كالْحَببِ

تبدو الفوارسُ منه في سَوابِغِها　　بين النقيضين من ماءٍ ومن لهــبِ

والبِيضُ: السيوف. والبَيْضَاتُ: الجنن الحديد التي تقي الرؤوس.

وله أيضًا قصيدة أخرى في مدح صلاح الدين الأيوبي، أشار فيها إلى الأعداء وقال[7]:

---

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله، ص٩.

(٢) صلت: من الصليل، وهو صوت الحديد. الطلى: ج طلية، وهي العنق.

(٣) الذكور: ج ذكر، وهو من الحديد أيبسه.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ص٢٥٢.

(٥) ديوان ظافر الحداد، ص٢١٦.

(٦) ديوان ابن سناء الملك، ص٢.

(٧) ديوان ابن سناء الملك، ص١٧٤.

تَرى بَيْضَهم بَعْدَ اللِّقاءِ كأنَّما أَحَاطَ بهم مِنْ أَسْهُم القِسِّ قَندسُ[1]

وله قصيدة في مدح الملك الأفضل بن صلاح الدين، منها قوله[2]:

مَلكٌ له البَيْضِ تِيجَانٌ وما بَرحَتْ له السوابغُ في يَومِ الوَغَى حُلَلا

وأختم إشارتي إلى البيض منوهًا إلى أن أعلاها يُسمى القونس، الجمع: قوانس، وهي كثيرة الذكر في الشعر العربي، وكان يُشار بها أحيانًا كناية عن البيضة كلها، قال الأخطل (١٩- ٩٠هـ) مفتخرًا[3]:

كُنَّا إذا الجبارُ أَغْلَقَ بابَهُ نسيرُ ونَكْسُو الدارعينَ القَوانِسا

وقال كثير عزة (٤٠- ١٠٥هـ)[4]:

وذي قَوْنَسٍ يومًا شَكَكتَ لُبانَهُ بِذي جُمَّةٍ في عامِلِ الرُّمحِ لَهْذَمِ

أي: رب شجاع يحتمي ببيضته طعنته في صدره برمحك النافذ فهوى يتلوى

المِغْفَرُ والتَسْبِغَةُ:

المِغْفَرُ، والمِغْفَرةُ، والغِفارةُ: زَرَدٌ يُنْسَج من الدُّرُوع على قَدْر الرأس يُلْبَس تحت القَلَنْسُوة[5] أو الخوذة أو البيضة، وقيل: هو رَفْرَفُ البيضة، وقيل: هو حَلَق يَتَقَنَّعُ به المُتَسلِّح. قال ابن شميل: المِغْفَرُ حِلَقٌ يجعلُها الرجل أسفلَ البيضة تُسْبَغ على العنق فتَقِيه[6]، وكذا على الأذنين، وربما غطت إلى جانب ذلك الوجه كله، فلا يظهر منه إلا العينان، ويوصف لا بسها بأنه مُقَنَّع[7]؛ قال طفيل الغنوي (؟-

---

(١) القندس والقندسة: خشبة للبنائين يستعملونها في بناء القناطر وتُعرف بالكندجة.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص٢٤٢.

(٣) ديوان الأخطل، ص١٦١.

(٤) ديوان كثير عزة، ص٣٤١.

(٥) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٥.

(٦) ابن منظور، مج ٥، ص٣٠.

(٧) النويري، السفر السادس، ص٢٤١.

١٣ق. هـ) بعد ذكره للخيول السريعة[١]:

تجيءُ بِفُرْسَانِ الصَّباحِ عوابسًا مُسَوَّمَةً تَرْدِي بكلِّ مُقَنَّعِ

أي إن هذه الخيول تردي –ترمي– بفوارس مقنعين بالمغافر.

وإذا كان الشائع أن المغفر يُلبس على الرأس أسفل الخوذة، فقد يُكتفى به –أحيانًا– فيُلبس بدون الخوذة، قال علي بن أبي طالب (رضي) (٢٣ق. هـ/ ٤٠هـ)[٢]:

أضربُ بالسيفِ على المغافرِ مع النبي المصطفى المهاجر

وقد أفاض ابن منظور في تعريف التسبغة، حيث قال: وتَسْبِغةُ البَيْضةِ: ما تُوصَلُ به البَيْضةُ من حَلَقِ الدُّرُوعِ فتَسْتُرُ العُنُقَ لأن البيضة به تَسْبُغُ، ولولاه لكان بينها وبين جَيْبِ الدِّرْعِ خَلَلٌ وعورة. قال الأصمعي: يُقال بيضةٌ لها سابِغٌ، وقال النضر: تَسْبِغٌ البيض رُفُوفُها من الزَّرَدِ أسفَلَ البيضة يقي بها الرجل عُنقه، ويُقال لذلك المِغْفَر أيضًا، وأنشد قول أبو وجزة (؟– ١٣٠هـ) في التسبغة[٣]:

وتَسْبِغَةٍ يَغْشي المناكبَ رَيْعُها لداودَ كانَتْ نَسْجُها لمْ يُهَلْهَلِ

ثم قال: وفي حديث قَتْلِ أُبَيّ بن خلف: زَجَلَه بالحربة فتَقَعُ في تَرْقُوتِه تحت تَسْبِغَةِ البيضة؛ التَّسْبِغَةُ: شيء من حَلَق الدُّروع والزَّرَدِ يَعْلَقُ بالخُوذةِ دائرًا معها ليستر الرقبة وجَيْبَ الدِّرْع. وفي حديث أبي عبيدة (رضي): إنَّ زَرَدَتَيْنِ من زَرَدِ التَّسْبِغَةِ نَشِبتَا في خد النبي ﷺ، يوم أُحُدٍ[٤].

---

(١) ديوان طفيل الغنوي، ص٧٤.

(٢) ديوان الإمام علي، ص٥٢.

(٣) شعر أبي وجزة السعدي، (... – ١٣٠هـ)، جمع ودراسة، وليد محمد السراقبي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م، ص١٥٨. وانظر، الزمخشري، جـ ١، ص٤٢٠.

(٤) ابن منظور، مج ٨، ص٥١٤، ٥١٥. وعن التسبغة. انظر أيضًا، الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٠٤٦.

ومن خلال ما تقدم يُمكن القول: إن التسبغة والمغفر من حيث الشكل والوظيفة متقاربين، غير أن المغفر يكون على الرأس أسفل البيضة، بينما التسبغة تُعلق أسفل البيضة، فتكون لها كالرفرف. قال الزمخشري: وسالتْ تسبِغَتُه على سابِغَته وهي رفرف البيضة، وأنشد لمُـزرِّد بن ضرار الذبياني (؟-١٠هـ)(١):

وتَسبِغةٌ في تَرْكة حِمْيَرِيَةٍ دُلامِصةٍ يرفضُ عنها الجنادل

على أية حال فلدينا كثير من الإشارات الصريحة إلى المغفر والتسبغة، كما أن لدينا إشارات تُشير إلى المحاربين المقنعين، وهي تدل على أنهم يلبسون مغافر لا تظهر غير عيونهم.

وقد ورد ذكر المغفر في قول مُهَلْهَل بن رَبْيعَة (؟- ٩٤ق. هـ)(٢):

وَالمَشْرَفِيَّةَ لا تُعَرِّجُ عَنْهُمُ ضَرْبًا يَقُدُّ مَغَافِرًا وَدُرُعَا

وقول الشاعر الجاهلي السفاح (؟- ؟)(٣):

عَتَادُكَ منها لأمَـةٌ تُبَّعِيَّـةٌ وأبيَضُ من ماءِ الحديدِ ومِغْفرُ

وقول أمية بن أبي الصلت (؟- ٥هـ)(٤):

لا يَضْجَرون وإنْ حُرَّتْ مغافِرُهُم ولا ترى منهُمُ في الطعنِ ميّالا

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ- ١١هـ)(٥):

وهُمْ يَضْرِبُونَ غَداةَ الصبَا حِ أنْفَ المُدَجَّجِ ذي المِغفَرِ

(١) الزمخشري، جـ ١، ص٤١٩.

(٢) دوان مهلهل بن ربيعة، ص٤٨.

(٣) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص١٧٠.

(٤) ديوان أمية بن أبي الصلت، ص١٧٦.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، ص٦٧.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)(١):

لمّا انتمى لأبيه شدَّ بصارمٍ   يَفري الجماجمَ تحت زَرْدِ المِغْفَرِ

وقول أبو ذؤيب الهذلي (؟- ٢٧هـ) (٢):

والدَّهرُ لا يَبْقى على حدَثانِهِ   مُسْتَشْعِرٌ حلَقَ الحديدِ مُقنَّعُ

حميَتْ علَيهِ الدّرْعُ، حتى وجهُه   من حَرِّها، يومَ الكريهةِ، أسفَعُ

ويتحدث الشاعر في البيت الأول عن مصرع البطل الفارس الكامل السلاح. ويقول: إن الدهر لا يبقي نوائبه لابس حلق الحديد -الدرع- مقنع: أي لابس المغفر. ويقول في البيت الثاني: ويوم الكريهة -الحرب- حميت عليه الدرع- حتى أن وجهه -أسفَع- اسود من حرها.

وقول الأسود بن عمرو بن كلثوم (؟- ؟)(٣):

وحَيٍّ إذا ما أصبحوا في ديارهم   بشهباءَ فيها حاسرٌ ومُقَنَّعُ

وقول لبيد (؟- ٤١هـ)(٤):

فَذَبَّ عَنْ بِلادِهِ وَوَرَّعَا(٥)

وحابَسَ الحاسِرَ والمُقَنَّعَا(٦)

وقول الشاعر المخضرم متمم بن نويرة (؟- ؟) (٧):

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٢١.

(٢) المفضليات، ص٤٢٧؛ القرشي، ص٢٤٦.

(٣) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٢٨١.

(٤) ديوان لبيد، ص٩٦.

(٥) ورع: كف ورد.

(٦) حابس: حبس.

(٧) القرشي، ص٢٦٦. كلمة "تاكل" وردت في المفضليات، ص٢٦٦: "بَزُّه"، والبز: السلاح. وعن متيم بن نويرة. انظر، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، جـ ٥، ص٥٠، ٥١؛ ابن قتيبة، ص٢١٤.

ولا بِكَهَامٍ ناكلٍ عن عَدُوِّهِ   إذَا هُوَ لاقَى حاسرًا أو مُقَنَّعَا[1]

وقول لقيم العبسي (؟- ؟) في فتح خيبر (٧هـ)[2]:

ومهاجرين قد أعلموا سيماهم   فوق المغافر لم ينوا الفرار

وقول عباس بن مرداس (؟- ١٨هـ) يوم حنين (٨هـ)[3]:

كانت إجابتنا لداعي ربنا   بالحق منا حاسر ومقنع

وقول علي بن أبي طالب ﷺ (٢٣ق. هـ/ ٤٠هـ)[4]

أضربُ بالسيفِ على المغافرِ   مع النبي المصطفى المهاجر

وقول حمزة بن مالك يوم صفين (٣٦هـ)[5]:

أنا الذي كنْت إذا الدّاعي دَعا   مُصَمِّمًا بالسَّيْفِ نَدْبًا أرْوَعَا
فأُنْزِلِ المُسْتَلْئِمَ المُقَنَّعا   وأقتلُ المُبالِطَ السَّمَيْدَعا

وقول الأخطل (١٩- ٩٠هـ)[6]:

وشَهْباءِ الْمَغافِرِ قارَعَتْنا   مُلَمْلَمَةٍ يلوذُ بها الفُلُولُ[7]

وقول ابن هاني الأندلسي (٣٢٦- ٣٦٢هـ) [8]:

لبسوا الحديدَ على الحديدِ مُظاهَرًا   حتى اليَلامِقُ والدروعُ سَواء[9]

---

(١) الكهام: الكليل. الناكل: الناكص، الجبان.

(٢) ابن هشام، جـ ٣، ص٢١٨.

(٣) ابن هشام، جـ ٤، ص٦٦.

(٤) ديوان الإمام علي، ص٥٢.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص٩٢.

(٦) ديوان الأخطل، ص٢٢١.

(٧) قارع: ضرب بالسيف. الفلول: الجموع المنهزمة.

(٨) ديوان ابن هاني الأندلسي، ص١٦.

(٩) مظاهرًا: أي الواحد منه فوق الآخر. اليلامق: ج يلمق: القباء المحشو.

وتقنّعوا الفولاذَ حتى المقلةُ النّجـ ـلاءُ فيها المقلةُ الخوصـاء[1]

وقول قول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ/ ٩١٥- ٩٦٥م)[2]:

تَركْنَ هامَ بَني عَوْفٍ وثَعْلَبَةٍ على رُؤوسٍ بلا ناسٍ مَغافِرُهُ

وقول الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ)[3]:

وتَرى الشُّجاعَ يُديرُ في حَمْسِ الوَغى حَدَقَ الشُّجاعِ يَلُحْنَ تَحْتَ المِغْفَرِ

وقول ابن اللَّبَّانة (؟- ٥٠٧هـ) في قصيدة يمدح المعتمد[4]:

مَلِكٌ إذا عَقَدَ المغافرَ للوَغى حَلَّ الملوكُ معاقدَ التِّيجانِ

ووقول ابن سناء الملك (٥٥٠- ٦٠٨هـ) في قصيدة يمدح صلاح الدين، ذاكرًا فيها قوة جيشه، وقال[5]:

وكمْ فيه مَنْ يَلْقَى الكمِّي مقتنعًا بفرْحَةٍ من يَلْقَى الحبيب مُعَمَّمًا

وقول ابن سهل الأندلسي (٦٠٥- ٦٤٩هـ) يمدح الوزير أبا عمر بن الجدّ سنة (٦٤١هـ)[6]:

أو هُذبُ حُلّتهِ في السلمِ يلبَسُها وهذهِ في الوغَى سَرْدٌ يُدَرِّعُهُ

أوْ تلْكَ مِغْفَرُ عزٍ فَوْقَ مَفرقِهِ وَتِلْكَ تـاجٌ مَعَاليـهِ تُرَصِّعُـهُ

***

وضح مما تقدم أننا نملك ثروة معلوماتية زاخرة لما كان يستعمله المقاتل لحماية جسمه، مع الأخذ في عين الاعتبار أن الدراسة تتبعت أسماء وصفات

---

(١) المقلة النجلاء: العين الواسعة الحسنة. الخوصاء: الضيقة

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص١٦٤.

(٣) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص٣٠٥.

(٤) الحجاري، جـ ٢، ص٤١١.

(٥) ديوان ابن سناء الملك، ص١٧٤.

(٦) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص٢٣٦.

الدروع، ولم تقف كثيرًا عند لفظة الدرع ذاتها، أو لفظة الدارع وما إلى ذلك، رغم شيوعهما إلى حد كبير في المصادر التي بين أيدينا، إذ وجدت أنه لا فائدة كبيرة من إشارة تفيد أن هذا المحارب كان لابسًا درعه، أو دخل الحرب وهو دارع. غير أنه لدينا كثير من النقاط الأخرى التي تحتاج إلى شيء من الاهتمام، فقد لاحظت أنه يُشار أحيانًا إلى الفارس الدارع، بألفاظ أخرى غير ما تناولناه من أسماء الدروع وصفاتها، فيُقال: هذا فارس لابس الحديد، وذك فارس كمي، وهذا فارس شاك سلاحه، والمقصود بذلك أنه لابس درعًا.

لابسو الحديد:

نطالع في كثير من المصادر الأدبية وغيرها الإشارة إلى المقاتلين لابسي الحديد[1]، فيُقال: مُقَنّع في الحديد، ومستلئم في الحديد، ومُدَجَّج في الحديد، ومُكفهر في السلاح -أي الحديد- ومتكتم في الشكة -وهي الحديد[2]، أي أن الحديد مادة صناعة الجنن الواقية من دروع وبيض ومغافر، تُذكر عوضًا عن ذكر هذه الجنن.

فيصف السموأل (؟- ٦٤ق. هـ) فرسانًا يمتطون صهوات جيادهم في ساحة الوغى، ويقول[3]:

حَمِي الحديدُ عليهِم فكأنَّهُ   وَمَضانُ بَرْقٍ أو شُعاعُ شُموسِ

والمعنى: إن هؤلاء الفرسان الأشاوس طال مقامهم وثباتهم يوم الوغى، فحمي عليهم الحديد الذي يلبسوه -دروع، وبيض، ومغافر- وقد لمع فبدا كأنه

---

(١) عن الحديد قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) قدامة بن جعفر، أبي الفرج، جواهر الألفاظ، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، سلسلة الذخائر، العدد (١١٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٤٨.

(٣) ديوان السموأل، ص١١٠.

ومضان البرق أو شعاع الشمس.

ويفخر عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ق. هـ) بقومه، ويقول[١]:

وأنَّا لَيسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ   يُوازِينا إِذا لُبِسَ الحَدِيدُ

أي: ونحن لا يُماثلنا أو يقاومنا حي من قبيلة معدّ، إذا تُهيأ للحرب ولُبس الحديد -الدروع، والبيض، والمغافر.

كما يفخر عبيد بن الأبرص (؟- ٢٥ق. هـ) بقومه ويقول[٢]:

تَمْشِي بِهِمْ أُدْم تَئِطُّ نُسوعُهَا   خُوصٌ كمَا يَمْشِي الهِجَانُ الرَّبْرَبُ
وهُمُ قَدِ اتَخَذُوا الحَدِيدَ حَقائِبًا،   وخِلالَهُمْ أُدْمُ المَرَاكِلِ تُجْنَبُ

والمقصود بالحديد هنا: الدروع، التي اتخذوها حقائبًا: أي أحقبوها على الركائب التي وصفها في البيت الأول. جدير بالذكر أن للنابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ) قصيدة، أشار فيها إلى جيش قادم يركب رجاله الإبل، ويقودون الخيل، وقال عنهم[٣]:

رَهطُ ابنِ كُوزِ مُحْقِبِي أدْراعِهِم[٤]

كما أن له بيت آخر يقول فيه[٥]:

مُستَحقِبِي حَلَقِ الماذِيِّ يَقدُمُهمْ   شُمُّ العَرانينِ ضَرّابُون للهامِ

ويقصد بحلق الماذي: الدروع المعروفة بالماذية، وهم هنا يستحقبونها، أي يحملوها في حقائب خلف ركائبهم.

وعن الدروع التي تُستحقب خلف الركائب، قال عبد الرحمن بن عُديس

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٢٢؛ شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص١١.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص، ص٣٣.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص٥٥.

(٤) هط ابن كوز: من بني أسد.

(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص٨٣.

البلَويّ حين سار إلى المدينة من مصر سنة (٣٥هـ) قاصدًا عثمان بن عفان رضي الله عنه[١]:

أقبلْنَ منْ بِلْبيسَ والصَّعيدِ مُستَحْقِباتٍ حلَقَ الحَديدِ

وقول علي (رضي) في صفين (٣٦هـ)[٢]:

مُجَنِّبِينَ الخيلَ بالقِلاصِ مُستَحْقِبينَ حلَقَ الدِّلاصِ

ونستدل من هذه الإشارات أن المحاربين كانوا يجعلون دروعهم داخل حقائب تُحقب على الركائب، وأن هذه الدروع لم تكن تُلبس إلا عند الحاجة لها.

وإذا عاودنا الحديث عن استعمال كلمة الحديد كإشارة إلى الدروع، فلعنترة ابن شداد (؟- ٢٢ق. هـ) قصيدة يفخر فيها بنفسه ويقول[٣]:

لا يكْتَسي إلا الحَديدَ إذا اكتسى وكَذاكَ كلّ مُغَاوِرٍ مُستَبْسِلِ[٤]
قَدْ طَالما لَبِسَ الحَديدَ، فإنَمَا صدَأُ الحَديدِ بجلدِهِ لمْ يُغْسَلِ[٥]

أي: وإذا اكتسي فإنه لا يكتسي سوى الحديد -دروع، وبيض، ومغافر- وهكذا يفعل أولئك الذين يمتهنون الإغارات، ويرمون بأنفسهم في الأهوال والمخاطر.

وقول بشر بن أبي خازم (؟- ٢٢ق. هـ)[٦]:

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٢، ص٦٧٠.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، مج ٣، ص٧١.

(٣) ديوان عنترة، ص٨١.

(٤) المغاور: الذي يمتهن الإغارات. المستبسل: من يرمي نفسه في المهالك ومخاطر الأمور.

(٥) صدأ: ما يعلو الحديد من خبث، وهو تأكسده.

(٦) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ١٩٩٥م، ص٨٣. وعن بشر بن أبي خازم، انظر، ابن قتيبة، ص١٦٨.

وَلَرُبَّ زَحْفٍ قد سَمَوْتَ بِجَمْعِهِ   فلبِسْتَه رَهْوًا بِأَرْعَنَ مُطْنِبِ[1]

بِالقَوْمِ مُجْتَابِي الحديدِ كأنَّهمْ   أُسْدٌ على لُحُقِ الأَياطِلِ شُزَّبِ[2]

وهو في البيت الأول يُشير إلى الجيش الزاحف للقاء العدو. أما في البيت الثاني، فيقول: إنهم وهم يمتطون صهوات جياده مرتدين الحديد -الدروع، والبيض، والمغافر- يبدون كالأسود.

وقول الشاعر الجاهلي كليب (؟- ؟)[3]:

إذا كَثُرَتْ قَرَابتُكم علينا   بأحْلاسِ الحَديدِ مُلَبَّسِينَا

والأحلاس: جمع حِلْس وحَلَس، وهي الثياب، وطالما من حديد فيقصد بها هنا الدروع.

وقول عمرو بن معدي كرب (١٠٠ق. هـ/ ٢١هـ)[4]:

فيومًا ترانا في الخُزُوزِ نَجرُّها   ويومًا ترانا في الحديدِ عَوَابِسا

والمعنى: إن لكل قول مقال، فعند السلم ترانا نتبختر مزهين في ثيابنا الثمينة المصنوعة من الخز، أما عند الحرب فترانا لابسين الحديد -الدروع، والبيض، والمغافر- متجهمي الوجوه.

وقوله أيضًا[5]:

قومٌ إذا لَبِسُوا الحديـ   ـدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وقِدًّا

---

(١) الرهو: يكون بمعنى الساكن والسريع، وكلاهما يصح به المعنى. الأرعن: الجيش العظيم له فضول كرعان الجبال. مطنب: بعيد الذهاب.

(٢) مجتابو الحديد: أي لابسوها، من اجتاب فلان ثوبًا إذا لبسه. الأياطل: ج الأيطل، وهو الخاصرة. لحق: ج لاحق، وفرس لاحق الأياطل: أي ضامر. الشزَّب: ج شازب، والفرس الشازب: الضامر.

(٣) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص١٣٣.

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٢٦.

(٥) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص٨٠.

أي: إنهم إذا لبسوا الدروع والقِدِدّ -أي دروع اليَلَب- تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب، أو ربما يقصد: تلونوا بألوان النمر لطول ثباتهم وملازمتهم للحديد أي الدروع.

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يبكي حمزة بن عبد المطلب قتيل يوم أحد (٣هـ)[١]:

وتَراهُ يَرْفُلُ في الحديدِ كأنَّهُ ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ البراثِنِ أَرْبَدُ[٢]

أي: وتراه في ساحة الوغى، يتبختر في درعه، كأنه أسد أربد -أي أغبر اللون- له لبدة، وأظافر غليظة.

وقول ضرار بن الخطاب الفهري (؟- ١٣هـ) -أحد مشركي قريش- يوم أحد (٣هـ)[٣]:

غَداةَ لقيناكمُ في الحديدِ كأُسْدِ البَراحِ، فَلَمْ تَعْنَجِ[٤]

والمعنى: غداة واجهناكم، ونحن في دروع الحديد كأننا أسود نصول في أرض متسعة، ولا يعوقها عائق.

وقول كعب بن مالك يرثي أصحاب مؤتة (٨هـ)[٥]:

فمضوا أمام المسلمين كأنهم فتق عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول

---

(١) ديوان كعب بن مالك، ص٣٧؛ ابن هشام، جـ ٣، ص٨٨.

(٢) ذو لبدة: أي الأسد. شثن: أي غليظ. البراثن: هي للأسد بمنزلة الأصابع للإنسان. أربد: أي أغبر يخالط لونه سواد.

(٣) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص٤٩؛ ابن هشام، جـ ٣، ص٧٦.

(٤) البراح: المتسع من الأرض. لم تعنج: لم تُكَفَّ، ولم تُصرَف.

(٥) ابن هشام، جـ ٤، ص١٤.

وقول علي بن أبي طالب (٢٣ق. هـ- ٤٠هـ)[١]:

سهامُ النبعِ ترمي عن قِسيّ   تبلغها إلى الغَرَض البعيـدِ
تشقُّ إليه صفًا بَعْدَ صـفٍّ   ولَيْسَ يهولُها عَدَدُ العديـدِ
فتأخذ روحَهم فيها اغْتِصابًا   ولو لبسوا الحديدَ على الحديد

وفي هذه الأبيات يصف ﷺ سهام القسي، ويعنينا قوله في البيت الأخير، بأن هذه السهام لا محالة ستنال منهم، وستستلب أرواحهم حتى ولو أنهم لبسوا دروعًا فوق الدروع.

وقول الراعي النميري (؟- ٩٦- ٩٧هـ)[٢]:

فَقُودُوا الْجِيادَ الْمُسْنِفَاتِ وأَحْقِبُوا   عَلَى الأَرْحَبِيَّاتِ الْحَدِيدَ الْمُقَطَّعَا

ويقصد بالحديد المقطع هاهنا: الدروع. والحديد المقطع بوجه عام: هو المتخذ سلاحًا. يُقال: قطعنا الحديد أي صنعناه دُروعًا وغيرها من السِّلاح[٣].

وقول أبو وجزة السعدي (؟- ١٣٠هـ)[٤]:

يوم تُنادي الخيلُ بالصَّعيدِ   كأنّه في جنن الحَديد

وقول أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ) في قصيدة يرثي ابنه أحمد[٥]:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كالرُمْحِ يَعْدِلُ صَدْرَهُ   غَداةَ الطِّعـانِ لَهْـذَمٌ وكُعُـوبُ
يَفُضُّ الحَدِيدَ المُحْكَمَ النَّسْجِ حَدُّهُ   وَيَبْدُو وَراءَ القِرْنِ وَهْوَ خَضيبُ

وقول ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)[٦]:

---

(١) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص٧٢، ٧٣.
(٢) ديوان الراعي النميري، ص١٧٢.
(٣) ابن منظور، مج ٨، ص٣٣٦.
(٤) شعر أبي وجزة السعدي ص١٣٧.
(٥) الصولي، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص٤٥.
(٦) ديوان ابن المعتز، ص٣١.

لَبِسوا حُصونًا من حديدِهِمُ،   صَبّارَةً للطّعنِ والضَّربِ

وقوله أيضًا[1]:

جاءهم بحرُ حديدٍ،   تحتَ أظلالِ بُنودِ
فيهِ عِقْبانُ خُيولٍ   فوقها أُسدُ حَديدِ

وقول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ) مادحًا سيف الدولة لما ظفر ببني كلاب سنة (٣٤٨هـ)[2]:

رَمَيتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَديدٍ   لَهُ في البَرِّ خَلفَهُمُ عُبابُ

والشاعر في هذا البيت جعل قومه بحرًا من حديد لكثرة لابسي الدروع فيه، وجعل سيرهم كعباب البحر أي موجه.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠- ٦٠٨هـ) في قصيدة يمدح صلاح الدين الأيوبي، مشيرًا إلى جيشه[3]:

له جَحْفَلٌ جرَّ القَنا فتعثَّرَت   قَنا الخَطِّ إلاَّ أنَّها ليسَ تَنْفَسُ
وكلُّ حِصانٍ بالحديد ملثَّمٌ   عليه كميٌّ بالحديدِ مُقَلْنَسُ

وله قصيدة أخرى في مدح صلاح الدين، يهنئه بكسر الفرنج وملك بلاد الشام، منها[4]:

لم تُلاقِ الجيوشَ منهم ولكـ   ـنَّكَ لاقيتَهُم بلادًا ومُدُنا
كُلُّ من يَجْعَل الحديدَ له ثـوْ   بًا وتَاجًا وطَيْلَسَانًا ورُدْنا

وفي البيت الأخير إشارة إلى أن جيوش الفرنجة كانوا مختفين في الحديد

---

(١) ديوان ابن المعتز، ص١٥٤.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٤٤.

(٣) ديوان ابن سناء الملك، ص١٧٤.

(٤) ديوان ابن سناء الملك، ص٣٤١.

تمامًا، فهم يلبسون دروعًا تغطي أبدانهم، وواقيات حول سواعدهم، ويضعون خوذًا على رؤوسهم.

وله في مدح الملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٩٥هـ) قصيدة، أشار فيها إلى بطولاته عند الوغى، وقال(١):

إيَّاكَ فَاحْذَرْ مِنْه إمَّا في الحديـ ـدِ إذَا اجْتَبى أوْ بِالْحُسام إذا ارْتَدى

كما أن له قصيدة نظمها يمدح الملك العادل أبي بكر ويهنئه بسنة (٥٧٧هـ)، واصفا جيشه ويقول(٢):

وما هُوَ جَيْشٌ مثْلُ ما يزْعمُ العِدى ولكنه بَحْرُ الحديدِ تموَّجا

وعلاوة على ما تقدم، فكثيرًا ما نقرأ عن الكتائب التي تبرق أو تضيء، إشارة إلى البريق الذي ينجم عن حديدها، وربما يعتقد البعض أن في ذلك إشارة فقط إلى السيوف التي يحملونها، غير أن البريق كان ينجم أيضًا من الحديد الذي كانوا يلبسونه، وقد مر بنا في غير موضع ذكر الدروع والخوذ البراقة اللامعة.

على أية حال فقد ورد ذكر الكتائب ذات البريق في قول لبيد (؟- ٤١هـ)(٣):

بِكَتَائِبِ تَرْدِي تَعَوَّدَ كَبْشُها نَطْحَ الكِباشِ، كأنَّهنَّ نُجُومُ

والمعنى: بكتائب تمشي الرديان، اعتاد كبيرها مواجهة الكبار. كأنَّهنَّ نُجُومُ: أي كأن هذه الكتائب نجوم من شدة ما يبرق الحديد فيها.

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يصف كتيبة(٤):

تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النّجُو مِ رَجراجة تُبْرِقُ النَّاظِرِينا

(١) ديوان ابن سناء الملك، ص٩٧.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص٥٤.

(٣) ديوان لبيد ص١٥٧.

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص١٠٢.

أي: وتبدو هذه الكتيبة متلألئة كتلألؤ النجوم، لامعة تبرق من ينظر إليها.

وقول كثير عزة (٤٠- ١٠٥هـ)[١]:

إذا عَرَضَتْ شَهْبَاءُ خطَّارةُ القَنا   تريك السُّيوفَ، هَزَّها واستِلالَها

والشَّهَبُ والشُّهْبَةُ: لَونُ بَياضٍ، يَصْدَعُه سَوادٌ في خِلالِه[٢]، ويُقصد بالشهباء في هذا البيت وغيره مما ورد في الدراسة: الكتيبة، ويُقال كتيبة شهباء: لما فيها من بياض السلاح والحديد، في حال السَّواد؛ وقيل هي البيضاء الصافية الحديد[٣]. والمعنى: إذا حشدت لك الأعداء حشودها بالكتائب الشهباء، أي: المدججة بالفولاذ الأشهب، تهز أمامك سيوفها ...

وقول ابن ميادة (؟- ١٤٩هـ)[٤]:

بملمومة كالطَّودِ شَهْبَاءَ فَيْلَقٍ   رَدَاحٍ يصمُّ السَّامعين صليلُها

أي: بكتيبة عظيمة مجتمعة كالجبل العظيم، شهباء لما فيها من بياض السلاح، وهي كتيبة كثيرة الفرسان ثقيلة السير، إذا تحركت تسمع لها صوتًا شديدًا يصم صليله السامعين.

وقول بشار بن برد (٩٥- ١٦٧هـ)[٥]:

لولا الخليفةُ أنَّا لا نخالفُهُ   لقد دلفنا لأَرْوادٍ بأرْوادِ
حتى ترونا وعينُ الشمس فاترةٌ   في كوكب كشعاع الشمس وقَّادِ

والأرواد هم قادة الجيش. وكوكب: بريق الحديد ولمعان الدروع.

---

(١) ديوان كثير عزة، ص٢٢٩.

(٢) ابن منظور، مج ١، ص٥٩٠.

(٣) ابن منظور، مج ١، ص٥٩٠.

(٤) الجاحظ، جـ ٤، ص٣٩٤.

(٥) ديوان بشار بن برد، ص٢٣٧.

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[١]:

بملْمُومَةٍ، تحتَ العَجاجِ، مُضِيئَةٍ، تَحوزُ الأعادي خَطفَةٌ مِن عُقابِهَا

والملمومة هي الكتيبة المجموعة، مضيئة بما عليها من سلاح.

الكتائب الخضراء:

الكتائب الخضراء، يُقصد بها فرق الفرسان لابسي الدروع، وقد ورد ذكرها في قول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)[٢]:

يَهْدِي كَتائِبَ خُضْرًا ليس يَعْصِمُها إلا ابتدارٌ إلى مَوْتٍ بِإلجامِ

كما ورد ذكرها في قول الأعشى (؟- ٧هـ)[٣]:

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ خَرْسَاءُ تُغْشِي مَنْ يَذُودُ نِهَالَهَا[٤]

تَأْوِي طَوَائِفُهَا إلى مُخْضَرَّةٍ مَكْرُوهَةٍ يَخْشَى الكُمَاةُ نِزَالَهَا

وورد ذكر هذه الكتائب الخضراء أيضًا في قول بجير بن زهير (؟- ؟)[٥]:

ترتد حسرانا إلى رجراجة شهباء تلمع بالمنايا فيلق

ململمة خضراء لو قذفوا بها حصنًا لظل كأنه لم يُخلق

وقول حسان بن ثابت (؟- ٥٤هـ) عن جيش المسلمين يوم بدر (٢هـ)[٦]:

لما رأى بدرًا تسير جلاهه بكتيبة خضراء من بلخزرج[٧]

---

(١) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص٣٥٤.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص٨٤.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص٨٣.

(٤) الكتيبة الخرساء: هي التي لا يسمع لها صوت من وقارهم في الحرب، وقيل التي صمتت من كثرة الدروع.

(٥) ابن هشام، جـ ٤، ص٨١.

(٦) ابن هشام، جـ ٢، ص٢٨٦.

(٧) الجلاه: ج جهلة، وهو ما استقبلك من عودة الوادي.

وإذا كان في الأمثلة السابقة إشارات مباشرة إلى أن اللون الأخضر كان لون دروع هذه الكتائب، فقد تكون الإشارة إليها بالتشبيه كقول الشاعر الجاهلي بشر بن شلوة (؟- ؟)(١):

لا يَصْدِفون عن الوَغى بنُحُورِهم   في كلِّ سابِغَةٍ كلَوْنِ العِظْلِمِ

فالشاعر في هذا البيت يُشبه لون الدروع، بلون عصارة شجر "العظلم" الذي يتميز بلون أخضر إلى الكدرة.

جدير بالذكر أن ابن هشام تطرق إلى "الكتيبة الخضراء" مفسرًا معناها، وهو يعرض لفتح مكة (٨هـ) وإسلام أبي سفيان، حيث أشار إلى أن الرسول ﷺ طلب من العباس (رضي) أن يحبس أبا سفيان "بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها" ففعل العباس، ثم تم عرض الجيش على أبي سفيان "ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي وسليم، ... حتى مر رسول الله في كتيبته الخضراء".

قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها. وأنشد قول الحارث بن حلزة اليشكري (؟- ٥٤ق. هـ)(٢):

ثُمَّ حُجْرًا أَعْني ابنَ أُمِّ قَطَامِ   ولَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

يعني الكتيبة الخضراء. ثم أنشد بعد ذلك بيت حسان بن ثابت -المذكور عاليه. وذكر أن هذه الكتيبة كان فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال -أبو سفيان: سبحان الله: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، ...(٣).

(١) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٢٣٢.

(٢) البيت في ديوان الحارث بن حلزة، ص ٥٠.

(٣) راجع، ابن هشام، جـ ٤، ص٢٧.

ويبدو أن وسم فرق الفرسان وهي لابسة الدروع بالكتيبة الخضراء يرجع إما لأن صدأ حديد هذه الدروع ذو لون أخضر، أو لأن العرب كانت تُسمى الأسود أخضر، حيث إن اللون الأسود كان سمة للكتائب المدرعة، حتى أن النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ) شبه جيشًا بأنه:

كاللَّيلِ يَخلِطُ أصرامًا بأصرامِ

قال محقق الديوان: إن الشاعر شبه هذا الجيش بشدة سواد الليل، لأن الكتيبة تُوصَف بالسواد لكثرة واسوداد سلاحها[1]، من دروع وخوذ وغير ذلك.

كما نجد الإشارة إلى سواد لون الدروع في معاني مختلفة، كقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)[2]:

يَمْشُونَ في نَسْجِ دَاوُدٍ مُضاعَفَةٍ   بُزْلٍ طَلَى أُدْمَها بالزِّفْتِ طَالِيها

أي: ويمشون وهم لابسون دروعًا مضاعفة تُنسب إلى داود عليه السلام، كأنهم جمال مطلية بالزفت. قال ابن السكيت: شبّههم في سَوَادِ الحديد كمن طُلي بالزِّفْت[3].

صدأ الحديد:

ويُقصد به صدأ حديد الدروع التي يلبسها المقاتلون، وقد وردت الإشارة إليه في قول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)[4]:

سَهِكِينَ من صَدَإِ الحديدِ كأنَّهُمْ،   تَحْتَ السَّنَوَّرِ، جِنَّةُ البَقَّارِ[5]

والمعنى: إن فرسان هذا الجيش أتوك عليهم سهكة -وهي الرائحة المتغيرة-

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ح ٦، ص٨٣.

(٢) ديوان الحطيئة، ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) ديوان الحطيئة، ص٢٨٢.

(٤) ديوان النابغة الذبياني، ص٥٦.

(٥) البَقّار: اسم رمل زُعم أنه كثير الجن، وهو من أدنى بلاد طيء إلى بني فزارة.

[illegible]

[illegible]

النّقائق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ـــان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قول مُهَلْهِل بن رَبِيعَة (؟- ٩٤ق. هـ)[1]:

هُمُ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدِّمَاءِ سَبَائِبُ

بِجَأْوَاءَ يَنْفِي وِرْدُهَا سَرَعَانَهَا كَأَنَّ وَضِيحَ الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ

وقول زهير بن أبي سُلمَى (؟- ١٣ق. هـ) بعد إشارته إلى الفرسان الذين يلبسون أنواع عدة من الدروع[2]:

فَأَتْبَعَهُمْ فَيْلَقًا كَالسَّرابِ جَأْوَاءَ تُتْبِعُ شُخْبًا ثَعُولا[3]

ففي هذا البيت يقول الشاعر: إن هذا الجيش كالسراب -للون الحديد ولعمومها الأرض- جأواء: أي عليها صدأ الحديد لكثرة لبس الدروع.

وقول الأعشى (؟- ٧هـ)[4]:

وَجَأْوَاءَ تُتْعِبُ أَبْطَالَهَا كَمَا أَتْعَبَ السَّابِقُونَ الْكَسِيرَا

أي: وإذا نازل أبطالُ الحرب هذه الكتيبة، وقد تراكم فوق رجالها الدروع الجأواء: حتى لا ترى فيها إلا سوادًا -جراء صدأ حديدها- أتعبتهم، كما يتعب الجوادُ السابق الجَوادَ الأعرج إذا جرى معه مسابقًا.

وقول كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يوم أحد (٣هـ)[5]:

وَدَفَّاعُ رَجْلٍ كموجِ الفُرا تِ يَقْدُمُ جَأْوَاءَ جُولاً طَحونَا

أي: ورجال جيشنا كثيرو العدد يتقدمون مندفعين كموج الفرات، في كتيبة جأواء تطحن أعداءها وتفتك بهم.

---

(١) دوان مهلهل بن ربيعة، ص١٠٧.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٥٤.

(٣) الشخب: خروج اللبن من خلف الناقة. الثعول: الذي يركب خلفها، خلف: أي ولد لها صغير. يُريد القول: إن هذا الفيلق يجيء وله أمداد يزيد فيه ويقويه.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص١٢.

(٥) ديوان كعب بن مالك، ص١٠٢.

وقوله يوم الخندق (٥هـ)[١]:

وكتيبة ينفي القِرَان قتيرُهَا   وتَرُدُّ حدَّ قَوَاحِزِ النُّشَّابِ

جَأْوى مُلَمْلَمَةٍ كأنَّ رِمَاحَها   في كلِّ مَجْمَعَةٍ ضريمةُ غابِ

ويقول في البيت الأول: إن هذه الكتيبة كانت محصنة بالدروع، التي ترد رؤوس مسامير حلقها السهام. وفي البيت الثاني يُشير إلى لون دروع هذه الكتيبة، المختلط فيها السواد بالاحمراء –أي جأواء.

وقول السيد الحميري (١٠٥- ١٧٣هـ)[٢]:

أمّا الزبيرُ فحاصَ حين بدتْ له   جأواءُ تُبرِقُ في الحديدِ الأَشهبِ[٣]

وإذا كانت "الجأواء" إشارة إلى صدأ حديد الدروع، فقد يُشار إلى لون هذا الصدأ بمعان أخرى، كقول جرير (٣٣- ١١٤هـ) في قصيدة يهجو الأخطل[٤]، مفتخرًا بقومه[٥]:

مضاعيبَ أمثالَ الهُذَيْلِ رماحُهمْ   بها من دماءِ القَوْمِ خَضْبٌ على خَضْبِ

ستَعْلَمُ ما يُغني الصَّليبُ إذا غَدَتْ   كَتائِبُ قَيسٍ كالمُهَنَّاةِ الجُرْبِ

فالشاعر في البيت الثاني يُشبه فرسان كتائب جيش قومه بالجمال الجربة لما عليها من دروع ذات صدأ. وقد توصلت إلى هذا المعنى، من قول الزمخشري:

---

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٢٨.

(٢) ديوان السيد الحميري، ص٣٦.

(٣) الزبير: يقصد به الزبير بن العوام. حاص: عدل وابتعد. الأشهب: الأبيض يتخلله سواد. ويؤخذ في عين الاعتبار أن هذا الشاعر كان شيعيًا، وهذا البيت ورد في قصيدة يمدح فيها سيدنا "علي" (رضي)، وفيه يتعرض للزبير بن العوام (رضي)، الذي خرج مع جيش السيدة عائشة (رضي) يوم الجمل.

(٤) عن الأخطل. انظر، ابن قتيبة، ص٣٢٥.

(٥) ديوان جرير، ص٥٤، ٥٥.

سيف أجْرَبُ إذا كَثُفَ الصدأ عليه حتى يحمرَّ فلا ينقلع عنه إلا بالمِسْحَل، قال الشاعر:

من القَلَعِيَّات لا مُحْدَثٌ   كَلِيلٌ ولا طَبِعٌ أجْرَبُ[1]

وعلاوة على ما تقدم فقد يُشار إلى صدأ حديد الدروع برائحته لا بلونه، ومن ذلك قول قال لبيد (؟- ٤١هـ)[2]:

فَخْمَةً ذَفْراءَ تُرْتَى بالعُرَى   قُرْدُمانِيّاً وتَرْكًا كالبَصَلْ

وقوله ذفراء: أي متغيرة الرائحة، وفخمة: إما إشارة إلى الكتيبة أو الدرع. والمعنى: إن لهذه الكتيبة أو الدرع رائحة متغيرة، وهي رائحة صدأ حديدها.

وقول بشار بن برد (٩٥- ١٦٧هـ) ما دحًا روح بن حاتم[3]:

يُطَيِّبُ ذَفراءَ الدروعِ بجِلْدِهِ

وقول ابن حمديس (٤٤٧- ٥٢٧هـ) مادحًا الأمير "علي بن يحيى" واصفًا جيشه[4]:

وأُسْدٍ على مثل السَّعَالي عوابسٍ   لها لَبَدٌ من صَنعَةِ الحَلَق السَّرْد
كُفَاةٍ وغيدٍ، أهدت الرِّيحُ منهــا   لنا سَهَكَ الماذيِّ في أرَجِ النَّدّ

وقد سبقت الإشارة إلى أن الشاعر في البيت الأول يُشبه فرسان جيش الممدوح وهي تمتطي الخيول النشيطة، بالأسود، العوابس، أي: الكريهات المنظر من أثر الحرب والجهد. ويُشبه ما يلبسونه من مغافر مسرودة بلبد الأسود، أما في البيت الثاني، فيقول: إن لهذا الجيش رائحة متغيرة، وهي رائحة صدأ حديد الدروع التي يلبسونها.

---

(١) الزمخشري: جـ ١، ص١١٥.

(٢) ديوان لبيد، ص١٤٦.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص١٢١.

(٤) ديوان ابن حمديس، ص١٤٩.

المُدَجَّجون:

المُدَجِّجُ والمُدَجَّجُ: أي اللابس سلاحه التام. قال الليث: المُدَجِّجُ الفارس الذي قد تَدَجَّجَ في شِكَّتِه أي شاكُ السِّلاح، قال أي دخل في سلاحه كأنه تغطى به. وفي حديث وهب: خرج داود مُدَججًا في السلاح، أي عليه سلاح تام، سُمي به لأنه يَدِجُ أي يمشي رُوَيْدًا لثقله؛ وقيل: لأنّه يتغطى به، من دجَّجَتِ السماء إذا تَغَيَّمَت[1]، وقيل: المدجج: أي المظلم، لاختفائه في الدرع، ويُقال: دجدج الليل أي أظلم[2].

وقد وردت الإشارة إلى المدججين أي لابسي السلاح التام في قول الشاعر الجاهلي عبدُ قَيْسِ بنُ خُفَاف (؟- ؟)[3]:

وسابِغةً منْ جِيادِ الدُّرُو ... عِ تَسْمَعُ للسَّيفِ فيها صَليلاَ

كَمَاءِ الغَديرِ زَفَتْهُ الدَّبُورُ ... يَجُرُّ المُدَجَّجُ منها فُضُولاَ

وقد سبقت الإشارة من قبل إلى الدروع السابغة، وأن الشاعر يُشبهها بماء الغدير، ويعنينا هنا أن الشاعر يُشير إلى أن المقاتل لابس السلاح التام، كان يجر فضول هذه الدرع السابغة أي الطويلة.

كما قال عنترة بن شداد (؟- ٢٢ق. هـ)[4]:

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هَربًا وَلا مُسْتَسْلِمِ

أي: وفارس لابس سلاحه التام، خشي الكماة ملاقاته، فهو لا يفر، ولا يلقي السلاح فيأسره العدو.

وقال عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ- ١١هـ)[5]:

---

(١) ابن منظور، مج ٢، ص٣٠٤.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ح ٢٩، ص٥٤.

(٣) المفضليات، ص٣٨٦.

(٤) ديوان عنترة، ص٢٣؛ القرشي، ص١٦٧.

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، ص٦٧.

وهُمْ يَضْرِبُونَ غَدَاةَ الصَّبَا   حِ أنْفَ المُدَجَّجِ ذي المِغفَرِ

أي: وعند الغارة يضربون أنف المدجج في سلاحه، اللابس المغفر مقنع فيه.

كما قال ضرار بن الخطاب الفهري (؟- ١٣هـ) -أحد مشركي قريش- يوم الخندق (٥هـ)(١):

نُراوحُهم، ونَغْدُو كلَّ يومٍ   عليهِمْ في السلاحِ مُدَجَّجينا

أي: ونتقدم إليهم كل يوم في الغداة والرواح، وعلينا أسلحة تامة، من دروع وخوذ ومغافر وغير ذلك.

وقال علي بن أبي طالب (رضي) (٢٣ق. هـ- ٤٠هـ) في حرب صفين (٣٦هـ) حين برز إليه عمرو بن حسين السكسكي طالبًا المبارزة(٢):

ما علَّتي وأنا جلْدٌ حازم   وفي يميني ذو غِرارٍ صارم

وعن يميني مُدَجَّجُ القماقم   وعن يساري وائلُ الخَضَارِمِ

وقال الأخطل (١٩- ٩٠هـ)(٣):

ولقَدْ أُوَكَّلُ بالمُدَجَّجِ، تُتَّقَى   بالسَّيفِ، عُرَّتُهُ كَعُرَّةِ أجْرَبِ(٤)

يَسْعَى إليَّ بِبَزِّهِ وسِلاحِهِ   يَمْشي بِشِكَّتِهِ كَمَشْيِ الأنْكَبِ(٥)

المُتَلَبِّبُون:

في اللسان(٦): المُتَلَبِّبُ: هو الذي تحزم بثوبه عند صدره. وكل من جمع ثوبه

(١) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، ص٩١.

(٢) ديوان الإمام علي، ص١٩.

(٣) ديوان الأخطل، ص٣٦.

(٤) العرة: الأذى.

(٥) الأنكب: المائل المنحرف عن الطريق.

(٦) ابن منظور، مج ١، ص٨٦٢.

متحزمًا، فقد تلبب به، قال أبو ذؤيب (؟- ٢٧هـ)[١]:

ونَميمةٍ من قانصٍ مُتَلَبِّبٍ، في كَفِّه جَشْءٌ أَجَشُّ وأَقْطَعُ

ومن هذا قيل للذي لبس السلاحَ وتَشَمَّر للقتال: مُتَلَبِّبٌ، ومنه قول المُتَنَخِّل[٢]:

واستَلأَموا وتَلَبَّبوا، إنَّ التَّلَبُّبَ للمُغير

وعن التلبب بمعنى لبس السلاح أيضًا قول عمرو بن كلثوم (؟- ٣٩ق.هـ)[٣]:

وَأمّا يومَ لا نَخْشَى عَلَيهِمْ فَنُمْعِنُ غارَةً مُتَلَبِّبينَا

أي: وفي اليوم الذي لا نخشى فيه عليهم -أي على الأبناء والأهل- من أعدائنا، فإننا نمعن في الإغارة على الأعداء لابسين أسلحتنا.

الكُماة:

الكُمَاة: جمعُ الكَميّ، قال أبو العلاء المعري: الكَميُّ: الذي كَمى نَفْسَه بالسِّلاح أي سَتَرَها، وهو فعيل في معنى مفعول، وأصله مَكْميٌّ[٤]. كما قيل: الكمي: هو الشجاع أو لابس السلاح، سُمِّي به لأنه كمَّي نفسه، أي سترها بالدرع والبيضة[٥] أو المغفر؛ وهو مثل المدجج والشاك[٦].

وقد ورد ذكر الكماة في قول ابن قَمِيئَة (١٧٩- ٨٥ق. هـ)[٧]:

كأنّ سَنَا البَيْضِ فَوقَ الكُما ةِ -فيه- المَصَابيحُ تُخْبِي الذُّبَالاَ

---

(١) عن أبي ذؤيب. انظر، ابن قتيبة، ص٤٤٠.

(٢) عن المتنخل. انظر، ابن قتيبة، ص٤٤٣.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٦١؛ القرشي، ص١٤٣.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ٢، ص١٦٣.

(٥) ديوان المتلمس الضبعي، ح ٤، ص٢٥٥.

(٦) ابن سلام، كتاب السلاح، ص٢٣١، ٢٣٢.

(٧) ديوان ابن قميئة، ص١٧٨.

وقول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ)(١):

لِيَهْنِئُ بني ذُبيـــانَ أنّ بلادَهـــم خَلَتْ لهمُ مِنْ كلّ مَوْلًى وتابعِ
سِوَى أسَدٍ يحمُونها كلَّ شارقٍ بألْفَيْ كَمِيٍّ ذي سلاحٍ ودارعِ

وقول أوس بن حجر (٩٥- ٢ق. هـ)(٢):

لمّا رَأوْكَ على نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ يَسْعى بِبَزّ كَمِيٍّ غير مِعْزَالَ

والمعنى: ولما رأوك على فرس واسع الجوف، ساعيًا بلباس كمي: أي مدجج في سلاحك من درع وخوذة، وغير أعزل: أي مصطحب سلاحك معك.

وقول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟- ؟)(٣):

وكَمْ مِنْ كَمِيٍّ قَدْ شَكَكْنَا قَمِيصَهُ بِأزْرَقَ عَسَّالٍ إذَا هُزَّ عَامِلُهْ

والقميص ها هنا يعنى درع هذا الفارس الكمي. ويريد الشاعر القول: وكم من فارس مدجج في سلاحه خزقنا درعه برمح أزرق السنان.

وقول عامر بن الطفيل (٧٠ق. هـ/ ١١هـ)(٤):

بالبَاسِلِينَ مِنَ الكُمَاةِ عَلَيْهِمُ حَلَقُ الحديدِ يَزِينُها السَّرْدُ

وقول علي بن أبي طالب (رضي) (٢٣ق. هـ- ٤٠هـ)(٥):

وأحزم صبرا حين يدعى إلى الوغى إذا كانَ أصْوَاتُ الكُماةِ نَغَمْغُما

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص٨٦.

(٢) ديوان أوس بن حجر، ص١٠٤.

(٣) ديوان ابن مقبل، ص١٨٠.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل، ص٤٢؛ وانظر، ديوان امرئ القيس، مج ٢، ح ٦، ص٤٨٤؛ ديوان شعر المتلمس الضبعي، ح ٢، ص٢٤٨، ٢٤٩.

(٥) ديوان الإمام علي، ص٢٣.

وقول أبو وجزة السعدي (؟- ١٣٠هـ)[١]:

فِي خيلِ قَيْسٍ والكماةِ الصَّيِدِ كالسَّيْفِ قَدْ سُلَّ مِنَ الغُمُودِ

وقول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٢]:

يَمْشُونَ في زَغَفٍ، كـأنّ مُتونَهـا، في كُلّ مَعْرَكَةٍ، مُتونُ نِهـاءِ
بِيضٌ تَسيلُ، على الكُماةِ، فُضُولُهـا سَيْلَ السّرَابِ بِقَفْرَةٍ بَيْـداءِ

وقوله أيضًا[٣]:

أيْدُوا مُلْكَنَا، وَشَدّوا قُوَاهُ بِكُماةٍ، تحتَ السّنَوّرِ، حُمْسِ

وقال كذلك[٤]:

يَخْتَالُ في شِيَةٍ، يَمُوجُ ضِياؤها، مَوْجَ القَتيرِ على الكَمِيّ الرّامِحِ

كما قال الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ)[٥]:

يَطْوُونَ أذيالَ الدُّروعِ كأنَّهُـمْ أُسْدُ الشَّرَى، وكَأنَّهُـنَّ إضـاءُ
وَالخَيْلُ عابِسَةُ الوُجوهِ كأنَّها تَحْتَ الكُماةِ، إذا انْجَرَدْنَ، ضِراءُ

وقوله كذلك[٦]:

وَإذا الوَغَى حَدَرَ الكُمـاةُ لِثامَـهُ وَوَشى بِسِرِّ المَشْرَفِيِّ صَليلُ[٧]
وَرِماحُهُ تُوِّجنَ مِنْ هـامِ العِـدا وَلِخَيْلِـهِ بِدِمائِهِـمِ تَنْعِيـلُ
نُشِرَتْ رَفارِفُ دِرْعِهِ عَنْ ضَيْغَمٍ يَحْمي الحَقيقَةَ والأَسِنَّـةُ غِيـلُ[٨]

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠- ٦٠٨هـ) في قصيدة يمدح فيها صلاح الدين

---

(١) شعر أبي وجزة السعدي، ص١٣٦.
(٢) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص٣٨٤.
(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ١، ص١٩٤.
(٤) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص٢٩١.
(٥) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص٢٦٨.
(٦) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص٥٣٩.
(٧) الوغي: مثل الوعي، وهو الجلبة والأصوات. الصليل: صوت السيف.
(٨) رفاف الدرع: أسافله. الحقيقة. ما يجب على المرء حفظه من الأهل والعيال.

الأيوبي(١):

له جَحْفَلٌ جرَّ القَنا فتعثَّرَت قَنَا الخَطِّ إلاَّ أنَّها ليسَ تَنفُسُ

وكلُّ حِصانٍ بالحديد ملثَّمٌ عليه كَمِيٌّ بالحديد مُقَلْنَسُ

وقوله في قصيدة أخرى في مدح صلاح الدين، أشار فيها إلى قوة جيشه، وقال(٢):

وكمْ فيه مَنْ يَلْقَى الكمِيَّ مقنعًا بفرْحَةِ مَن يَلْقَى الحبيب مُعَمَّمَا

وقوله في قصيدة يمدح فيها الملك العادل أبا بكر ويهنئه بسنة (٥٧٧هـ)(٣):

يكفُّ كما أوْصاه عَنْ كُلِّ حاسرٍ فما يَبْتَغي إلا الكَمِيَّ المدَجَّجا

الشكاة:

الشاكُّ السلاح: مثل المدجج والكمي، وهو مأخوذ من الشِكَّة. والشاكي، بالتخفيف، والشائك جميعًا ذو الشوكةِ والحدِّ في سلاحه(٤)، قال أبو العلاء المعري: شَاكي السِّلاحِ: كامله، وأنشد قول طريف بن تميم(٥):

فَتَعرَّفُوني أنَّني أنَا ذَلِكُمْ شَاكٍ سِلاحي في الحَوادثِ مُعْلَمُ

وقد ورد ذكر الشكاة في قول زهير بن أبي سُلمَى (؟- ١٣ق. هـ)(٦):

لَدَي أسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ لهُ لِبَدٌ أظْفارُهُ لم تُقَلَّمِ(٧)

---

(١) ديوان ابن سناء الملك، ص١٧٤.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، ص١٧٤.

(٣) ديوان ابن سناء الملك، ص٥٤.

(٤) ابن سلام، ص٢٣١، ٢٣٢.

(٥) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ٢، ص١٤٧.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٨٤؛ القرشي، ص١٠٩.

(٧) مقذف: الذي يقذف نفسه في الحروب.

والشاكي السلاح: هو المدجج تام السلاح، ويُشبهه هنا بالأسد، وكأن ما يلبسه من حديد أو أسلحة دفاعية -خاصة على الرأس- كلبد الأسد، وما يحمله من أسلحة هجومية -كالسيف- هي براثن الأسد.

وقول الشاعر الجاهلي بشر بن شلوة (؟- ؟)[١]:

ودعا بني أُمِّ الرُّواعِ فأقْبلوا عِند اللّقاءِ بكلِّ شاكٍ مُعْلَمِ[٢]

يَمشون في حَلَقِ الحديد كما مَشَتْ أُسْدُ الغَرِيْفِ بكلِّ نَحْسٍ مظْلِمِ[٣]

والشاعر في البيت الأول يُشير إلى الفرسان المدججين في السلاح، والذين يعلمون أنفسهم في الحرب لفرط شجاعتهم. أما في البيت الثاني فهو يُشبه هؤلاء الشجعان وهم يمشون في الدروع التي يلبسونها بالأسود.

وقول علي بن أبي طالب (٢٣ق. هـ- ٤٠هـ) في بعض أيام صفين (٣٦هـ)[٤]:

شُدُّوا عليَّ شِكَّتي لا تنكشفْ بعدُ طليحٍ والزبَّيرِ فاتّلف

وقول الحطيئة (؟- ٤٥هـ)، بعد وصفه للفرسان المدججين بالدروع، إن أفراسهم[٥]:

تَمْشي بِشِكَّتِهِم شُعْثٌ مُسَوَّمَةٌ تَحْتَ الضَّبَابَةِ مَعْقُودٌ نَواصيها

---

(١) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٢٣٢.

(٢) الروع، والرواع: الفزع. ولعله أراد بأم الرواع: الحرب.

(٣) الغريف: الشجر الكثيف الملتفّ، النحْس: الغُبار، يُقال: هاج النحس، أي الغبار. ويعني أنهم يمشون في أمر جلل.

(٤) ديوان الإمام علي، ص٢٣.

(٥) ديوان الحطيئة، ص٢٨٣.

وقول الأخطل (١٩- ٩٠هـ)[١]:

يَسْعى إليَّ بِبَزِّهِ وسِلاحِهِ   يَمْشي بِشِكَّتِهِ كَمَشْيِ الأنْكَبِ[٢]

أيهما الأحكم؟!:

لاحظت أثناء اطلاعي على كثير من الدواوين الشعرية، أن كثيرًا من الشعراء يشيدون بأولئك الذين يدخلون الحروب وهم لابسون دروعهم، غير أن بعض الشعراء كانوا يفخرون بأن ذاك البطل كان جسورًا مغوارًا؛ حتى أنه يدخل الحرب غير لابس للدرع، وقد سجلت بعض الإشارات إلى ذلك في أثناء الدراسة، إلا أنني وجدت أنه من الأفضل أن أطرح هذه القضية بشيء من التفصيل، لنتبين أي الفريقين الأحكم، من يخوض غمار الحرب لابسًا الدرع أم من لا يحرص على لبسها -لفرط شجاعته؟

وفيما يتعلق بالإشادة بشجاعة مقتحمي ساحات الوغى بغير دروع، نذكر قول البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٣]:

صَناديدُ، يَلْقَوْنَ الأسِنَّةَ حُسَّرًا   عِجَالاً ويَخْشَوْنَ المَذَلَّةَ دُرَّعَا

أي: وإنهم شجعان لا يهابون الموت، فيدخلون الحرب بلا دروع، غير مكترثين بأسنة الرماح، وهم يرون في لبس الدروع مذلة.

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨- ٤٥٧هـ)[٤]:

ولا يَرْتَضي السَّرْدَ الدِّلاصَ وبَأسُهُ   يُحَصِّنُهُ ما لا يُحَصِّنُهُ السَّرْدُ

أي: ويرفض لبس الدرع، فإنه يتوقى ببأسه؛ الذي يحميه عوضًا عن الدرع.

---

(١) ديوان الأخطل، ص٣٦.

(٢) الأنكب: المائل المنحرف عن الطريق.

(٣) ديوان البحتري، ط دار صادر، مج ٢، ص٣٣٨.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ص٧١.

وقوله كذلك[1]:

وَيَرى التَّوَقِّي بالسَّنَوَّرِ ذِلَّةً وَالدِرْعُ يَكْرَهُهُ الهِزَبْرُ الأَرْوَعُ

أي: إنه شجاع مغوار، يدخل الحرب بلا درع، فهو يـرى أن الاحتمـاء فـي الدروع ذلة، ويذكر أن الأسد لا يلبس درعًا.

وقول الأبيوردي (٤٥٧- ٥٠٧هـ) يمدح أحد السلاطين، واصفًا فرسان كتائبه بأنهم[2]:

هُمُ الأُسْدُ يَلْقَوْنَ الوَقائِعَ حُسَّرًا وَهَلْ يَلْبَسُ الأُسْدُ الدِّلاصَ المُسَرَّدا

أي: إن هؤلاء الفرسان كالأسود، يقتحمون ساحات الوغى بـلا دروع، هـل رأيتم أسودًا تلبس دروعًا؟!

وقوله كذلك[3]:

فَتى الحَيِّ يَأْبَى صُحْبَةَ الدِّرْعِ في الوَغى وَلا تَكْلَفُ الأَرْماحُ إلاّ بِحاسِرِ

أي: ومن فرط شجاعة هذا الفتى لا يعبأ أن يخوض غمـار الحـرب وعليـه درع.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠- ٦٠٨هـ) في قصيدة يمدح فيها الملك الأفضل (٥٨٢- ٥٩٢هـ)، ويقول عنه[4]:

زانَ السِّلاحَ الذي يحوي وشرَّفَه فالمشْرَفيُّ بذا سمُّوه واليَزَني

وقد بكَتْ إذ قَلاَها كلُّ سابِغَةٍ فَشِدَّةُ البأس تُغْنِيه عَن الجُنَنِ

يَعزُّ للدِّرْعِ من قَرَّتْ شَجَاعَتُه وقد يكونُ لبعضِ النَّاسِ كَالكَفَنِ

---

(١) ديوان ابن أبي حصينة، جـ ١، ص٣٥.

(٢) ديوان الأبيوردي، جـ ٢، ص١٤٤.

(٣) ديوان الأبيوردي، جـ ١، ص٤٧٠.

(٤) ديوان ابن سناء الملك، ص٣٥٥.

أي: فشدة البأس تغني الممدوح عما يُتخذ من جنن للوقاية، فالشجاع في غير حاجة للبس الدرع، فهو لبعض الناس كالكفن.

وأخيرًا نذكر قول الأعشى (؟- ٧هـ) في قصيدة يمدح قيس بن معدي كرب[١]:

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَـةٌ   خَرْسَاءُ تُغْشِي مَنْ يَذُودُ نِهَالَهَا
تَأْوِي طَوَائِفُهَا إِلى مُخْضَرَّةٍ   مَكْرُوهَةٍ يَخْشَى الكُمَاةُ نِزَالَهَـا
كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ   بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَـا

وفي هذه الأبيات يقول الشاعر: إذا أقبلت الكتيبة مجتمعة خرساء، تَغَشَى رماحُها العطاشُ الذائدين. وقد تراكم فوقها الحديد، فأوقعت الرعب في قلب الفارس المغطى بالدروع والسلاح. في ذلك الوقت تتقدم -أي الممدوح- مندفعًا لا تسترك درع، وتضرب بسيفك فيترك أثره في الفرسان[٢].

جدير بالذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ) كان معجبًا بهذه الأبيات، حتى أن الأخطل كان يصفه في بعض قصائده بأنه يغشي الحرب مدججًا بالسلاح مثقلاً بالدروع، فقال له: هلا قلت كما قال الأعشى:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة ... (الأبيات)

فأجاب الأخطل متخلصًا: وصفتُك بالحكمة، ووصف الأعشى ممدوحه بالتهور والحمق[٣].

وقد وضحت حكمة لابس الدرع في قول ابن سهل الأندلسي (٦٠٥- ٦٩٤هـ)، يمدح الشيخ أبا فارس الفتح بن فارس ابن أبي حفص والي أشبيلية

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص٨٣.
(٢) ديوان الأعشى الكبير، ص٨٢.
(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص٨٢.

سَنة ٦٤٣هـ[١]:

تَهَشُّ إلى الأقرانِ حتى كأنَّما تُلاقي لدى الرَّوعِ الحبائبَ لا العِدا
يميناً لأنْتَ الليثُ لولا حزامةٌ تُرِينا بعِطْفيك الــدِّلاصَ المســَّردا

والمعنى: إنه كالليث في صفاته، لولا أن الحزم يُحتم عليه أن يلــبس الــدرع المسرودة، فهو بلبس الدرع يفترق عن الأسد.

* * *

إن تاريخ استعمال الدروع عند العرب والمسلمين طويل، ومن المعــروف أن العرب قد اهتموا بأمر الدروع سواءً قبل الإسلام[٢] أو بعده، وإن كانت حظيت بعد الإسلام بشيء أكثر من الاهتمام، وقد اشتهرت الدروع زمن الرسول ﷺ شــهرة من كان يرتديها، وقد سبقت الإشارة إلى أنه وصلنا ما يُفيد أنه كان للرســول ﷺ سبع أدرع، هي: ذات الفضول، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والسعدية، وفضة، والبتراء، والخرنق.

وأورد "البخاري" بابًا في صحيحه تحت عنوان "ما قيل فــي درع النبــي ﷺ والقميص في الحرب"، أشار فيه إلى ارتداء الرسول ﷺ للدرع، وذكر أنه ﷺ كان له درع من حديد؛ قد رهنه عند يهودي، بثلاثين صاعًا من شعير، كما روي فيــه

---

(١) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص١٠٧.

(٢) عرف العرب الدروع منذ القدم، وذلك عن طريق الفرس. ووصلنا ما يُفيد أن أثمن مــا كــان يقتنيه "امرؤ القيس"، وأهــداه إلــى "السمــوءل"، حــوالي ســنة (٥٢٧م) "خمــس دروع: الفضفاضة، الصافية، المحسنة، الخريق، وأم الديول، وكانت منذ وقت طويل ملكًا للأمراء من بني عقيل الذين كانوا يتناقلونها من أب إلى ولد". واصف بطرس غالي، تقاليد الفروسية عند العرب، ترجمة، أنور لوقا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م، ص٢٠١. كما عرفوا كذلك دروعًا جلبوها من الخارج، منها ما أطلقوا عليه اسم "الفرعونية"، نسبة إلى فرعون مصــر. ســيد حفني، الفروسية العربية في العصر الجاهلي، سلسلة اقــرأ، العــدد (٢١١)، دار المعــارف بمصر، يوليه ١٩٦٠م، ص٣١. وإن كان -كما مر بنا- هناك خلاف حول معنى "الفرعونية".

قول النبي ﷺ: "أما خالد فقد احتبش[1] أدْرَاعَهُ في سبيل الله" [2].

كما ورد ذكر "لأمة" الرسول ﷺ في أكثر من موضع، خاصة عند استعداده ﷺ لمعركة "أحد"، وقد قال حينئذ: "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يُقاتِل"[3]، وورد ما يفيد أنه ﷺ كان يرتدي يوم "أحد"، درعين: درعه ذات الفضول، والسعدية[4]، وأنه كان يرتدي في هذا اليوم مغفرًا، وقام أحد المشركين بجرحه في وجنته "فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته"[5]. وعلاوة على ذلك فقد وصلنا ما يفيد أنه كان للرسول ﷺ مغفر حديد يقال له "الموشح"، وآخر يدعى "السبوغ" أو "ذو السبوغ"، وهو الذي كان على رأسه الشريفة حين دخل مكة[6].

وقد استمر اهتمام المسلمين بالدروع طيلة العصور الإسلامية، وإن كانت صناعة الدروع المزردة؛ قد وصلت إلى أوجها عندهم زمن الحروب الصليبية؛ أي فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين/ ١١- ١٣م[7].

---

(١) حبش الشيء يَحْبِشُه حَبْشًا وحَبَّشَه وتَحَبَّشَه واحْتَبَشَه: جمعه. ابن منظور، مج ٦، ص٣٣٥.

(٢) راجع، البخاري، (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)، متن البخاري مشكول بحاشية السندي، جـ٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، جـ٢، ص١٥٦.

(٣) ابن هشام، جـ٣، ص١٩.

(٤) الإقصرائي، (محمد بن عيسى)، نهاية السؤل والأمنية في تعلم الفروسية، نشر وتحقيق، نبيل عبد العزيز، رسالة دكتوراه، مع دراسة تاريخية عن نظام الفروسية في عصر سلاطين المماليك، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٢م، جـ ٢، ص٣٩١.

(٥) ابن هشام، جـ٣، ص٣٢.

(٦) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤. وقد سبقت الإشارة إلى أن رسم الكلمة في هذا المصدر "السبوع"، و "ذا السبوع"، وصحتها "السبوغ"، و "ذا السبوغ".

(٧) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، جـ١، ص٩٣. ومن الجدير بالذكر أنه كما اهتم المسلمون بأمر دروع فرسانهم وخيولهم، فقد كان ذات حال الصليبيين أيضًا، بل إنه في بعض الأحيان لعبت هذه الدروع دورًا في علوهم على المسلمين، وعن هذه الواقعة يذكر "ابن شداد": "وكان عسكر العدو قد رتب فكانت الرجالة حوله كالسور عليهم اللبود الثخينة والزرديات =

وتحفل المصادر التاريخية الإسلامية في كل عصر ومكان؛ بالإشارة إلى الدروع وأهميتها، ونقتطف منها شذرات؛ بطلها مجاهد قل الزمان أن يجود بمثله، ألا وهو "صلاح الدين الأيوبي" (ت ٥٨٩هـ)؛ الذي كان يحرص على ارتداء معدات وقاية الجسم؛ ليس في أوقات الحروب فحسب، بل وكذلك في غيرها(١)، ويخبرنا عنه "ابن شداد" قائلاً: إنه ذات يوم نظر إلى "صلاح الدين" فلم يجد عليه كزاغنده، ولم يكن معتادًا أن يركب بدونه، فلفت "ابن شداد" نظره إلى ذلك، وحدثه في إهماله الكزاغندة، "فكأنه استيقظ فطلب الكزاغندة"(٢).

وذات مرة في وقت سلم، كانت هذه الجنن الواقية سببًا في نجاة "صلاح الدين الأيوبي" من القتل، وذلك حينما وثب عليه باطني، فضربه بسكين في رأسه فجرحه، ولولا وجود المغفر الزرد تحت قلنسوته لقتله، واستمر الباطني في ضربه بالسكين في رقبته؛ إلا أنه كان يرتدي كزاغندة فتقع الضربات في زيق الكزاغندة فتقطعه، ولكن الزردية التي كان يرتديها، منعت وصول الضربة إلى رقبته(٣).

= السابغة المحكمة، بحيث يقع فيهم النشاب ولا يتأخرون، وهم يرموننا بالزنبوك فيجرح خيل المسلمين وخيالتهم ...". سيرة صلاح الدين، ص١٥٧.

(١) لم ير الناس "صلاح الدين" منذ انفتحت عليه أبصارهم قد خلع لباس الجندي؛ إلا مرة واحدة في دمشق وكانت قبل وفاته، ونظرًا لكثرة ركوبه بمعدات الوقاية، وما لها من ثقل حمل، فكان إذا مشي على الأرض عرج. عبد العزيز سيد الأهل، أيام صلاح الدين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٢٠، عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٢٨.

(٢) ابن شداد، ص٢٢٣.

(٣) ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق، أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، جـ١٠، ص٧٦؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص١٣٣. وللاستزادة عن هذه الحادثة. راجع، البنداري (الفتح بن علي)، سنا البرق الشامي ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م- ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، من=

جدير بالذكر أنه نظرًا إلى أن دروع الفرسان، كانت في غاية الثقل؛ فلم يكن بعض المقاتلين يحتملون لبسها أوقاتًا طويلة، وذلك رغم تشديد القادة على لبسها، كما أنه ليس كل فرس يصلح أن يتحمل فارسًا لابسًا مثل هذه المعدات[1]. لذا فالخيل حين تجيد العدو بالدارع فهو شيء مستحسن، قال امرؤ القيس (١٣٠-٨٠ق. هـ)[2]:

ولَقَدْ شَهِدْتُ الخَيْلَ وهْيَ كأنّها   بالدَّارِعين نَقَانِقٌ تَعْدُو

أي لقد كانت هذه الخيول قوية، حتى أنها تعدو كالنقانق -النعام- وهي تحمل على صهواتها الفرسان لابسي الدروع.

ويمكننا أن نعطي مثالاً على مدى ما يُشكله ثقل الدروع من عبء على الفرسان وخيولهم، بواقعة[3] جرت فصولها بين "صلاح الدين محمد بن أيوب الغسياني" و"أسامة بن منقذ" (ت ٥٨٤هـ)، خلاصتها أن "صلاح الدين" المشار

= كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق، فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٧٩م، ص١٠٠، ١٠١.

(١) كان هذا الأمر ملموسًا في مختلف العصور، وبالإضافة إلى ما أثبتناه عاليه، نشير إلى قول "عمرو بن معدي كرب" حين سأله الخليفة "عمر بن الخطاب" عن السلاح، قائلاً: فما تقول في الدرع؟ قال: مَثْقَلَةٌ للرجال مَشْغَلة للراكب وإنها الحصن الحصين". ابن عبد ربه، مج ١، ص١٨٨؛ النويري، السفر السادس، ص٢٠٠. كما نشير إلى واقعة حدثت للأمير المملوكي الجركسي "قانصوه كرت" وجنوده، وذلك في موقعة جرت بينهم وبين العثمانيين، وقد ذكرها "ابن زنبل الرمال"، قائلاً: "ولما وقع الأمير قانصوه كرت في البحر ثقل على الفرس من لبس الحديد، وقد كان الفرس قد كل من الجري، فلم يقدر أن يعدي إلى ذلك البر، فغرق هو وفرسه وغالب مماليكه، وذهب تحت الماء، وما سلم منهم إلا القليل". آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق، عبد المنعم عامر، الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢١١.

(٢) ديوان امرئ القيس، مج ٢، ص٦٧٢.

(٣) راجع، ابن منقذ، ص١٢٢، ١٢٣. ولا تفيدنا هذه الواقعة عن الأمر المثبت عاليه فحسب، بل تضيف إلينا تفاصيل مهمة عن تكوين الدروع، وأشكالها وغير ذلك.

إليه، أمر جنده بالاستعداد للخروج لنصرة "أتابك زنكي"، وقال: "البسوا سلاحكم"، فلبسها أكثرهم، وبعضهم لم يفعل ومنهم "أسامة"، فقال "صلاح الدين": "كم أقول لكم البسوا سلاحكم؟". فقال "أسامة": "يا مولاي، لا تكون تعنيني ؟! قال: نعم"، فرد "أسامة"، قائلا: "والله ما أقدر ألبس، نحن في أول الليل. وكزاغندي فيه زرديتان مطبقة إذا رأيت العدو لبسته، فسكت". وبعد فترة سير نزل الجند لتناول الطعام، فقال "صلاح الدين" مخاطبًا "أسامة": أين كزاغندك؟ فلم يجد حينئذ "أسامة" بدًا فأمر أحد الغلمان بإحضار الكزاغند، وأخرجه من عيبته[1]، وتناول سكينًا، ففتقه عند صدره، وأظهر جانب الزرديتين، "وكان فيه زردية إفرنجية إلى ذيله، وفوقها أخرى إلى وسطه، على كل زردية البطائن، اللبد، اللاسين[2]، ووبر الأرنب. وآنذاك أمر "صلاح الدين" بإحضار حصان كميت "كالصخرة الصماء قُدَّت من قُنَّة الجبل. وقال: هذا حصان يصلح لهذا الكزاغند".

ويمكننا تلمس ثقل دروع الفرسان في قول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ)[3]:

يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفوفًا تَرُبُّه   فَيَختارُ أن يُكْسَى دُروعًا تَهُدُّهُ

والمعنى: إن القلب يرى الجسم الذي هو فيه يتنعم بلبس الشفوف -الثياب الرقيقة- التي تستره، فيأبى ذلك ويختار له أن يُكسى دروعًا تهده بثقلها.

وثقل الدروع التي كان يلبسها المحاربون، لم تكن هي عيبها الوحيد، فقد كانت شدة حرارة الجو تعيبها كذلك، حتى أن السلطان "صلاح الدين الأيوبي" كان يشفق على جنوده "من لبس الحديد ومن أوار[4] الحر الشديد"[5].

ورغم تلك العيوب فقد كانت الدروع من القوة والمنعة بحيث يستحيل على

---

(١) العيبة: زبَّيل من جلد، وهو ما يُجعل فيه الثياب.

(٢) اللاسين: هو نفاية الحرير.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص١٢٩.

(٤) الأُوارُ: شدَّةُ حر الشمس ولفح النار ووهجها والعطش.

(٥) راجع، البنداري، ص٢٥٩.

فرسان تلك الفترة من الاستغناء عنها، وإن كانت مع مرور الزمن لم تصمد أمام تطور العلوم العسكرية. وإذا كان من الثابت أن المماليك قد تفننوا في استعمال مثل هذه المعدات الحصينة الثقيلة؛ فإن حصانتها لم تفلح أمام مقذوفات البنادق العثمانية، كما أن ثقلها كان عائقًا أمام خفة حركة الجيش العثماني(١). وإن كان يُؤخذ في عين الاعتبار أنه رغم استعمال العثمانيين لمقذوفات البنادق ضد المماليك، فقد كانت السيادة بينهم عند الالتحام للأسلحة التقليدية ولمعدات الوقاية المعدنية، ويصف لنا "ابن زنبل الرمال"، إحدى معارك العثمانيين مع المماليك في مصر، فيقول: "والجراكسة قد التحموا في الروم -أي العثمانيين- حتى صارت بينهم حملات ومحاربات ومصادمات ومهاجمات ومضايقات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وصار لهم وقع بالسيف والدبابيس على الأبدان كوقع مطارق الحداد على السندان، أو كوقع حوافر الخيل على الحجر الصوان"(٢).

جدير بالذكر أن استعمال الدروع لم يقتصر على الوقاية في المعارك الحربية فحسب، بل كان يحرص الصائدون كذلك على لبسها(٣)، ويجب ألا نستهين بأبسط ما يُرتدى من هذه المعدات عند الصيد، فربما خف في قدم أو ساق موزة(٤)؛

---

(١) للاستزادة راجع، الرمال، ص٥١، ٩٦.

(٢) الرمال، ص١٩٣.

(٣) تنص المصادر المتخصصة على أن الصائد الراجل؛ إذا أراد أن يقترب من سبع بمفرده؛ فعليه "أن يتخذ لنفسه لباسًا وساعدين ورانين من جلود الخيام الغلاظ، ويضرب عليه شعبًا من حديد حداد الرءوس ... ثم يلبس ذلك جميعًا، ويشدها على نفسه برباط وثيق، ثم يتقدم إلى السبع، وأن يتخذ ترسًا عظيمًا من جلود على هيئة نصف تنور، ويضرب عليه مثل هذا الشعب التي قلنا ... وأن يتخذه من حديد كان أمكن". نبيل عبد العزيز، رياضة الفروسية في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٠٩؛ نهاية السؤل، جـ١، ص٣٨٣.

(٤) ما يُلف على الساق من جلد أو قماش، وهو أطول من الخف. ابن منقذ، ح٢٣٢، ص١٠٩. ومن أسمائها السَر موز، السرَ موزة، السُر موج، الزرْ موزة، الجُرْ موق: وهي جميعها كلمات محرفة من الكلمة الفارسية "سر موزة"، التي تعني نوع من الطماق أي من غطاء =

أنقذت صاحبها من الهلاك!

ويحدثنا "أسامة بن منقذ" -أحد مهرة الصيادين العرب- عن واقعة رآها بأم عينه تدل على أهمية أبسط معدات الوقاية في حالة صيد الحيوانات المفترسة، فذكر أنه بينما كان مع رفاق له في رحلة صيد، خرج عليهم سبع؛ فتصدى له أحد مرافقيه، فاستقبله السبع فحاص به الجواد فرماه أرضًا، فهجم عليه السبع وهو مُلقى، فرفع الرجل رجله فتلقمها الأسد، فهجم "ابن منقذ" ومن معه على السبع فقتلوه. ثم سألوا هذا الرجل؛ لم رفعت رجلك إلى فم السبع؟ فقال: "جسمي كما ترون ضعيف نحيل، وعليَّ ثوب وغلالة، وما فيَّ أكسى من رجلي، فيها الرانات الخف والساق موزا. فقلت: أشغله بها عن أضلاعي أو يدي أو رأسي إلى أن يُفَرِّج الله تعالى"(١).

وأختم تناولي لدروع المحاربين، مشيرًا إلى أنه إذا كان من الشائع أن "الزرديات" تصنع من الحديد؛ فتحدثنا بعض المصادر التاريخية أنها كانت تصنع أحيانًا من الذهب، فيشير "الدواداري" إلى أنه بعد دخول "سيف الدين طغتكين بن أيوب" إلى اليمن سنة ٥٧٨هـ، وقتله "قحطان بن منقذ"، كان من جملة ما استولى عليه من "سلاح خاناته" أربعمائة زردية ذهب عين أبريز(٢).

* * *

= للساق يُلبس فوق الخف. دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، بغداد، ١٩٧١م، ، ص١٦٧.

(١) ابن منقذ، ص٧٦.

(٢) الدواداري، جـ٧، ص٧٣. وبالطبع فإن الزرديات المصنوعة من الذهب، لا تتحمل أو تصمد في مواجهة الأسلحة الهجومية، وذلك نظرًا لطبيعة هذه المادة. لذا فيصعب الاعتقاد أن هذه الدروع كانت تُستعمل في الحروب، وقد سبق أن مر بنا أن سادة القوم كانوا يدخلون في دروعهم أنواعًا ثمينة من الجواهر.

دروع الخيول:

سبق أن عرفنا الحرص على إلباس الخيول الدروع خاصة أثناء الحروب، وأنه كان يُستخدم مصطلح "فرس مدرع" للإشارة إلى الحصان المكسو بالزَّرَد(١)، كما أن الخيول كانت تخرج في بعض الاحتفالات وهي على حد قول القلقشندي: "ملبسة البركستونات والوجوه الفولاذ كما في القتال"(٢).

والجدير بالذكر أن الجنن الواقية للخيول، كانت على أشكال مختلفة، فمن بينها ما يُستعمل لوقاية أبدانها، أو يقي أجزاء معينة منها، خاصة الوجه، والساقين.

والحق أن الإشارة إلى دروع الخيول قليلة وذلك بالنسبة لما وصلنا عن دروع المقاتلين، ومن الإشارات التي وصلتنا عنها قول عمرو بن كلثوم (؟-٣٩ق. هـ) بعد وصفه لما يلبسه فرسان قومه من دروع(٣):

وَتَحمِلُنا غَداةَ الرَّوْعِ جُردٌ عُرِفنَ لَنا نَقائذَ وافتُلينا(٤)

وَرَدْنَ دَوارِعًا وَخَرَجْنَ شُعْثًا كَأمثالِ الرّصائعِ قَدْ بَلِينا(٥)

وهو يقول في البيت الأول: وتحملنا في الحروب خيول جرد عرفن لنا وفُطمت عندنا وخلّصناها من أيدي أعدائنا بعد استيلائهم عليها. ويقول في البيت الثاني: وردت خيولنا في الحرب وعليها دروعها، وخرجن منها شعثًا قد بلين بلي عقد الأعنّة لما نالها من المشاق والتعب فيها.

---

(١) راجع، Dozy, R., Tome Premier, p. 407

(٢) انظر، القلقشندي، جـ٤، ص٥٩. ووصلنا وصف لدرع فرس أحد كبار المقاتلين الصليبيين زمن الأيوبيين؛ بما نصه "حصان عظيم ملبس بالزرد إلى حافره". ابن شداد، ص١٢٥.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٦٧.

(٤) الروع: الفزع، ويقصد الحرب. الجرد: الفرس التي رقّ شعر جسدها وقصر، والواحد أجرد والواحدة جرداء. النقائذ: المخلصات من أيدي الأعداء. الفلو والافلات: الفطام.

(٥) الرصائع: ج الرصيعة، وهي عقدة العنان على قذال الفرس.

وقول المرقش الأصغر (؟- ٥٤ق. هـ) يصف فرسه[١]:

تَراهُ بِشِكّاتِ المُدَجَّجِ، بَعدَما   تَقَطَّعُ أقرانُ المُغيرَةِ، يَجمَحُ

أي: وتراه بسلاح المدجج: لابس السلاح كله، بعدما تقطع الحبال التي تقرنه، يجنح: أي يقفز لنشاطه.

وقول كعب بن مالك (؟- ٥٠هـ) يوم الخندق (٥هـ)[٢]:

إذا ما نحن أشرجنا عليها   جياد الجدل في الأرب الشداد

والجدل: جمع جدلاء، وقد سبق أن عرفنا أنها الدروع المحكمة النسج، وقوله: أشرجنا عليها جياد الجدل: أي ربطنا عليها الدروع محكمة النسج. وقوله عليها عائدة إلى الخيول، التي ذكرها من قبل في قوله[٣]:

خُيولٌ لا تُضاعُ إذا أُضيعَتْ   خُيولُ النّاسِ في السَّنَةِ الجَمادِ[٤]

وقول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟- ؟)[٥]:

وَالخَيلِ قد طُوِيَتْ إلى الأَصْلابِ

مُتَسَرْبِلاتٍ في الحَديدِ تَكُفُّهَا   شَقِّيَّةٌ يُقَرِّعْنَ بِالأَنْيابِ[٦]

والخيل متسربلات في الحديد: أي على هذه الخيول دروع تحميها في المعركة.

وقول المتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ)[٧]:

---

(١) القرشي، ص٢٠٠.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٤٠؛ ابن هشام، جـ ٣، ص١٦٠.

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٤٠؛ ابن هشام، جـ ٣، ص١٦٠.

(٤) السنة الجَماد: سنة القحط والجدب.

(٥) ديوان ابن مقبل، ص٢٥، ٢٦.

(٦) الشقية: بمعنى اللُجُم ها هنا، منسوبة إلى شَقَ، وهي قرية من قرى فَدَك تعمل فيها اللجم.

(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٣٢٤.

لها في الوَغى زِيُّ الفَوارِسِ فَوقَها فكُل حِصانٍ دارِعٌ مُتَلَثِّمُ

والمعنى: إن لهذه الخيول عند الحرب زيًا كزي الفوارس –أي دروع– الذين يمتطوها، فكل فرس منها دارع لابس درع، متلثم: أي مقنع.

وإذا كان الشاعر في هذا البيت يصف خيول سيف الدولة، فله قصيدة أخرى ذكر فيها جيش الروم وأفراسهم المدرعة، فيُخاطب سيف الدولة في قصيدة ويقول(1):

أتوكَ يَجُرّونَ الحَديدَ كأنَّما سَرَوْا بجيادٍ ما لَهُنَّ قَوائمُ

أي: لقد أتى الروم على خيل غابت قوائمها تحت الأسلحة التي يجرونها وتحت الدروع التي تلبسها فبدت كأنها بلا قوائم.

وقول ابن سناء الملك (٥٥٠– ٦٠٨هـ) في قصيدة يمدح فيها صلاح الدين الأيوبي(2):

له جَحْفَلٌ جرَّ القَنا فتعثَّرَت قَنَا الخَطِّ إلاَّ أنَّها ليسَ تَنْفَسُ

وكلُّ حِصانٍ بالحديد ملثَّمٌ عليه كمِيٌّ بالحديد مُقَلْـنَسُ

وقوله: وكلُّ حِصانٍ بالحديد ملثَّمٌ: أي وكل حصان مقنع بالحديد، أي لابس درعًا تامة.

ومن أهم الجنن الواقية التي كانت تُستعمل لحماية الخيول، "التجافيف": جمع "تجفاف" وهي بمثابة آلة للحرب، تتخذ من حديد وغيره، يلبسه الفرس أو الإنسان، ليقيه في الحرب(3)، وقد ورد ذكر التجافيف التي تُلبس للفرس كالدرع،

---

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٣٢٩.

(2) ديوان ابن سناء الملك، ص١٧٤.

(3) ذكر "عبد الرحمن زكي" أنه إذا كان درع الدابة من اللباد أو القماش المبطن أُطلق عليه التجافيف– Tidigfaf. الجيش المصري، جـ٢، ص٢٤. كما ذكر في ذات الوقت، أن التجفاف كالدرع يلبسها المحارب للوقاية، فارسية الأصل "تن بناه، أي حارس البدن، ومعناها في =

في قول العجاج (؟- ٩٠هـ)[١]:

إِذَا ارْجَحَنَّ وَاضِعِ الأكنافِ   وقَنَّعَ البِلادَ في تَجْفافِ[٢]

وعن شرح هذا البيت قال الأصمعي: والتِّجْفافُ: الذي يُلْبَسُ الدَّابةَ. يقول الشاعر: هذا الليلُ قد أَلْبَسَ البلادَ الظلمةَ، كما أُلْبِسَ الدابَّةُ التِّجفاف.

وقول بشار بن برد (٩٥- ١٦٧هـ)[٣]:

قاد الخيول من البُصَيرة للعِدى   حتى وقعن بصِينِ بَغْبَرَ قُودا[٤]

خيلاً مجففةً، وخيلاً حُسَّرًا   لا يعتلجنَ مع الشَّكائمِ عُودا

وقوله خيلا مجففة: أي عليها التجافيف وهو من حديد وغيره.

وقول للمتنبي (٣٠٣- ٣٥٤هـ) في قصيدة يمدح سيف الدولة ويقول[٥]:

ولَما عَرَضتَ الجَيْش كانَ بَهاؤهُ   على الفارسِ المُرخى الذُّؤابَةِ مِنهُمُ[٦]

حَوالَيْهِ بَحْرٌ للتَّجافيفِ مائِجٌ   يَسيرُ بهِ طَودُ مِنَ الْخَيلِ أَيْهَمُ[٧]

وقول ابن أبي حصينة (٣٨٨- ٤٥٧هـ) في قصيدة قالها بديها حين قدوم خيول عليها غلمان لابسين عدة وهي مُجَفْجَفَةٌ[٨] أي عليها التجافيف:

= اللسان "الذي يوضع على الخيل من حديد وغيره في الحرب". الجيش المصري، جـ٢، ح١، ص٣٩.

(١) ديوان العجاج، ص١٤٢.

(٢) المرجحن: الثقيل. الواضع: الذي كان لَزِقَ بالأرض من ظُلْمَتِهِ .. الأكناف: النواحي.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص٢٤٧.

(٤) بغبر: يريد بغبور الصين.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص٣٢٣، ٣٢٤.

(٦) الذؤابة: ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها. وأراد بالفارس: سيف الدولة، أي أنه كان بهاء الجيش.

(٧) الأيهم: الذي لا يهتدي فيه.

(٨) ديوان ابن أبي حصينة، جـ١، ص٢٠٣.

كُفيتَ العِدى وَوُقيت الرَّدى   فَما زِلْتَ تَعْمُرُ رَبْعَ النَّدى

فَلَمْ أَرَ مِثْلَكَ قَادَ الجِيَادَ   مُجَلَّلَةً بِثِيَابِ الوَغَى

والمقصود بثياب الوغى: التجافيف التي تُلبس للخيول عند الحرب.

وقول ابن حمديس (٤٤٧ – ٥٢٧هـ) واصفًا جيشًا[1]:

وَدُهمٌ بفرسانِ الكفاح سوابحٌ   تجافيفها في الروع منسدل اللبد

ومن المعدات المهمة التي استعملت لوقاية الخيول في العصر المملوكي خاصة، "البركستونات": وهي عبارة عن أغطية للخيول[2]؛ تُتخذ من الفولاذ وغيره[3]. والجدير بالذكر أنه لدينا إشارة مهمة تُفيد أن أمراء المماليك كانوا يحرصون على وضع رنوكهم عل بركستونات خيولهم، كحرصهم على وضعها على منشآتهم، وأسلحتهم[4].

وقبل الشروع في دراسة الدروع التي وصلتنا منفذة على الفنون التطبيقية والعمائر الإسلامية، نود لفت الانتباه، أنه ليس من اليسير على المرء أن يُحدد بشكل قاطع، ما إذا كان اللباس الذي يرتديه الشخص أم مَلْبس للفرس هو درع بالفعل، إذ أن هذا الأمر يحتاج إلى خبرة خاصة عن نوعية ملابس الأشخاص وكسوات الخيول من ناحية، وعن الزخارف المنفذة عليها من ناحية أخرى.

وإذا كان من بين ما وصلنا من الأعداد الهائلة لملابس الأشخاص أو لكسوات الخيول المنفذة على الفنون التطبيقية والعمائر الإسلامية، قد وقفت على عدة

---

(١) ديوان ابن حمديس، ص١٥٣.

(٢) راجع، محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م، ص٣٣. ويقال لها إلى جانب "بركستوان": "بركصطوان"، "بركشتوان". وأصله بالفارسية: "بركشتان"، أي حافظ لحم الصدر. القلقشندي، جـ٤، ح٢، ص٥٩.

(٣) راجع، نبيل عبد العزيز، الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٦٠.

(٤) راجع، نبيل عبد العزيز، الخيل ورياضتها، ص٩٥.

نماذج منها؛ معتقدًا أنها تُعبر بالفعل عن الدروع، فأحسب أن اختياري لها؛ لا يرجع إلى خبرتي -المتواضعة- بشأن ملابس الأشخاص أو كسوات الخيول وزخارفها فحسب[1]، بل وإلى عوامل أخرى أسهمت في ذلك الاختيار، منها نوعية الموضوع التصويري المنفذ، هذا علاوة على عوامل أخرى سوف يتم الإشارة إليها في حينه.

* * *

(١) نجمت هذه الخبرة من خلال دراستي المعنونة بـ "مناظر الفروسية على الخزف الإسلامي" -دراسة تحت النشر- حيث اهتممت فيها بشكل رئيس، بدراسة ملابس الفرسان، وكسوات الخيول.

الفصل الثاني

رسوم الدروع على الفنون والعمائر الإسلامية

وصلتنا عدة نماذج لدروع منفذة على مواد فنية مختلفة، كالفخار والخزف، والمعادن، والجص، ومن حسن الطالع أن هذه النماذج تنتمي إلى أقطار متنوعة، كإيران، والعراق، والشام، وبلاد المغرب الإسلامي، كما أنها تغطي فترة زمنية طويلة، إذ تمتد -على أقل تقدير- فيما بين القرنين الثالث والعاشر للهجرة/ ٩-١٦م، وعلاوة على ذلك فقد مُثلت في موضوعات متنوعة، إذ إن بعضها ظهر في موضوعات ذات طبيعة حربية، كما أن بعضها الآخر ظهر في موضوعات صيد.

إيران:

ظهرت الدروع على الفنون التطبيقية الإيرانية منفذة في التحف الفخارية والخزفية، وكذا المعادن، وعلاوة على ذلك فقد وصلتنا نماذج أخرى محفورة على الجص؛ كانت تزين إحدى العمائر الإيرانية.

الخزف والفخار:

تعد التحف الخزفية والفخارية الإيرانية، أكثر الفنون الإسلامية -على الإطلاق- التي احتوت على تمثيل للدروع، وأهميتها بالنسبة لنا لا تقف عند هذا الحد فحسب، بل ولأنها أيضًا تشتمل على أقدم النماذج التي بين أيدينا للدروع.

وأقدم ما توصلت إليه من الدروع على الفخار الإيراني ما هو منفذ على صحن[1] من النوع المرسوم بألوان متعددة، يُنسب إلى نيسابور فيما بين القرنين الثالث والرابع للهجرة/ ٩- ١٠م، وعلى هذا الصحن منظر قوامه فارس في رحلة صيد، متسلحًا بسيفه، ويقبع على مؤخرة فرسه فهد صيد (لوحة ١، شكل ١)، ويرتدي هذا الفارس درعًا يصل حتى ركبتيه، وقد تمنطق حول وسطه بحزام؛

(١) محفوظ في متحف إيران. عنه انظر، Wilkinson, Ch., Nishapur, Pottery of the Early Islamic Pottery, the Metropolitan Museum of Art, New York, pp. 20- 22, pl. 62 a.

يقسم الدرع إلى جزءين كل منهما منفذ بأسلوب زخرفي مختلف عن الآخر:

والجزء العلوي للدرع –الذي يستر نصف بدن الفارس العلوي– يتميز بأنه محكم على بدن الفارس، ومقفول من الأمام، وله فتحة رقبته دائرية محكمة القفل حول الرقبة، وله كُمان طويلان ضيقان. وقد زُخرف هذا الجزء بواسطة خطوط صغيرة متقاطعة –تعبر عن الزرد– مكونة صفوفًا منتظمة في وضع رأسي وأفقي، ويلاحظ أن الكُم الأيسر مشغول في منطقة العضد بصفين من الدوائر الصغيرة، وفي منطقة الساعد بصف واحد من هذه الدوائر، وربما تعبر هذه الدوائر عن المناطق المعدنية التي كانت تُثبت في أجزاء من الدروع المزردة.

أما الجزء السفلي –الذي يستر الجزء السفلي من بدن الفارس– وهو يمتد من أسفل الحزام واصلاً حتى ركبتيه، فقد زُخرف بزخرفة على هيئة مربعات منتظمة –تعبر عن الزرد– في تشكيل رأسي وأفقي، ويلاحظ أن هذه المربعات متصلة فيما بينها بواسطة مناطق دائرية صغيرة.

وبالإضافة إلى الدرع الذي يرتديه الفارس، والسلاح الذي يشهره في يده، فإنه يضع على رأسه غطاءً، وينتعل في قدمه حذاءً من النوع ذي الرقبة الطويلة، وهو بذلك يكمل منظومة معدات وقاية بدنه[1]؛ إذا ما هجم عليه حيوان مفترس أثناء الصيد.

(١) يُؤخذ في عين الاعتبار أننا نتناول في هذا المقام الأسلحة الدفاعية، وليست الملابس التي يرتديها الصائدون بصفة عامة، والأخيرة هذه ظهرت لنا بأعداد لا حصر لها في الفن الإسلامي. ولمزيد من الاستزادة عن أنواعها وأشكالها وزخارفها. راجع، عبد الناصر ياسين، مناظر الفروسية، دراسة تحت النشر. ومما يجدر ذكره، أن هناك مواصفات خاصة للملابس التي كانت تستعمل في الصيد. راجع، نبيل عبد العزيز، رياضة الصيد، ص. ص٤١– ٤٣.

(شكل ١) رسم على صحن من الفخار، إيران، ق ٣- ٤هـ، بمتحف إيران، عمل الباحث، انظر: Wilkinson, Ch., pl. 62. A

كما ظهرت الدرع في منظر صيد آخر، منفذ على سلطانية[1] من الفخار المرسوم بألوان متعددة، ترجع إلى نيسابور في القرن الرابع الهجري/ ١٠م، ونرى في هذا المنظر فارسًا في رحلة صيد كذلك، شاهرًا خنجرًا في يده، ومصطحبًا معه بازًا وكلب صيد (لوحة ٢، شكل ٢). ويرتدي هذا الفارس درعًا مشابهًا بوجه عام للدرع المنفذ على القطعة السابقة، وإن كان مختلفًا عنه في التفاصيل، ويكمن الفرق بينهما في هيئة الزخرفة التي تُعبر عن الزرد، إذا أنها في هذه القطعة؛ عبارة عن خطوط زجزاجية متصلة في الجزءين العلوي والسفلي -المقسومين بواسطة حزام الوسط- من الدرع، ويلاحظ أنه ينتشر عليهما دوائر

(١) محفوظة في متحف المترو بوليتان بنيويورك. انظر، Rice, T., Islamic Art, London, pl. 43؛ أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٧م، شكل ٩٩.

مطموسة، ربما كانت معبرة عن المناطق التي ترصع بها الزرديات.

ويُلحظ أن هذا الفارس يضع على رأسه غطاءً مخروطي الشكل، كما أنه ينتعل حذاء ذا رقبة طويلة -كما هو الحال في القطعة السابقة- وهو بذلك يكون قد أحكم وقاية جسمه إذا ما تعرض لهجوم حيوان مفترس، وعلاوة على ذلك فالخنجر الذي يشهره في يده، يُكمل مهام حمايته.

(شكل ٢) رسم على سلطانية من الفخار، إيران، ق ٣- ٤هـ، بمتحف المترو بوليتان، عن: الرفاعي، شكل ٩٩.

كما وصلنا من نيسابور أيضًا صحن[1] آخر من الفخار المرسوم بألوان متعددة، يرجع كذلك إلى القرن الرابع الهجري/ ١٠م، عليه منظر لفارس في متنزه، أو مستعد لرحلة صيد (لوحة ٣، شكل ٣)! ويرتدي هذا الفارس درعًا قصيرة، مشغولة بمناطق شبه مستطيلة الشكل، وهي منتظمة في هيئة أفقية

---

(١) محفوظ في "David Collection" . عنه أنظر، Erwin, R., Islamic Art, London, 1997, Fig. 205.

ورأسية، وبداخل كل مستطيل خط في وضع رأسي، وربما تعبر هذه الأشكال المستطيلة عن الرقائق المعدنية المشغول منها الدرع. ويلاحظ أيضًا أن هذا الفارس؛ ينتعل في قدمه حذاءً له رقبة طويلة، مما عهدناه في الظهور مع معدات وقاية البدن، أثناء رحلات الصيد.

وربما يتشكك البعض في كون اللباس الذي يرتديه الفارس هنا درعًا حقيقية، خاصة أنه منفذ في موضوع أقرب إلى موضوعات التنزه من موضوعات الصيد! غير أنه بمقارنة هذا اللباس مع بعض الدروع التي وصلتنا منفذة على تحف أخرى[١]، يجعلنا نميل إلى أن اللباس هنا درع.

(شكل ٣) رسم على سلطانية من الفخار، إيران، ق ٤هـ، بمجموعة ديفيد، عمل الباحث، انظر: Irwin, fig. 205

وعلى بلاطة خزفية[٢] من إيران، تنسب إلى القرن السادس أو السابع للهجرة/ ١٢ - ١٣م، نجد شخصًا واقفًا في وضع مواجهة، مرتديًا درعًا (شكل ٤) مكونًا

(١) قارن مع الأشكال: ٤، ٧، ١٤.

(٢) محفوظة في "Keir Collection". انظر، Nicolle, D., Saljûq Arms and Armour in the Art and Literature, the Art of the Saljûqs in Iran and Anatolia, California, 1994, pl. 266, p. 253, fig. 18.

من نفس الرقائق مستطيلة الشكل -التي ظهرت في الدرع بالمنظر السابق- ويرى أحد العلماء أن الدرع الذي يرتديه هذا الشخص من نوع "الجوشن"[1]، وهو ما نوافقه عليه، خاصة أن الدرع هنا يُغطي منطقة الصدر، وهو ما يتناسب مع ما وصلنا -كما سبقت الإشارة- من وصف للجوشن.

(شكل ٤) رسم على بلاطة من الخزف، إيران، ق ٦-٧هـ، بمجموعة كير، عن: Nicolle, D., fig. 18.

كما ظهرت الدرع كذلك في منظر صيد مُنفذ على سلطانية من الخزف ذي الزخارف المذهبة فوق الدهان[2]، من صناعة قاشان في القرن السادس الهجري/ ١٢م[3]، ويمثل هذا المنظر "بهرام جور" ومحظيته "أزدة"، على سنام جمل، وقد جلست "أزدة" في وضع معاكس، خلف "بهرام"، وهي تعزف على آلة موسيقية، ويبدو "بهرام" قد أطلق سهم قوسه تجاه غزالة، وهو مرتدي درعًا مشكلاً من

(١) محفوظة في "Keir Collection". انظر، Nicolle, D., pl. 266, p. 253. Fig. 18

(٢) في مجموعة "Mortimer Schiff"

(٣) انظر، Pope, A., A Survey of Persian Art, from Prehistoric Times to the Present, London and New York, 1939, vol. V, pl. 672.

مناطق هندسية قوامها أشكال سداسية الأضلاع تشبه خلايا النحل (لوحة ٤، شكل ٥)، ويرجح أحد العلماء أن هذا القميص من نوع قمصان الزرد، ذاكرًا أن زخرفته تتشابه مع شكل هذا النوع من القمصان، التي كانت تستعمل في مثل هذه المناسبات[١]، وهو ما نتفق فيه معه، وإن كان يؤخذ في عين الاعتبار، أن الدرع هنا يغطي الجزء العلوي من بدن "بهرام- وهو المكسو بالأشكال السداسية، وأنه يوجد معلق في الجانب الأيسر من وسط "بهرام- وعاء قوسنه، وقد زُخرف هذا الوعاء بأشكال مربعات متجاورة.

(شكل ٥) رسم على سلطانية من الخزف الميناني مع التذهيب، إيران، ق ٦هـ، بمجموعة مارتا بمرشيف، عمل الباحث، انظر، Pope, A., vol. V, pl. 672

---

(١) صلاح حسين العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٢٠٣)، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م، ص٢٠٧، ٢٠٨. مما يجدر ذكره أن نفس الموضوع ظهر في كثير من القطع الخزفية الإيرانية الأخرى، ولكن يلاحظ فيها أن اللباس الذي يرتديه "بهرام جور" ، مزخرف بزخارف نباتية. انظر، Pope, A., vol. V, pl. 664

كما وصلتنا درع أخرى منفذة على بلاطة[1] من الخـزف المرسـوم بـألوان متعددة مع التذهيب، ترجع إلى القرن السابع الهجري/ ١٣م، وعلى هذه البلاطـة منظر صيد يمثل "بهرام جور" على سنام جمل وهو يشرع في رمي سهم قوسـه، وتجلس محظيته "أزدة" من خلفه في وضع معاكس، وهـي تعـزف علـى آلـة موسيقية، والدرع الذي يرتديه "بهرام" من النوع الطويل؛ إذ يمتد حتى منتصـف ساقيه، ويُلحظ أنه عُبر عن الزرد هنا بأشكال مربعات متصلة (لوحة ٥، شكل ٦).

وعلاوة على ذلك فيضع "بهرام جور" على رأسه خوذة، وينتعل فـي قدمـه حذاءً من النوع ذي الرقبة الطويلة، وهي نفس الأدوات التي وجدناها بصفة عامة في أكثر موضوعات الصيد، التي ارتدى فيها الصائدون دروعًا.

(شكل ٦) رسم على سلطانية من الخزف ذي الزخارف البـارزة بـالألوان والتذهيب، إيران، ق ٧هـ، بمجموعـة Mme E. Paravicini، عمـل الباحث، انظر: Pope, A., vol. V. pl. 679

(١) محفوظة في مجموعة "Mme E. Paravicini". عنها انظر، Wiet, G., L' Exposition Persane de 1931, Imprimerie de l' Institut Français d' Archéologie Orientale, le Caire, 1933, pl. XXIII; Pope, A., vol. V, pl. 679.

كما تظهر الدروع منفذة على سلطانية من الخزف[1] الميناني، ترجع إلى قاشان في القرن السابع الهجري/ ١٣م، وعلى هذه السلطانية منظر لمعركة حربية أمام قلعة أو حصن، يتسلح فيها المحاربون بشتى أنواع الأسلحة الهجومية والدفاعية، ونلاحظ أنه يوجد بأعلى سطح هذه القلعة، أربعة دروع قصيرة، ذات أكمام تصل إلى نصف الذراع، وهي لا شك من نوعية "الجواشن"، وهذه الدروع مصطفة في وضع رأسي؛ ثلاثة منها معتدلة، والرابعة في وضع معكوس، وثلاثة من هذه الدروع تُعبر تعبيرًا تامًا عن أقمصة الزرد ذات الحلقات المتصلة؛ وإن لوحظ اختلاف تفاصيل نسجها؛ ما بين دقيق وكبير النسج، أما الدرع الرابع فقد شُغل بوحدات شبه مستطيلة الشكل، يتوسطها خط رأسي (اللوحتان ١٦أ، ب، شكل ٧).

الجدير بالذكر أن ما أتت عليه هذه الدروع من تنوع في أشكال تكويناتها الزخرفية، المعبرة عن الزرد وغيره، تتشابه مع بعض هيئات الدروع التي سبق وصفها، والتي ظهرت في مناظر الصيد المنفذة على الخزف الإيراني (الأشكال ٣- ٥).

(١) محفوظ في "Freer Gallery". انظر، Pope, A., vol. V, pl. 675

(شكل ٧) رسم على سلطانية من الخزف الميناني، إيران، ق ٧هـ، بمجموعة فرير، عمل الباحث، انظر، Pope, A., vol. V, pl. 675

وطالما نحن في متناول الحديث عن الدروع الكاملة أو أجزائها، فلا يفوتنا الإشارة إلى بلاطة[١] من الخزف المرسوم بالألوان المتعددة والبريق المعدني، منفذ عليها منظر حربي يمثل مجموعة من القادة العسكريين وأتباعهم، ظهروا يمتطون صهوات جيادهم، وعلى الرغم من أن ملابسهم[٢] ليست من الدروع، فيُلحظ أن القادة يضعون على رؤوسهم قلنسوات، تشبه إلى حد كبير الخوذ التي

---

(١) محفوظة في متحف "بوسطن" للفنون الجميلة، عنها انظر، Pope, A., vol. V, pl. 706

(٢) لمزيد من التفاصيل عن المنظر في هذه القطعة، خاصة تفاصيل ملابس الفرسان. راجع، عبد الناصر ياسين، مناظر الفروسية، تحت النشر.

كانت تُستعمل في المعارك الحربية، ويلاحظ أنها مدببة من الوسط، ويزين سطحها العلوي دوائر صغيرة مستديرة، وينسدل منها مدارئ تغطي الأذنين والقفا (شكل ٨)، يرى فيها أحد العلماء أنها تشبه الزرد الذي يرتديه الفرسان أثناء الحروب(١)، وإن كنت أعتقد أنها عبارة عن صفائح، وليست زرد.

على أية حال فالخوذات هنا طالما زودت بمدارئ أو شملات(٢) تغطي الأذنين والقفا؛ فهي تذكرنا بالخوذ المزودة بالتسبغات، وقد سبق أن عرفنا أن الخوذ من الأسلحة الدفاعية، وهي جزء من الدروع الكاملة، وأنها على نوعين، أولهما البيضة، وهي التي تقي الرأس فيما عدا الرقبة والأذنين، أما ثانيهما فالبيضة تزود بتسبغة -كالتي في المنظر محل التناول- تدور أسفلها، أو بمغفر يكون تحتها على رأس المحارب.

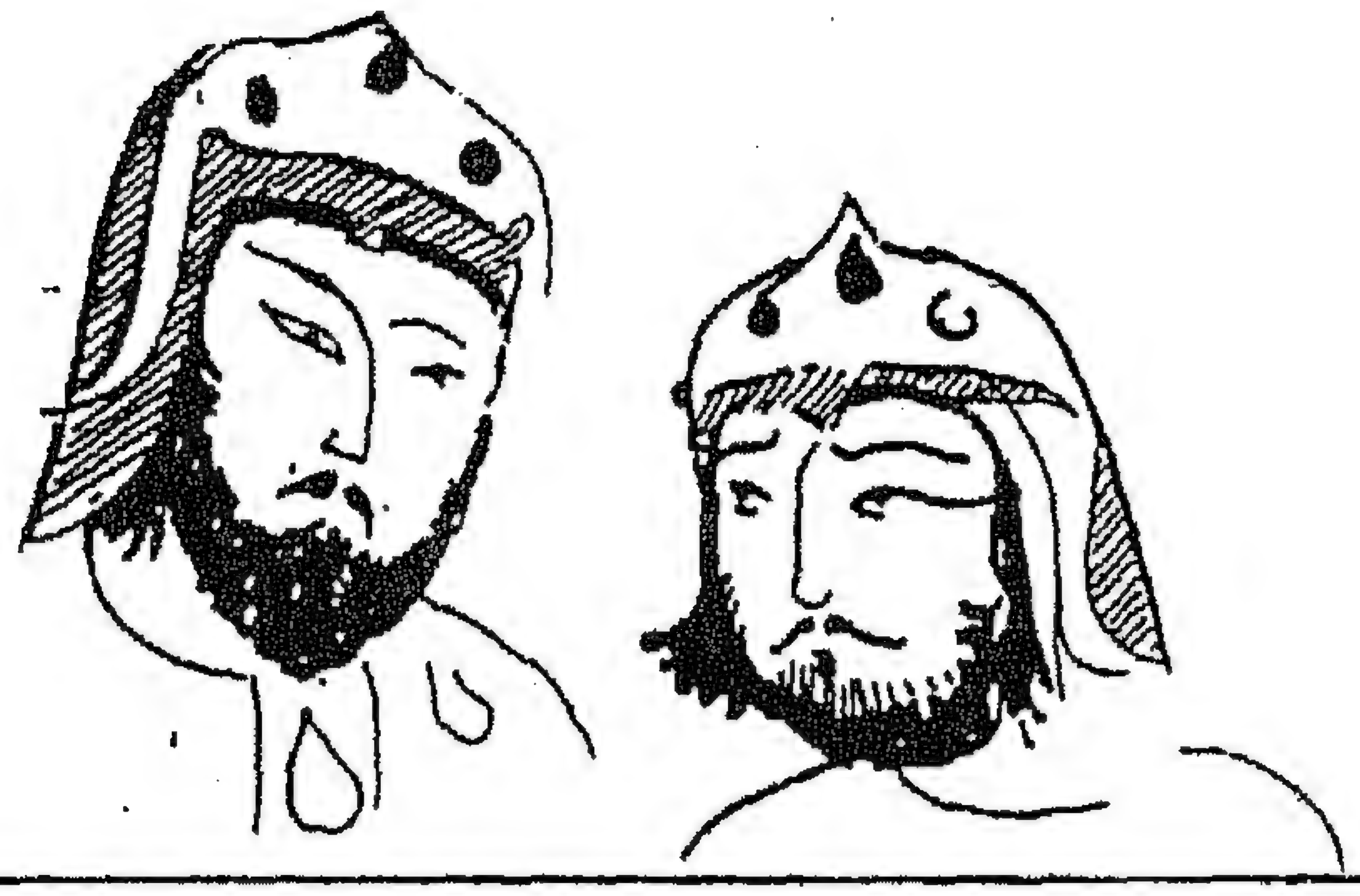

(شكل ٨) رسم على بلاطة من الخزف الميناني والبريق المعدني، إيران، ق ٧هـ، بمتحف بوسطن للفنون الجميلة، عن: العبيدي، شكل ٦٩.

---

(١) صلاح حسين العبيدي، ص١٥٠.

(٢) لعل أقدم مثل وصلنا من الخوذ، هو ما عُثر عليه منقوشاً على الحجر في القصر الأموي بخربة المفجر، ومما يُلحظ أن هذه الخوذة مزودة بشملة تغطي الأذنين والرقبة، ولكنها ليس من الزرد. ماير، ص٧٤.

كما ظهرت الخوذ كذلك على بلاطة[1] من الخزف ذي الزخارف متعددة الألوان، ترجع إلى حوالي القرن العاشر الهجري/ ١٦م، وعلى هذه البلاطة منظر لفارس محارب (لوحة ٧، شكل ٩) يمتطي صهوة جواده الراكض، شاداً في وسطه سيفاً، ممسكاً في يده رمحاً، ويضع على رأسه خوذة نصف دائرية الشكل، يظهر من أسفلها مدارئ تقي الأذنين والرقبة، ومشدود حول هذه الخوذة عصابة.

(شكل ٩) رسم على بلاطة من الخزف ذي الزخارف متعددة الألوان، إيران، ق ١٠هـ، كانت بمجموعة بتلر الخاصة، عمل الباحث، انظر: فرغلي، الفنون الزخرفية، لوحة ٥٢.

(١) كانت بمجموعة "بتلر" الخاصة. انظر، أبو الحمد محمود فرغلي، الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين، لوحة ٥٢.

المعادن:

وصلنا صحن من الفضة(١)، يُنسب إلى القرن الثالث أو الرابع للهجرة/ ٩-١٠م، عليه حفر يُمثل حصار قلعة(٢)، (لوحة ٨) يظهر فيه قلعة يحاصرها مجموعة من المحاربين الفرسان، ويظهر أعلى الطابق الثاني من القلعة سبعة أشخاص، ستة منهم يبدو أنهم ينفخون في أبواق، كما يظهر أعلى الطابق الأخير من القلعة ثلاثة جنود يدافعون عنها، وفيما بينهم جنديان صريعان يتدلى نصف كل منهما العلوي من دروة القلعة إلى أسفل.

ويُلاحظ أن الجنود الفرسان مدججون بالأسلحة، ويهمنا هنا الإشارة إلى أنهم يرتدون دروعًا كاملة، قوامها قمصان طويلة من الزرد، تصل حتى أقدامهم، وهي من نوعية الدروع المعروفة باسم "زَرَديات سابلة" أو "زردية مسبلة"، وعلاوة على ذلك فكل منهم يضع على رأسه خوذة، يظهر من أسفلها مغفرًا يقي الأذنين والرقبة، ويُلحظ أنه يعلو منتصف كل خوذة قائم.

أما بالنسبة لنافخي الأبواق بالطابق الثاني من القلعة، فيرتدي معظمهم أيضًا زرديات من نفس نوع أقمصة الزرد السابقة "زرديات سابلة"، ويُلاحظ عدم وجود الخوذات على رءوسهم.

وفيما يتعلق بالجنود الثلاثة المدافعين عن القلعة، والجنديين الصريعين المتدليين من دروة القلعة، فهم يرتدون أيضًا دروعًا. ولما كان لا يظهر من هؤلاء الجنود الخمسة سوى النصف العلوي من جسم كل منهم، فلا نستطيع الجزم ما إن كانت الدروع التي يرتدونها من نفس نوعية الدروع السابقة "زرديات سابلة"، أم أنها من نوع "الجواشن"؛ التي كانت تتميز بأنها تغطي منطقة الصدر. وعلاوة

---

(١) محفوظ في متحف الهرميتاج.

(٢) انظر، حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الخامس، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م،مج ٥، لوحة ٩٥٠، ص٩٤.

على ذلك فيُلحظ أن الجنود الثلاثة؛ يُغطون رءوسهم بخوذ من نفس نوع الخوذ السابق وصفها، أما الجنديان الصريعان؛ فلا خوذ على رأسيهما، وتمثيلهما على هذا النحو توفيق من الفنان المنفذ للمنظر؛ إذ من الطبيعي أن يؤدي مصرعهما وتدلي النصف العلوي من بدن كل منهما على دروة القلعة؛ إلى سقوط خوذتيهما.

الجص:

ظهرت الدروع على كسوة من الجص[1]، تنسب إلى مدينة الري في القرن السادس أو السابع للهجرة/ ١٢- ١٣م، وعلى هذه الكسوة منظر بالنقش البارز، قوامه فارسان يمتطي كل منهما صهوة جواده، ممسكًا برمح يحاول أن يطعن به الآخر، ويرتدي كل منهما درعًا قصيرًا، يغطي منطقة الصدر، لذا فالدرع هنا من نوع "الجوشن"[2] (شكل ١٠).

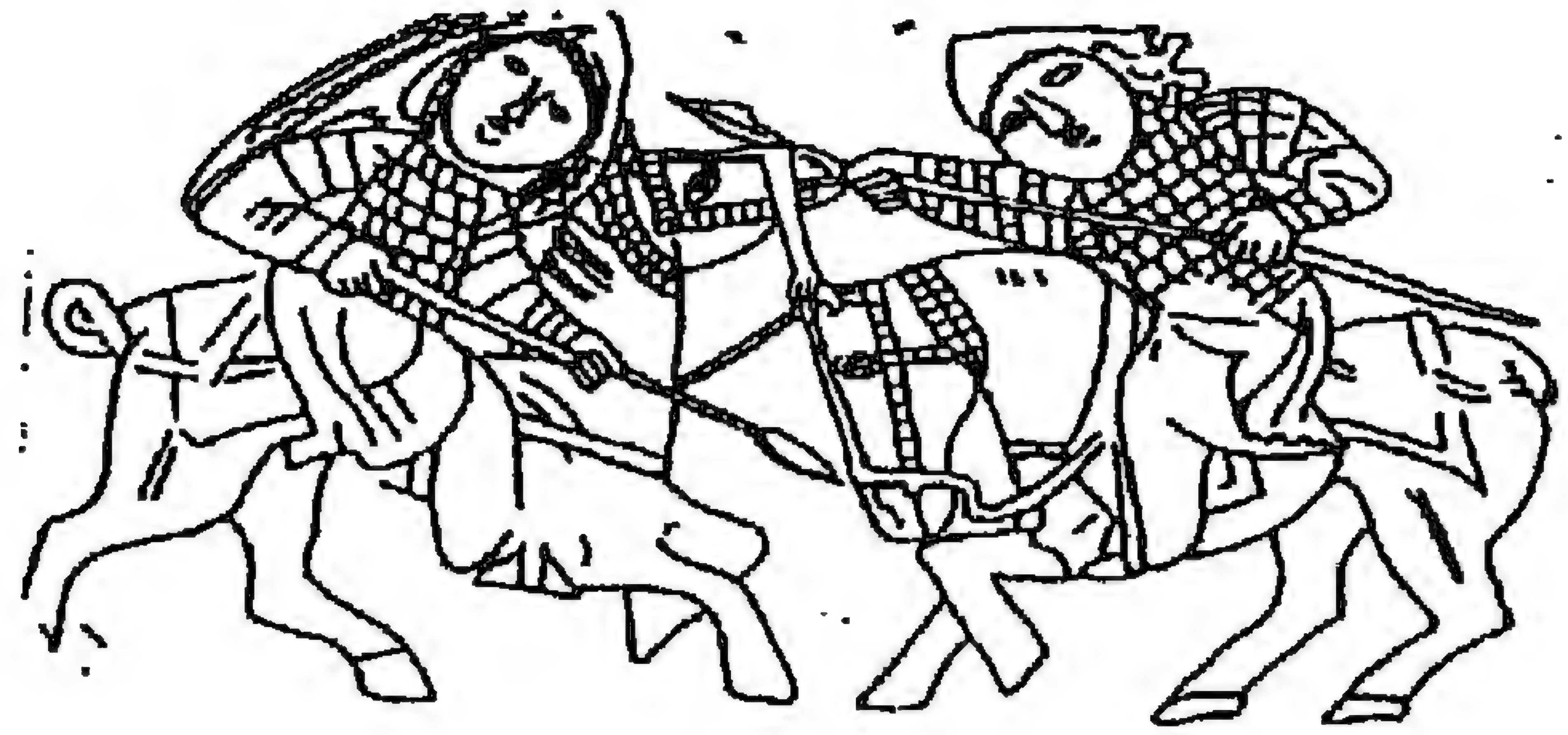

(شكل ١٠) رسم لنقش بالبارز على الجص، الري، ق ٦- ٧هـ، عن: Nicolle, D., fig. 5

جدير بالذكر أن أسلوب تشكيل هذه الدرع، يتشابه مع نماذج أخرى وصلتنا منفذة على الخزف الإيراني (الأشكال ١- ٤)، كما يُلحظ أن الرقائق المعدنية

---

(١) محفوظة في "Art Museum, Seattle"

(٢) صلاح حسين العبيدي، ص٢٠٥، ٢٠٦؛ وانظر، Nicolle, D., pl. 253, p. 252, fig. 5

-المشكلة للدرع- تأخذ هيئة مربعات متماسة، ومنتظمة في هيئة أفقية ورأسية، وهو أسلوب قد وجدناه في إحدى الدروع، التي ارتداها "بهرام جور"، وهو يصطاد (شكل ٦).

سوريا:

ظهرت الدروع على الفنون التطبيقية في سوريا ممثلة بصورة رئيسة على التحف الخزفية والمعدنية، ومن حسن الحظ أن ما وصلنا منها على المعادن فهو ثري ليس من ناحية العدد فحسب، بل وأيضًا في قيمته.

الخزف:

وصلنا تمثال[1] من الخزف المرسوم بالألوان المتعددة، يُنسب إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م؛ قوامه فارس محارب يمتطي صهوة جواده، متسلحًا بسيف وترس. ويرتدي هذا الفارس زيًا يتكون من قطعتين، أحداهما سفلي، يتميز بأنه طويل حيث يصل إلى منتصف ساقيه، كما أنه مشقوق أسفل منتصفه من الأمام، أما الرداء العلوي؛ فهو عبارة عن سترة قصيرة، محكمة حول بدنه (لوحة ٩)، ونظرًا لعدم اشتمالها على الأشكال الزخرفية الهندسية التي كانت تعبر عن الزرد أو عن الرقائق المعدنية، فمن المرجح أن هذه السترة من الجلد، وقد سبق أن عرفنا أن دروع المحاربين -خاصة الجوشن- لم تقتصر صناعتها على الحديد، بل كانت تصنع من مواد مختلفة كان من بينها الجلد.

وبالإضافة إلى ما سبق فما يجعلنا نرجح مطمئنين أن هذا الرداء العلوي يُعد نوعًا من الدروع، أن هذا الفارس المقاتل مدجج بالسلاح، سواء أكانت أسلحة هجومية، متمثلة في سيف يشهره بشماله، أم أسلحة دفاعية: تتمثل في ترس يقبض عليه بيمينه، وبالإضافة إلى ذلك فهو يرتدي من معدات الوقاية أيضًا

---

(١) محفوظ في متحف "دمشق". عنه انظر، Rice, D. T., p. 131, pl. 131; Nicolle, D., pl. 257, p. 252.

خوذة؛ ذات شكل مخروطي مقبب من أعلى، ومن هذه المعدات كذلك ما انتعله في قدمه، والمتمثل في حذاء ذي رقبة طويلة.

المعادن:

ظهرت الدروع على تحفة تُعد من أهم التحف المعدنية المنسوبة إلى سوريا، وهي طست[١] - يُعرف بمعمدانة سان لوي- من النحاس المكفت بالذهب والفضة، يُنسب إلى ما بين سنتي (٦٨٩- ٧١٠هـ)، عليه اسم صانعه بما نصه "عمل المعلم محمد ابن الزين"، "عمل ابن الزين". ويزين الشريط الرئيس حول بدن الطست، مناظر مختلفة كالصيد واقتياد أسير، نرى من بينها أمراء مع كبار رجال الدولة، يظهر من بيّنهم حامل البقجة "الجمدار"، وحامل عصا الجوكان "الجوكندار"، وحامل الكأس "الساقي دار"، وحامل السيف "السلحدار"، وحامل الدبوس "الجمقدار"، وحامل القوس "البندقدار"[٢]، ويقطع هذا الشريط أربع دوائر،

---

(١) محفوظ في متحف "اللوفر" بباريس. انظر، Migeon, G., L' Orient Musulman, Conservateur des Objets d' Art au Musée du Louvre, Armes, Sculpture, Bois, Lvoires, Bronzes et Cuivres, Tapis Tissus, Miniatures, pl. 71. ومن الجدير بالذكر أن هذه التحفة الرائعة لا تحتوي على ما يشير إلى تاريخ أو مكان صناعتها وقد نسبها بعض العلماء إلى بلاد الجزيرة. انظر، Migeon, G., Manuel d' Art Musulman, Arts Plastiques et Industriels, Tome. II, Paris, 1927, p. 62, Fig. 243. ونسبها البعض الآخر إلى مصر أو الشام. انظر، Blair, Sh., and Bloom, J., The Art and Architecture of Islam (1250- 1800), Yale University, 1994, p. 99, pl. 127. بينما هناك من نسبها إلى إيران أو إلىّ بلاد الشام. انظر، زكي محمد حسن، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٦م، شكل ٤٨٣، ٤٨٤. كما أكد البعض الآخر على أنها "عمل مصري". رايس، د. ت. الفن الإسلامي، ترجمة، منير صلاح الأصبحي، دمشق، ١٩٧٧م، ص ١٥١.

(٢) ترتبط هذه الوظائف بالأدوات التي يحملونها، ولما كان معظمهم من العسكريين أو حملة الأسلحة، فسوف يتم دراستها بشيء من التفصيل في دراستنا الموسعة عن الأسلحة الهجومية.

بها مناظر صيد بالقوس، والرمح.

كما يُزين الشريط الرئيس الذي يزن الطست من الداخل مناظر قتال، أو صيد، تقطعها أربع دوائر[1]، يظهر في اثنتين منها: حاكم متوج يجلس على عرشه، وعلى جانبيه اثنان من كبار رجال البلاط، أحدهما حامل الدواة "الدوادار"، والآخر حامل السيف "السلاحدار".

وما يعنينا بالطبع في هذه المناظر، تلك الملابس التي يرتديها هؤلاء الأشخاص، وحين تناولت "اسن أتيل" هذا الطست بالدراسة، أشارت عرضًا إلى ملابس الأربعة أشخاص في الجامات التي تقطع الشريط الخارجي، وذكرت أن اثنين منهم يرتديان القبعة والعباءة، والآخرين يرتديان ملابس فاخرة؛ قوامها عمامة، قباء، وحذاء ذو رقبة طويلة[2]. والحق أننا في موضع يجعلنا في حل من تناول غناء وفخامة تفاصيل ملابس الأشخاص المنفذين على هذا الطست؛ سواء تلك التي في الشريط الخارجي، أو التي بالشريط الداخلي، وما يخصنا بشأنها، نطرحه في تساؤل بسيط مفاده هل بعض هؤلاء الأشخاص يرتدون دروعًا؟

إن المدقق في ملابس الأشخاص بالشريط الخارجي، يلمس نوعين من الملابس، أولهما: قوامه أقبية واسعة تصل إلى منتصف الساق (لوحة ١٠، شكل ١١ أ)، أما ثانيهما: فالملابس فيها تتميز بأنها محكمة على البدن، وقوامها سترة للنصف العلوي من البدن، من أسفلها منطقتان طوليتان حول الفخذين، تصلان إلى الركبتين، ثم حذاء ذو رقبة طويلة، ومن المرجح أن هذا النوع الثاني من الملابس، قُصد به تمثيل الدروع.

ويمكننا أن نتبين ذلك من خلال المقارنة بين كلا النوعين من الملابس، ونأخذ على ذلك مثلين، أولهما: منظر يمثل "جمدار"، بجوار "جمقدار"، (لوحة ١١، شكل

---

(١) انظر، Atil, E., Art of the Mamluks, Washington,1981, p. pl.79

(٢) راجع، Atil, E., Art of the Mamluks, p. 77

١١ ب)، فالجمدار يرتدي نوعًا صريحًا من الأقبية، أي من النوع الأول، أما "الجمقدار" فملابسه تختلف عنها تمامًا، وهي ما نرجح أنها تمثل دروعًا، أي من النوع الثاني.

أما المثل الثاني، فيتضح من خلال مقارنة ملابس "الأمير" مع ملابس "الجمدار" (لوحة ١٢، شكل ١١ جـ)، فبينما ملابس "الجمدار" هي قباء -كما سبق القول- فإن ملابس الأمير كملابس "الجقمدار"، أي أنها من النوع الثاني، الذي يُرجح أنه يمثل الدروع. وبالإضافة إلى المثلين السابقين، فيُلاحظ أن ملابس الأشخاص -بنفس هذا الشريط- الذين يصطادون بالفهود والكلاب[١]، يرتدون ملابس من نفس النوع الثاني؛ الذي يُرجح أنه يُمثل الدروع. وفي هذا الصدد علينا أن نتذكر ما سبقت الإشارة إليه، من أنه كان ينبغي على الصائدين أن يرتدوا دروعًا أثناء صيدهم، تحسبًا لأن يهجم عليهم بعض الحيوانات المفترسة.

وحين ننتقل إلى ملابس الأشخاص المنفذين في الشريط الداخلي بالطست، نجد أيضًا نوعين من الملابس، أولهما: يرتديه معظم الأشخاص؛ وقوامه الأقبية، أما الثاني: فظهر يرتديه فارس محارب رامي قوس[٢]، وهو يختلف تمام الاختلاف عن الأقبية، وقوامه درع على هيئة قميص طويل يمتد من أسفل الرقبة حتى أسفل الركبتين، يلاحظ أنه مكون من جزءين رأسيين طويلين، كل منهما مقسم إلى مناطق عرضية مستطيلة، وفيما بينها مربعات رابطة (شكل ١١ د).

---

(١) انظر، زكي محمد حسن، أطلس الفنون، شكل ٤٨٤.

(٢) انظر، Migeon, G., L' Orient Musulman, pl. 71; Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 79

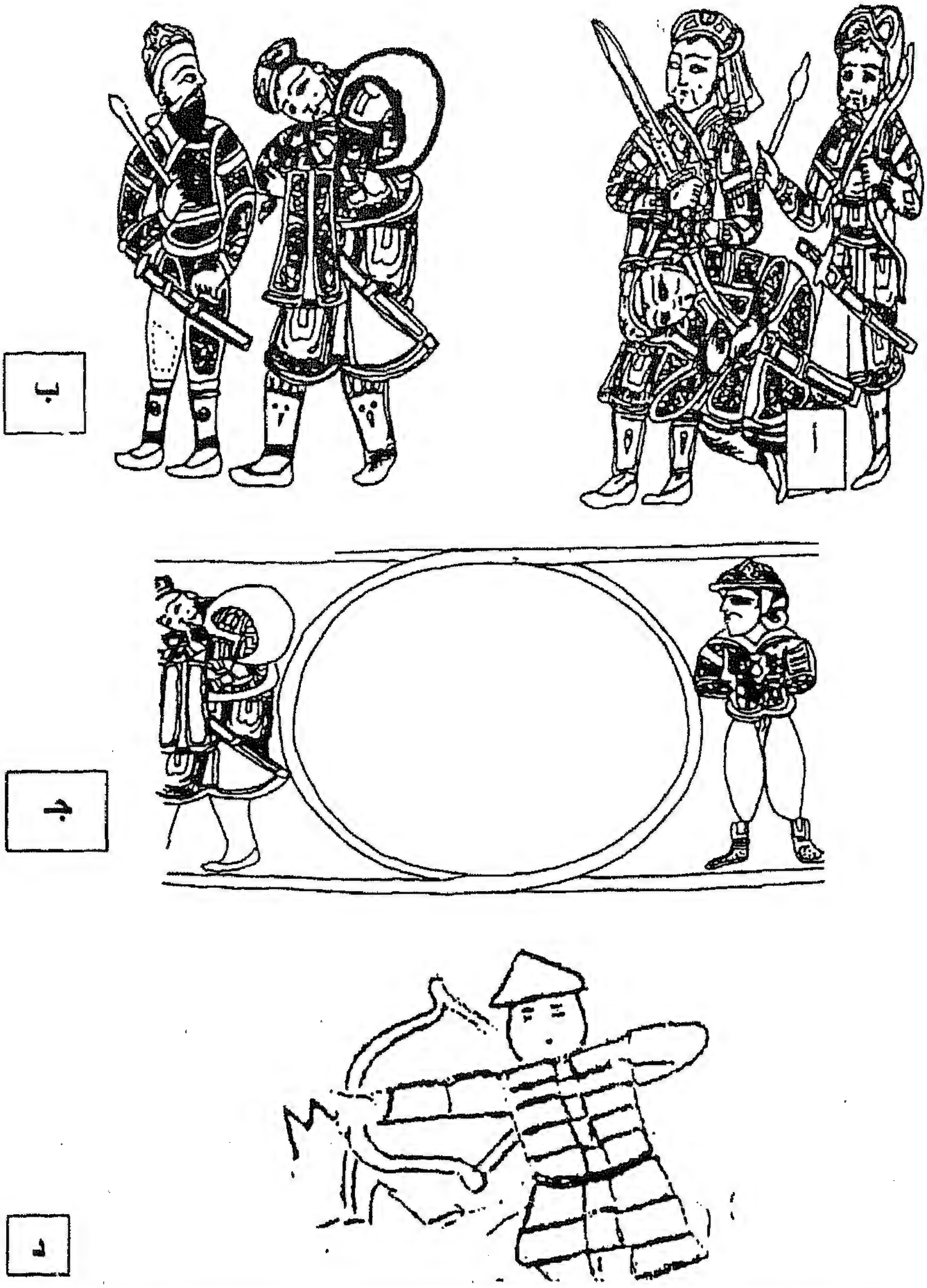

(شكل ١١ أ، ب، جـ، د) رسوم على طست من النحاس "معمادنة سان لويس"، سوريا ٦٨٩- ٧١٠هـ، بمتحف اللوفر، عمل الباحث، شكل أ، انظر: Blair, Sh., and Bloom, J., The Art and Architecture, pl. 127، الأشكال ب، جـ، د. انظر: Atil, E., The Art of Mamluks, pl. pp. 77, 79

وينسب إلى سوريا في القرن السابع الهجري/ ١٣م، زمزمية[١] من النحاس المكفت بالفضة، تكوينها العام عبارة عن جزء كروي الشكل، يحيط به جدار دائري في الأجناب، وفي الخلف جزء مسطح، يحتوي على شريطين، الداخلي منهما -وهو ما يعنينا- قوام زخرفته تسعة من الفرسان، في معركة أو مناورة حربية؛ وهم ما بين ممسك حربة، أو رامي سهم قوسه، أو حامل راية (لوحة ١٣).

ولهذه التحفة أهمية خاصة بالنسبة للدراسة، إذ أنها النموذج الأكمل -وربما الوحيد- الذي بين أيدينا، متضمنًا تمثيلاً لدروع الخيل[٢]، فمن بين التسعة خيول المنفذة عليها، هناك ثلاثة على أبدانها دروع لا شك فيها، تتميز بأنها تكاد تغطي كامل بدن هذه الخيول، واصلة إلى ما يقرب من حوافرها، ومجرد مقارنتها مع كسوات الخيول الأخرى يتضح صحة ما ذهبنا إليه، فالستة خيول الأخرى، على أربعة منها سروج من أسفل كل منها "لبد"، أما الاثنان الباقيان، فقد تميزا بكسوات أو عباءات تغطي مؤخرة ظهر الفرس وكفله، ويلاحظ وجود كسوة تغطي الجزء العلوي من رقبة كل منهما[٣].

ومن حسن الحظ أن الدروع الثلاثة المنوه إليها عاليه، واضحة المعالم، غنية الزخرفة، وبيان كل منها كما يلي:

---

(١) محفوظة في "Freer Gallery" بواشنطن. عنها انظر، Atil, E., Art of the Arab World, Freer Gallery of Art, Washington, 1975 p. 71؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص. ص١٦٠- ١٦٣.

(٢) جدير بالذكر أن بعض الخيول المنفذة على الخزف الإسلامي، قد احتوت على كسوات لها، غير أن هيئتها وزخارفها لا تتوافق مع الطبيعة الدفاعية التي يعالجها البحث هنا. ولمزيد من التفاصيل عنها. راجع، عبد الناصر ياسين، مناظر الفروسية، تحت النشر.

(٣) ولعلها ما يوصف بـ "الأرقاب الزركش". عنها راجع، نبيل عبد العزيز، الخيل ورياضتها، ص١٦٠.

الدرع الأول:

عليه زخرفة قوامها مساحات مستطيلة الشكل، تتقابل في أوضاع رأسية وأفقية، عدا منطقة رقبة الحصان، فالزخرفة فيها عبارة عن لفائف حلزونية بسيطة، أما منطقة الرأس فملبس بها وجه مزخرف بخطوط طولية (لوحة ١٤، شكل ١٢ أ).

الدرع الثاني:

قوام الزخرفة فيه خطوط زجزاجية، تنتهي من أعلى بشريط أفقي عريض، تضمن في الجزء الخلفي صف أفقي من الدوائر الصغيرة بينما تضمن في الجزء الأمامي خطوط أفقية رفيعة، أما رقبة الحصان، فيشغلها منطقة مكونة من أشكال أقرب إلى هيئة المثلثات، في صفين، العلوي منهما قاعدتها من أعلى، والسفلي قاعدتها من أسفل (لوحة ١٥، شكل ١٢ ب).

الدرع الثالث:

زخارفه نباتية، قوامها أفرع نباتية ملتفة، تنتهي بأشكال مراوح وأنصاف مراوح نخيلية، ويوجد في الجزء السفلي بالنصف الخلفي من الدرع، شريط أفقي عريض مزخرف بأشكال دائرية صغيرة (لوحة ١٦، شكل ١٢ جـ).

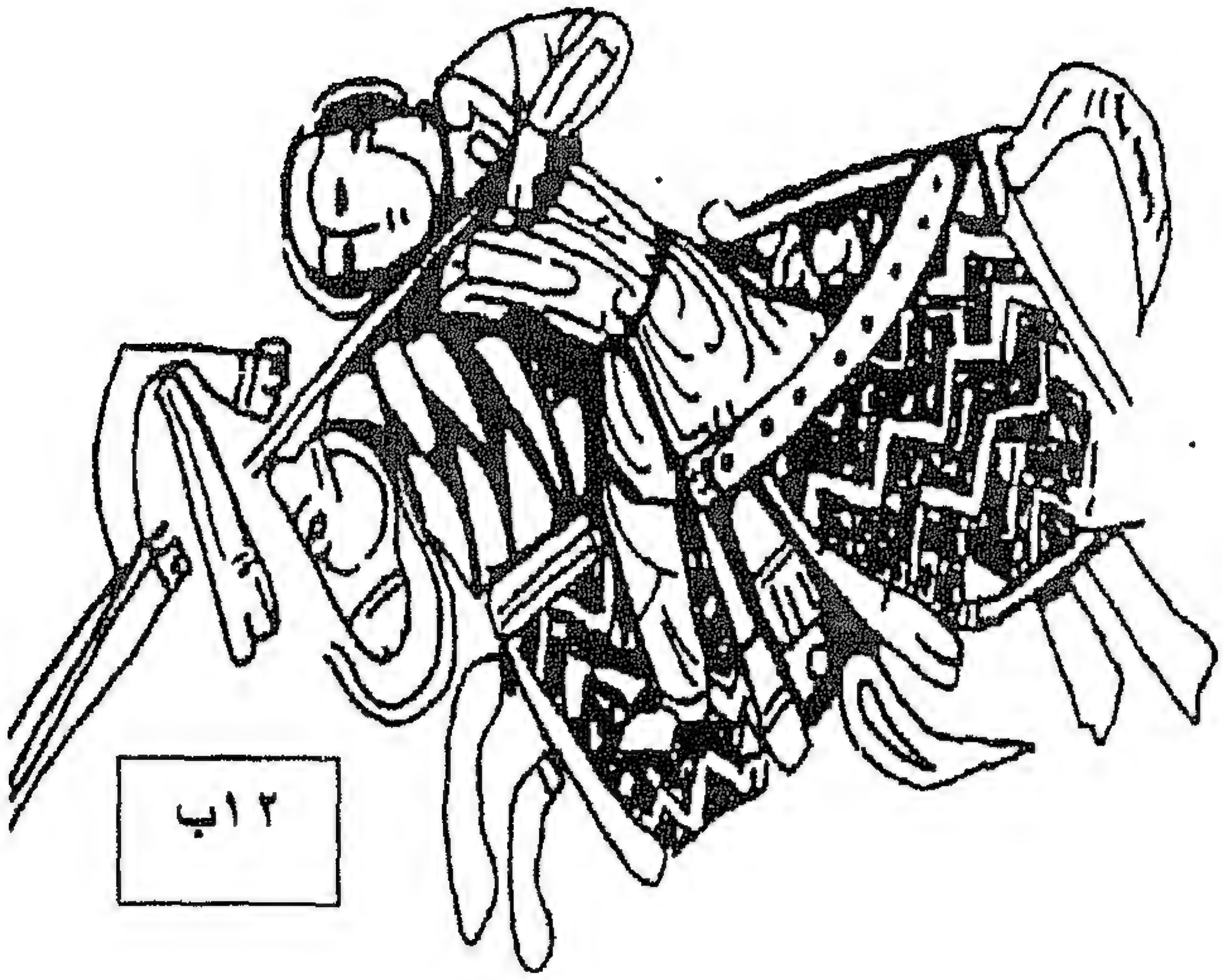

١٢ب

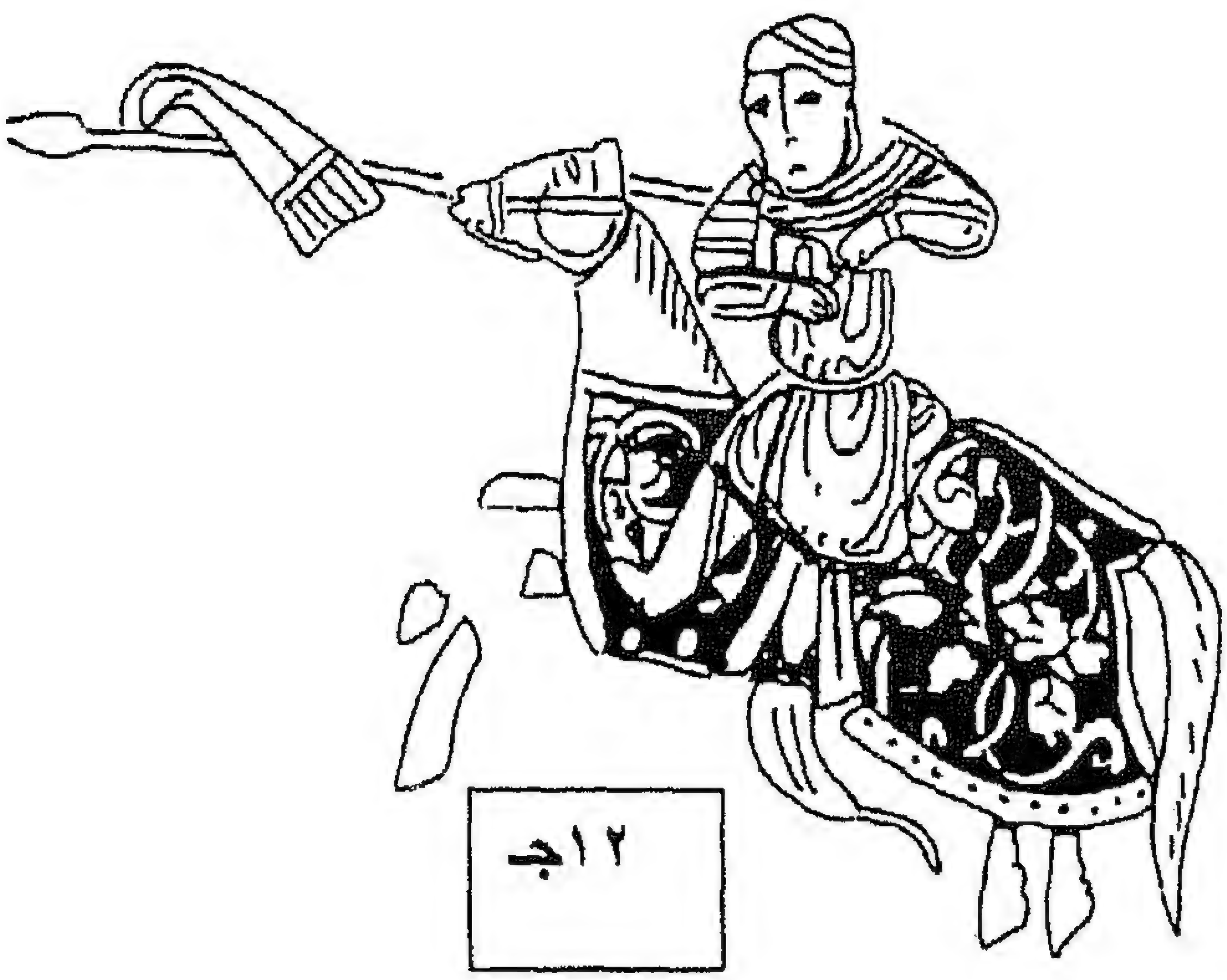

١٢جـ

(الأشكال ١٢ أ، ب، جـ) رسوم على زمزمية من النحاس، سوريا، ق ٧هـ، بمجموعة فرير، عمل الباحث، انظر: Atil, E., Art of the Arab World, pl. p. 70.

العراق:

رغم توافر أنواع مختلفة من الأسلحة المنفذة على الفنون العراقية، فلم يصلنا من الدروع غير ما هو ممثل على تحفة من المعدن، وهي عبارة عن مقلمة مكفتة[١]؛ تُنسب إلى بلاد الجزيرة في أوائل القرن السابع الهجري/ ١٣م، يظهر عليها منظر حربي نرى من بينه محارب مترجل مدجج بالسلاح، فهو يقبض بيمينه على سيف مستل، ويرتدي درعًا كاملاً؛ قوامه قميص زرد طويل "زردية مسبلة"، مكون من حلقات الزرد، وقلنسوة يظهر من أسفلها مغفرًا، يغطي الأذنين والرقبة، بحيث لا يظهر من هذا المحارب سوى وجهه (شكل ١٣).

(شكل ١٣) رسم على مقلمة معدنية، بلاد الجزيرة، ق ٧هـ، بالمتحف البريطاني، عن: Nicolle, D., fig. 10

(١) محفوظة في المتحف "البريطاني" بلندن. انظر، Nicolle, D., pl. 258, p. 252, fig. 10

الأناضول:

وصلنا نقش بارز[1] من قونية يرجع إلى القرن السابع الهجري/ ١٣م، في عهد سلاجقة الروم، قوامه محاربان مترجلان مدججان بالسلاح، فيقبض كل منهما بيمينه على سيف، كما أن أحدهما -الأيمن- يقبض بشماله على مقبض ترس (شكل ١٤). وبالإضافة إلى ذلك فيرتدي كل منهما درعًا قصيرًا "جوشن"، ذا كُمين قصيرين، وهو مكون من رقائق مستطيلة الشكل، كما يضع كل محارب على رأسه خوذة مخروطية بأسفلها "مغفر".

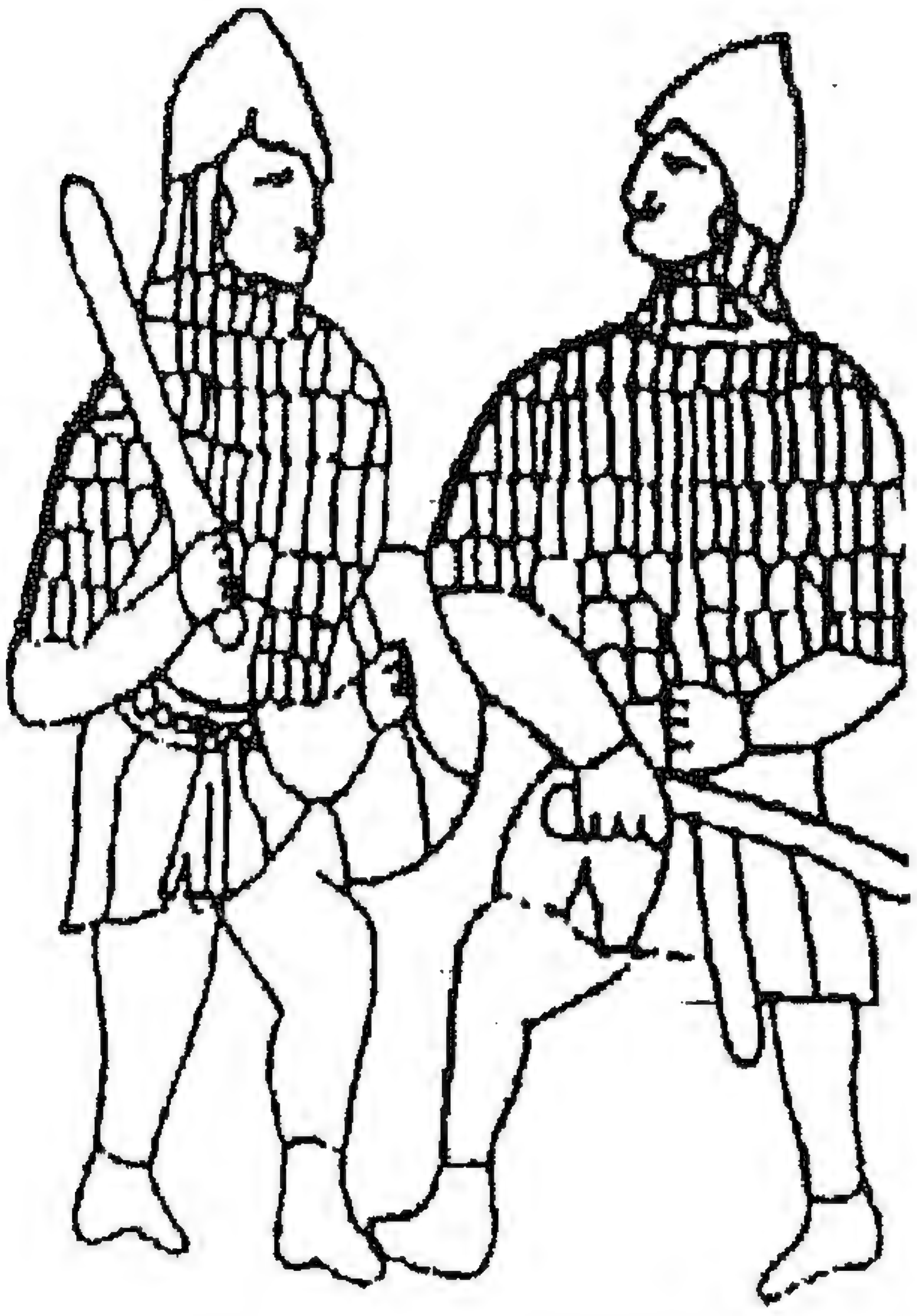

(شكل ١٤) رسم لنقش بالبارز، قونية، ق ٧هـ، بمتحف الفن التركي باستانبول، عن: Nicolle, D., fig. 22

(١) محفوظ في متحف "الفن التركي" باستانبول. انظر Nicolle, D., pl. 22, p. 253, fig. 22

المغرب:

على الرغم من أنه وصلنا من بلاد المغرب الإسلامي -على الخزف خاصة- بعض موضوعات صيد، وأخرى ذات طابع حربي، فيندر أن نجد من بينها ما يمثل الدروع تمثيلاً لا شك فيه، غير أنه وصلنا منظر منفذ على كسرة من الخزف، لفارس محارب ربما يرتدى ما يُعبر عن الدرع!

وهذا المنظر منفذ على كسرة[١] من الخزف المرسوم بألوان متعددة تحت الطلاء، يُنسب إلى القرن الرابع أو الخامس للهجرة/ ١٠- ١١م، ونرى على هذه الكسرة فارسًا يمتطي صهوة جواده، متسلحًا برمح، متحصنًا بترس، ويرتدي هذا الفارس قميصًا قصيرًا من أسفله سروال، ويتميز هذا القميص بأنه محكم على البدن، ومزين بأشكال تشبه المعينات، كما أن الفرس الذي يمتطيه الفارس، مزخرف أيضًا بنفس أشكال هذه المعينات (لوحة ١٧، شكل ١٥).

وعلى الرغم من أن الموضوع حربي الطابع، والحربة والترس في يدي الفارس، تجعلنا نرجح أن السترة العلوية التي يرتديها ربما تكون نوعًا من الدروع "جوشن"، فيجب الإقرار بصعوبة الجزم في هذا الأمر، كصعوبة الاعتقاد أيضًا، بأن ما على الفرس هو أيضًا نوع من دروع الخيل، إذ من الوارد أن تكون كذلك ليست إلاّ تعبيرًا عن الكسوات أو العباءات، التي كانت تُغطي أبدان الخيول!

---

(١) محفوظة في متحف "بناكي" بأثينا، عنها انظر، Philon, H., Early Islamic Ceramics, Ninth to Twelfth Centuries, vol. I, Museum Athens, Islamic Art Publication, 1980, vol. I, pl. VI, A

(شكل ١٥) رسم على كسرة من الفخار، شمال أفريقيا، ق ٤- ٥هـ، عمل الباحث، انظر: Philon, H., pl. IV A

الأندلس:

وصلتنا عدة تصاوير(١)، كانت تُزين جدران قاعة أحد منازل "البرطل" في الحمراء(٢) بغرناطة، وهي تُنسب إلى القرن الثامن الهجري/ ١٤م. وقد احتوت هذه التصاوير -التي أصابها كثير من التلف- على موضوعات شتى، تُمثل مناظر من الحياة العامة، والاحتفالات، ومشاهد الصيد، ومشاهد الحرب، وعودة فرقة من الفرسان إلى معسكراتها، هذا بالإضافة إلى رسوم تُمثل جماعات من الرجال والنساء على ظهور الخيل والإبل، ومجموعة من الفرسان يتقدمهم بعض الأسرى

---

(١) محفوظة حاليًا في متحف الحمراء.

(٢) سميت كذلك لأن اللون الأحمر كان يكسو جدرانها. فون شاك، الفن العربي في أسبانيا والأندلس، ترجمة، الطاهر أحمد مكي، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٥٣. أما لفظ البرطل؛ فهو يُطلق على مجموعة من مباني قصر الحمراء، شرقي بهو السباع، وهي تتكون من برج السيدات، الذي يُلاصقه عدة منازل صغيرة من الجهة الغربية، احتوى المنزل الأول منها على رسوم جدارية. عبد الرحمن زكي، غرناطة وآثارها الفاتنة، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٢٧٦، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.

المقيدين بالأغلال، وقطعان من البقر مع حراسها وغير ذلك[١]. وما تبقى من هذه الموضوعات المصورة، فهي تُزين الجدار الشرقي والغربي من الحجرة، وقد رُسمت هذه الموضوعات بكل جدار في أربعة أشرطة، الشريط العلوي: يتضمن مناظر الصيد، وفي الشريطين الثاني والثالث: رسم الخيام والجنود والأسرى والماشية، وفي الشريط الرابع: رسم لمناظر الطرب[٢].

ويعنينا من أمر هذه التصاوير -مؤقتًا[٣]- أن بعض الجنود الفرسان يرتدون دروعًا من الزرد، ومما يُلاحظ أن هذه الدروع، أقرب في هيئتها إلى شكل الجواشن (شكل ١٦ أ)، كما يُغطي هؤلاء الفرسان رءوسهم بخوذات أو بيض بأسفلها مغافر (لوحة ١٨)، أو صفائح تتدلى على القفا[٤] (لوحة ١٩، شكل ١٦ ب)، والبعض الآخر منها عبارة عن خوذة أو بيضة فقط (شكل ١٦ جـ).

الجدير بالذكر أن "ابن الخطيب" ذكر عن الجنود الأندلسيين، قائلاً: "وزيهم في القديم شبه زي أقتالهم[٥] وأضدادهم من جيرانهم الفرنج إسباغ الدروع وتعليق الترسة وحفا البيضات،... ثم عدلوا الآن عن هذا الذي ذكرنا إلى الجواشن المختصرة، والبيض المرهفات"[٦]. وبتحقيق هذا النص مع ما سبق ذكره عن

---

(١) راجع، ثروت عكاشة، التصوير الإسلامي (الديني والعربي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧مص ٤١٦.

(٢) جمال محرز، التصوير الإسلامي في الأندلس وعلاقته بالتصوير المصري، دراسات في آثار الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٣٢٢، ٣٢٣. وعن التصاوير الجدارية بالبرطل. انظر، Perez, Hejuari, T., Objetos e Imagenes de Al- Andalus, Espana, 1994, pl. p. 69

(٣) وذلك لأننا سنتناولها مرة أخرى عند دراسة التروس.

(٤) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية في "البرطل" بالحمراء، مدريد، ١٩٥١م،ص٣٤؛ وانظر، ثروت عكاشة، لوحة ٢٦٤.

(٥) المقصود هنا الذين يقاتلونهم.

(٦) ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٣٦.

الخوذ والدروع في رسوم البرطل، يتضح توافق ما ذكره "ابن الخطيب" منها، خاصة فيما يتعلق بالجواشن، والخوذ، فمن الواضح أن الدروع ليست من "سابغات الدروع"، بل هي قصيرة كالجواشن، أما فيما يتعلق بالخوذ، فيذكر "جمال محرز" أنه على الرغم من أنها من الحديد، فهي من النوع الخفيف[1].

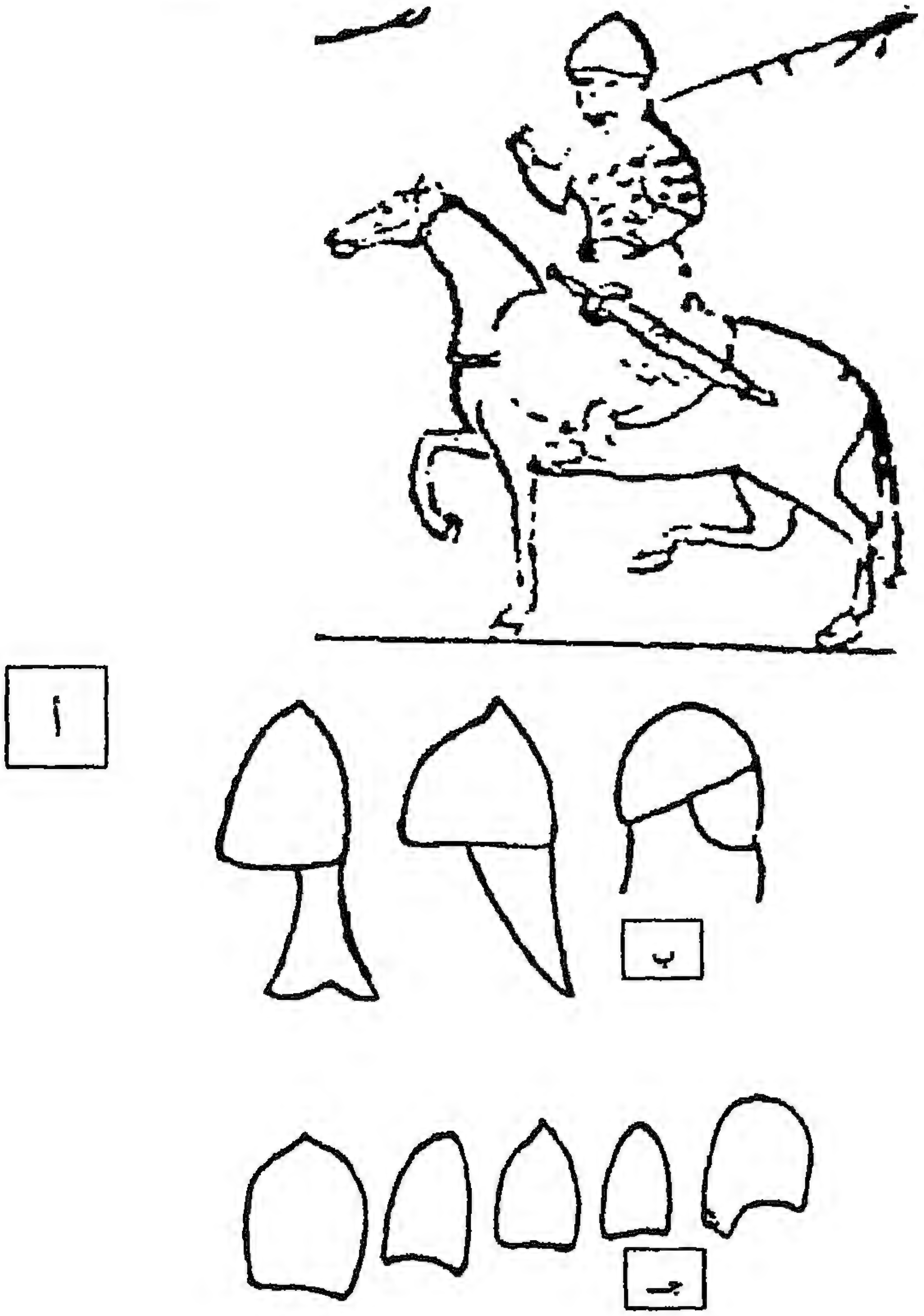

(شكل ١٦ أ، ب، جـ) رسوم جدارية من البرطل بالحمراء، عصر بني نصر، عن: محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، الشكلان ١٦، ١٧.

---

(١) راجع، جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص٤٠.

المبحث الثاني

التُـــــرس

الفصل الأول

أسماء التُرُوس وصفاتها

عبر العصور الإسلامية

قال ابن منظور: التُّرْس من السلاح: المُتَوَقَّي بها، معروف، وجمعه أَتْراسٌ وتِراسٌ وتِرَسَةٌ وتُروسٌ؛ وأنشد قول الراجز:

كأَنَّ شَمْسًا نازَعَتْ شُموسا   دُروعَنا، والبَيْضَ والتُّروسا

وكل شيء تَتَرَّسْتَ به، فهو مِتْرَسَةٌ لك. ورجل تارِسٌ: ذو تُرْسٍ، ورجل تَرَّاسٌ: صاحب تُرْسٍ. والتَّتَرُّسُ: التَّسَتُّرُ بالتُّرْسِ، وكذلك التَّتْريس. وتَتَرَّس بالتُّرْسِ: تَوَقَّى[1].

والتروس عبارة عن آلات كان يستعملها المحاربون عادة -سواءً كانوا فرسانًا أو مترجلين- ليقوا أنفسهم من الضرب والرمي على الوجه، قال "الطرسوسي" (ت ٥٨٩هـ): الترس "هي الجنّة الواقية والسترة لمن باشر الحرب الكافية، بها يُردّ شرّ السيوف والرماح وتُكفى عادة كل سلاح، ..."[2]، كالسهام وجميع ما يضرب بها من آلات الأضرار[3].

وتُصنع التروس من مواد مختلفة كالحديد، والفولاذ، والخشب، والجلد، والخيزران[4]، وقد نصت بعض المصادر المتخصصة على أنه من الأجدر للمحارب أن يكون عنده ترس من كل مادة من هذه المواد، وذلك إن قدر على شرائها[5].

ولعل تفضيل أن يملك المحارب ترسًا من حديد وآخر من جلد وثالث من خشب، يرجع إلى أن كل مادة من هذه المواد صالحة للوقاية من أضرار بعينها، فقد ذكر ابن منكلي أن التروس المصنوعة الخشب نافعة لرد النشاب والرماح، والتروس المصنوعة من الجلد نافعة لرد الحجارة والعُمد وضرب الخشب،

---

(١) ابن منظور، مج ٦، ص٣٨.

(٢) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٤٥.

(٣) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٤٨.

(٤) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٣٩؛ وانظر، القلقشندي، جـ ٢، ص١٥٢.

(٥) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٦٤.

والتروس المصنوعة من الحديد نافعة عند ناضحة النار وعند كل سلاح[1].

وللتروس -كما سنتناول بالتفصيل فيما بعد- أسماء وصفات عديدة، كما أن لها أشكالاً متباينة؛ فمن أشكالها كما ذكر "الطرسوسي": المدور اللطيف، والواسع التدوير، ومنها المستطيل في تدويره المستحسن التقدير[2]، ومنها كما ذكر "ابن منكلي": المسطح، ومنها: المستطيل، ومنها: المستدير الأعلى المُخصر الوسط، ومنها: المقبب المنحني الأطراف إلى الخارج[3]، كما ذكر "الإقصرائي"، عن أشكالها: "فمنها المسطح، ومنها المستدير الأملس، ومنها المستطيل، ومنها المستدير الأعلى المخصر الوسط مما يلي أعلاه، ومنها المقبب المنحني الأطراف إلى الخارج، ومنها الدرق، ومنها الكبار التي للحصارات تسمى جنويات، ونوع آخر يُسمى جفاتي"[4].

وإذا كان للمواد التي تُصنع منها التروس دور في رد أضرار بعينها، فإن لأشكال التروس دور أيضًا في رد أخطار بذاتها، وقيل في ذلك: "كل منها مستجاد في فنه، ونافع فيما يراد من ستره وكنّه"[5]، فالترس المقبب المنحني الأطراف إلى الخارج: يصلح لتلقي السهام، والحجارة، والسيف، ولكنه لا يصلح لتلقي طعنة الرمح، حيث إنه إذا طُعن ثَبَتْ الرمح في كعبته وصرع صاحبه إذا نفذ، أو طرحه عن فرسه إن لم ينفذ منه. أما الترس المسطح، فيصلح لتلقي الرمح، والسهم، والسيف، ولا يُتلقى به الحجارة. والترس المستوي المبسوط الأطراف، الذي فيه

---

(١) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٥٢.

(٢) الطرسوسي (مرضي بن علي)، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق، كلود كاهن، بيروت، ١٩٤٨م، ص١٢؛ تحقيق، كارين صادر، ١٤٦، ١٤٧.

(٣) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٤٨؛ وراجع له كذلك، التدبيرات السلطانية، ص٣٣٩.

(٤) الإقصرائي، جـ ١، ص٣٥١. وعن أصناف التروس. راجع كذلك، الحسن بن عبد الله، ص١٦١.

(٥) الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص١٢؛ تحقيق كارين صادر، ص١٤٧.

تقبيب قليلاً: فإنه يصلح لتلقي جميع أنواع الأسلحة. أما الترس المستطيل أو المستطال: فيُتلقى به السهم لأن رأسه يستر رأس الفارس، وطوله يقيه، لأنه ينظر بإحدى عينيه من التخصير ولا يكشف رأسه[١]، كما يُتلقى به كذلك الرمح والسيف لأنه يستر رأسه ورجليه أيضًا[٢].

جدير بالذكر أن المتخصصين في الفنون الحربية قد أسهبوا شارحين ما ينبغي على المحارب من خطوات للتترس من أنواع الأسلحة المختلفة، كالسيف، والرمح، والحجارة، والعمود، والسهام[٣]، وأوصوا -بوجه عام- أنه ينبغي على المحارب أن يكون ترسه أمام وجهه، احترازًا من السهام، فإذا التحم بغريمه فيكون طعنه بالسيف[٤].

ومما يجب أن يُؤخذ في عين الاعتبار أن التروس لا تستعمل لصد خطر الأسلحة الهجومية فحسب، بل كانت تستعمل كذلك للدفاع عن النفس من خطر هجوم الحيوانات المتوحشة أثناء الصيد، وقد وصلنا ما يفيد أنه على الصائد المترجل؛ إذا أراد أن يدنو من السبع بمفرده، فعليه أن يرتدي ملابس ذات مواصفات خاصة، "وأن يتخذ ترسًا عظيمًا من جلود على هيئة نصف تنور[٥]، ...

---

(١) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص. ٤٧، ٤٨؛ الحسن بن عبد الله، ص١٦١.

(٢) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٣٩. وللاستزادة عما يدفع كل نوع من التروس لأنواع الأسلحة المختلفة، راجع، الإقصرائي، جـ ١، ص٣٥١، ٣٥٢. وعن كيفية التترس (بالتراس) من الأسلحة المختلفة، انظر، ص٣٥٤ من نفس المصدر والجزء. وراجع أيضًا، عبد العزيز محمود عبد الدايم، ص. ص٤- ٧.

(٣) أرى أنه لا حاجة لنا إلى التطرق لهذه الأساليب، ما لم يكن هناك ضرورة تحتم ذلك. ولمزيد عن معرفة تفاصيلها. راجع، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٤٨، ٤٩؛ ابن هذيل الأندلسي، ص٧٨.

(٤) انظر، محمد مصطفى نجيب، ح ١٤٨، ص٥٤.

(٥) التنور: تجويفة اسطوانية الشكل. الإقصرائي، جـ ١، ح ٦، ص٣٨٣.

وأن يتخذه من حديد كان أمكن"[١].

الجدير بالذكر أن حرفة "التَّرَّاس" -صانع التروس، وهي التِّراسَة- تُعد من الحرف شهيرة الذكر في نصوص البرديات العربية، ويشير أحد الباحثين إلى أنه اتضح من خلال هذه النصوص أن هذه الحرفة، كانت منتشرة بين العرب وبين أهل الذمة في مصر والشام، وأن ذلك ربما كان بسبب اختلاطهم بالبيزنطيين قبل الفتح الإسلامي، فأخذوا عنهم فنون هذه الحرفة التي تطورت مع مرور الزمن[٢]. غير أنه ينبغي أن يؤخذ في عين الاعتبار أن التراسة كانت من الصناعات المتقدمة في كثير من الدول الإسلامية، ولدينا إشارة تفيد أنه كان لكل بلد منها طراز خاص، فمنها: الدمشقي، والبغدادي والغرناطي، وأنه كانت تُنقش على هذه التراس الآيات القرآنية والحكم، كما كانت تُزين بالرسوم المختلفة والرنوك[٣].

وقد أشار "الطرسوسي" إلى تفنن الأمم المختلفة في صناعة هذه التروس، حيث قال: "وقد انفردت كلّ أمّة بفنّ استعملوه وجعلوه الوقاية لهم في حين الحرب من عدوهم، واتّخذوه لذلك واعتدوه. فمنهم من استعملها من الحديد، ومنهم من جعلها من الخشب والعقب الشديد، ومنهم من كساها الخشب الكيمَخت[٤] المختار، ومنهم من كساها الجلود، وغلاها بالدهن والأصباغ، ومنهم من استعملها من جلود الزراف واستغنى بها عن الخشب المدهون، ومنهم من اتّخذها من جلود اللمط[٥] وما شاكل هذه الفنون، ومنهم من ركبها من قضبان ولف عليها القطن

---

(١) الإقصرائي، جـ ١، ص٣٨٣؛ نبيل عبد العزيز، ص١٠٩.

(٢) سعيد مغاوري، الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، مج١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٧٧.

(٣) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ح٤٦، ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٤) الكيمخت: كلمة فارسية تعني نوعًا من أنواع الجلود.

(٥) منسوبة إلى لَمَطَة، وهي أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البر الأعظم يُقال للأرض والقبيلة معًا لمطة، وإليهم تُنسب الدَّرَقُ اللمطية، قيل: إنهم كانوا يصطادون الوحش وينقعون =

المعزول، ومنهم من جعلها من الخشب المكشوف واستكفى بها في الحروب. فمن ذلك ما يقي ويمنع ومنه ما لا يغني ولا ينفع إلاّ من البادرة اليسيرة والضربة الحقيرة"[١].

ومما يجدر ذكره أن التروس تُقسم -بصفة عامة- من حيث الحجم إلى ثلاثة أنواع، أولاها: وهي أكبرها أو أعظمها حجمًا وهي التي كان يستخدمها الرجالة المتقدمين. وثانيها: أصغرها مقدارًا وهي تروس أصحاب الجواشن من الفرسان. وثالثها: ذات الحجم الأوسط من التروس؛ وهي لمن دونهما في الموقف، وفي حكايته السلاح[٢].

كما لا يفوتنا الإشارة إلى أنه على الرغم من أن المسلمين قد استعملوا تروسًا ذات أشكال مختلفة فإن التروس الإسلامية، تميزت بصفة عامة بأنها مستديرة الشكل، تحيطها حافة، ولها مقبض[٣] أفقي من الداخل، وعليها من الخارج بعض النهود القليلة[٤].

وسوف نتناول حاليًا أهم ما توصلنا إليه من أسماء التروس وصفاتها عبر

= جلوده في اللبن الحليب سنة كاملة ثم يتخذون منها الدرق فإذا ضربت بالسيف القاطع نبا عنها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت، جـ ٥، ص٢٣.

(١) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٤٧.

(٢) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٢٩٦. ويُقصد بعبارة "وفي حكايته للسلاح" أي أن هذا الحجم من التروس، يفعل مثلما يفعل السلاح. راجع، ح٣، ص٢٩٦ من المصدر نفسه.

(٣) يسمى مقبض الترس "صِنَارَةً". النويري، السفر السادس، ص٢٤٠. وكان مقبض الترس يتخذ شكل سير من جلد، أو قضيب من خشب أو معدن، وهو أفضلها لوجوب أن يكون المقبض صلبًا، وكان المحارب يقبض عليه بكفه اليسرى عند استعماله للترس، وقد يُزود المقبض برفادة -أي دعامة- أو حشو يكون بين كف الساعد وحديدة المقبض، حيث كانت تساعد على إحكام القبض على المقبض، وتفادي احتكاك الكف به. حسين عليوه، السلاح المعدني، ص٤١٠.

(٤) ماير، ص٨٦.

العصور الإسلامية، مستهلين ذلك بعدة أبيات ورد فيها ذكر للفظ الترس تحديداً، حيث قال الأخطل (١٩- ٩٠هـ)(١):

وتَرَى التُّرْسَ في دِماء غَنيّ مُسْتَديرًا كَجزيَةِ القَرْقُورِ(٢)

وقال ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)(٣):

وَمِصْباحُنا قَمَرٌ مُشْرِقٌ كَتُرْسِ لُجَيْنٍ يَشُقُّ الدُّجا

وقال الصولي سنة (٣٢٢هـ) في رغيف كبير بحرف وافر، استلبه الحضور دونه، وذلك في مجلس شراب بحضور الخليفة الراضي (ت ٣٢٩هـ)(٤):

لَهْفَ نفسي عليه مُلْقًى كَتُرْسٍ وافرِ الحَرْفِ مُشْرِفِ التَّفْرِيزِ

ومن أهم ما وقفت عليه من أسماء التروس وصفاتها:

١- البَصِيرة:

البَصِيرَةُ: التُّرْسُ(٥)، وقيل هو ما استطال منه(٦)، وقد سبق أن عرفنا أن البَصِيرَة تعني كذلك: الدرع(٧)، وأن كل ما لُبِسَ من السلاح فهو بصائر السلاح.

كما أشرنا إلى قول الصحابي كعب بن مالك الأنصاري (؟- ٥٠هـ) يوم

---

(١) ديوان الأخطل، ص١٥٨.

(٢) جزية القرقور: الصوف المقطوع من الخروف الصغير.

(٣) الصولي، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص١٤٦.

(٤) الصولي، كتاب الأوراق-قسم أخبار الراضي والمتقي بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣هـ، تحقيق، ج. هيورث. دن، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أول أغسطس، ٢٠٠٤م، ص٣٧.

(٥) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧؛ النويري، السفر السادس، ص٢٣٩.

(٦) ابن منظور، مج ٤، ص٧٧.

(٧) انظر، مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٦.

أحد[1]:

ومَنْجُوفةٌ جِرْمِيَّة صَاعِـدَةٌ   يُذَرُّ عليها السَّمُّ ساعةَ تُصنَعُ
تُصُوبُ بأبْدَانِ الرِّجَالِ وتَارَةً   تَمرُّ بأعراضِ البِصَارِ تَقَعْقَـعُ

ورجحنا أن البِصار ها هنا: جمع بصيرة، ويُقصد بها التروس.

٢- الجَوْب:

هو التُّرْسُ[2]، وذكر ابن منظور أن جمع الجَوْب: أَجْـوابٌ وأَجْوبَــة، وهــو المِجْوَبُ، وأنشد للبيد (؟- ٤١هـ)[3]:

فأَجازَني مِنْه بِطِرْسٍ ناطِقٍ،   وبكُلِّ أطْلَسَ، جَوْبُهُ في المَنْكِبِ[4]

قال: يعني بكل حَبَشِيٍّ جَوْبُه أي ترسه في مَنْكِبَيْه. وفي حديث غَـزوة أُحُـد: وأبو طلحة مُجَوِّبٌ على النبي ﷺ بحَجَفَةٍ أي مُتَرِّسٌ عليه يَقِيه بها. ويُقال للترس أيضًا: جَوبةٌ[5].

جدير بالذكر أن قول لبيد: "جَوْبُه في المَنْكِبِ"، إشارة إلى إحدى الطرق التـي كانت تُستعمل لحمل الترس في حالة عدم استعماله، وهو أن يتنكب به المحارب، أي يجعل ترسه بين منكبيه -والمنكب: هو مُجْتَمَعُ رأس الكتف والعضد- ويكون ذلك عن طريق سير يُسمى: الحميلة، يُعقد في حلق بأطراف الترس.

كما ورد ذكر المجوّب في قول طفيل الغنوي (؟- ١٣ق. هـ)[6]:

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص٦١.

(٢) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٦؛ ابن سلام، ص٢٤٠؛ النويري، السفر السـادس، ص٢٣٩؛ خزانة السلاح، ص٥٦.

(٣) انظر، ديوان لبيد، ص٣٥.

(٤) الطرس: الكتاب، أي أعطاه كتابًا بتحقيق طلبه. الأطلس: الحبشي.

(٥) ابن منظور، مج ١، ص٣٣٩.

(٦) ديوان طفيل الغنوي، ص٤٥؛ ابن منظور، مج ٨، ص٣١٦.

فلمّا فَنَى في الكنَائِنِ ضَاربُوا   على القَرْعِ من جِلْدِ الهجَانِ المجوّبِ

والمعنى: وعندما نفذت السهام التي في كنائنهم ضربوا بأيديهم إلى الترسة والسيوف ليقاتلوا. وفي شرح هذا البيت قال الأصمعي: الكنانةُ: الجعبةُ. والقرعُ: التِّرسة. والهجانِ من كل شيء. والمُجوَّب الذي قد جعل جوبًا. والجوب: الترس.

وقال الشاعر المخضرم مزرد بن ضرار الذبياني (؟- ١٠هـ)، بعد أن وصف دروع المحاربين، وخوذهم[١]:

وجَوْبٌ يُرَى كالشَّمسِ في طَخْيَةِ الدُّجَى   وأبيَضُ ماضٍ في الضَّريبَةِ قاصِلُ[٢]

ويقول الشاعر في الشطر الأول: وترس لامع يُرى كالشمس في الظلام الدامس. أما في الشطر الثاني، فهو يصف السيف.

وقال البحتري (٢٠٦- ٢٨٤هـ)[٣]:

وكَأنّ الإيوَانَ منْ عَجَبِ الصنْـ   ـعةِ جَوْبٌ في جنبِ أرْعنَ جِلسِ

والشاعر في هذا البيت يُشبه الإيوان -بديع الصنعة- في استدارته بترس في جنب بناء عظيم أو جبل غليظ.

٣- الجُنَّة:

الجُنَّةُ: من أسماء الترس[٤]، والجُنَّةُ: هي كل ما واراكَ من السِّلاح واستَتَرْتَ به منه[٥]، كالترس والدرع وما إلى ذلك من الجنن الواقية.

---

(١) المفضليات، ص٩٩.

(٢) الطخية: القتام يحول دون السماء من دون الشمس.

(٣) ديوان البحتري، مج ١، ص١٩٣.

(٤) النويري، السفر السادس، ص٢٣٩؛ القلقشندي، جـ ٢، ص١٥٢.

(٥) ابن منظور، مج ١٣، ص١١٢؛ وانظر، مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٦.

٤- الحَجَفَة:

ضَرْب من التِّرسة[١] قيل: هي الترس الصغير، جمعها الحَجَفُ[٢]. وفي حديث غَزوة أُحُدٍ: وأبو طلحة مُجَوِّبٌ على النبي ﷺ بحَجَفَةٍ أي مُتَرِّسٌ عليه يَقِيه بها[٣].

وقيل: إن الحَجَف تُصنع من الجلود[٤] خاصة، وذكر ابن منظور أنه قيل: هي من جلود الإبل مُقَوَّرَةً، وذكر عن ابن سيدة قوله: هي من جلود الإبل يُطارق بعضها ببعض؛ قال الأعشى (؟- ٧هـ):

لَسْنا بِعِيرٍ، وبَيْتِ اللهِ، مائرةٍ، ولَكِنْ عَلَيْنا دُروعُ القَومِ والحَجَفُ

وأردف أنه يُقال للتُّرْس إذا كان من جلود ليس فيه خشَب ولا عَقَبٌ: حَجَفَةٌ ودَرَقَةٌ. وأن المُحاجِفُ: هوْ المُقاتِلُ صاحِبُ الحَجَفَةِ[٥].

كما ورد ذكر الحجفة في قول الشاعر الجاهلي هجرس بن كليب (؟- ؟)[٦]:

عِصْمَةَ النَّاس إذا ما أمْحلوا وشِهابٌ حينَ تَصْطَكُّ الحَجَفْ

٥- الدرَقَة:

الدَرَقَةُ: ضرب من التِّرَسة، وقيل: الدرقة الحَجَفة وهي تُرْس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب، والجمع دَرَقٌ وأدراق ودِراق[٧]. والدرقة: ترس حربي، سُميت بذلك لأن المحارب يتدرق بها -أي يحتمي- من ضرب السيوف وطعن الرماح، وهي قطعة مدورة وسطها مقبب وفي بطنها عروة تُمسك بها، وكانت

---

(١) انظر، ابن سلام، ص٢٤٠.

(٢) النويري، السفر السادس، ص٢٣٩.

(٣) ابن منظور، مج ١، ص٣٣٩.

(٤) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٦.

(٥) ابن منظور، مج ٩، ص٤٨.

(٦) شعراء تغلب، جـ ٢، الديوان، ص٣٣٨.

(٧) ابن منظور، مج ١٠، ص١١٤؛ وراجع، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.

تُصنع من الجلود[١]، ويُقال لصاحب الدرقة: دارق، قال الشاعر[٢]:

يَمْشُون بَيْنَ نَابِلٍ ودارِقِ

وقد ورد ذكر الدرق في قول قائل في هوازن حين مسيرهم إلى الرســول ﷺ يوم حنين (٨هـ)[٣]:

عليهم البيض والأبدان والدرق

وقول ابن قلاقس (٥٣٢- ٥٦٧هـ)[٤]:

ومُرهَفٍ يَفْرِي كَثِيفَ الحَلَقِ   لا تُتَّقَى ضَرْبَتُه بالدَّرَقِ

وهو في هذا البيت يصف سيفًا، ويقول: إن ذاك السيف المرهف يستطيع قطع درع كثيفة الحلق، كما أن ضربته لا تحمي منها الدرق.

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن البخاري عقد بابًا بعنوان "الدَّرَق" ذكر فيه حــديث الرسول ﷺ عن السودان الذين كانوا يلعبون بالدرق والحراب، وإقرار الرســول ﷺ بجواز هذا الأمر[٥].

جدير بالذكر أن الطرسوسي (ت ٥٨٩هـ) أورد عدة أبيات كانت مكتوبة على الدرق[٦]، فقد قُرئ على درقة:

من ينصر الله لا يغلبه ذو جلد   ومن يرد ذِلَّهُ يلقاه مغلوب

وقرئ على درقة أخرى:

يا من يحاذر أن يلقى منيّته   لا بدّ منها فكن منها على حذرِ

---

(١) سعد بن عبد الله الجنيدل، ص٩٩؛ وانظر، ابن سلام، ص٢٤٠.
(٢) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.
(٣) ابن هشام، جـ ٤، ص٧٣.
(٤) ديوان ابن قلاقس، ص٣٤٩.
(٥) راجع، البخاري، جـ ٢، ص١٥٤.
(٦) الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٤٦.

وقرئ على درقة أخرى:

بربك لا تأتي أمورًا عظيمة   يسائلك عنها ذو الجلال فتندم

٦- ذو بَقَر:

قال ابن سيدة: ذو بَقَر: الترس الذي يُعمل من جلود البقر، وأنشد[١]:

وذُو بَقَرٍ من صنْع يَثْرِبَ مُقْفَلٌ   وأسمرُ أداتا الهِلالِيٌّ يَعْتِرُ[٢]

٧- الزلوق:

اسم من أسماء تروس الرسول ﷺ، سُمي بذلك لأنه يُزلق عنه السلاح[٣] فلا يخرقه[٤].

٨- العَنْبَر:

العَنْبَرُ: الترس[٥]، وقد سُمي بذلك لأنه يُتخذ من جلد سمكة بحرية يُقال لها العنبر[٦].

٩- الفَتْق:

اسم من أسماء تروس الرسول ﷺ[٧]، ويبدو أنه سُمي بذلك لانفراجه

---

(١) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.

(٢) مقفل: يابس.

(٣) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤.

(٤) ابن منظور، مج ١٠، ص١٧٣.

(٥) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧؛ النويري، السفر السادس، ص٢٣٩؛ وانظر، مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٧.

(٦) ابن منظور، مج ٤، ص٧٠٢.

(٧) مؤلف مجهول، السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، ص٤١٤.

واتساعه، إذ يُقال: خرج فلان إلى فتق: أي خرج إلى مكان مُتَّسع[١].

١٠- الفَرْض:

الفَرْض: الترس[٢]، وقيل: هو الخفيف من التراس[٣]، قال صخر الغي الهذليّ (؟- ؟)[٤]:

أَرِقتُ له مِثْلَ لَمْع البشِـ   ـيرِ يُقَلِّبَ بالكَفِّ فَرْضًا خَفِيفا

١١- القَرَّاع:

القَرَّاعُ: الترس الصُلْبُ[٥] الشديد. وتُرْسٌ أَقْرَعُ وقَرَّاعٌ: أي صُلْبٌ شديد؛ قال الفارسي: سُمي به لصبره على القَرْع[٦].

وورد ذكر هذا الترس في بيت طفيل الغنوي (؟- ١٣ق. هـ)[٧]:

فلمَّا فَنَى في الكنَائِنِ ضَاربُوا   على القُرْعِ من جِلْدِ الهِجَانِ المجوّبِ

وقول أبو قيس بن الأسْلت (؟- ١هـ)[٨]:

مَاضٍ حُسَامٍ وَادِقٍ حَـدُّهُ   وَمَـارِنٍ أَسْـمَرَ قَـرَّاعِ[٩]

---

(١) عن هذا المعنى للفتق. راجع، ابن منظور، مج ١٠، ص٣٥٧؛ الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٢١٥.

(٢) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨

(٤) انظر، النويري، السفر السادس، ص٢٤٠؛ ابن منظور، مج ٧، ص٢٣٢؛ ابن سلام، ص٢٤٠؛ الطرسوسي، تحقيق، كارين صادر، ص١٤٦.

(٥) النويري، السفر السادس، ص٢٤٠.

(٦) ابن منظور، مج ٨، ص٣١٦.

(٧) ديوان طفيل الغنوي، ص٤٥؛ ابن منظور، مج ٨، ص٣١٦. سبقت الإشارة إلى هذا البيت وشرحه، عند تناول "الجوب".

(٨) ديوان طفيل الغنوي، ص٤٥.

(٩) كلمة "ماض" وردت في اللسان "صدق". ابن منظور، مج ٨، ص٣١٦.

ويقصد بالأسمر القراع: الترس الصلب، وجعله أسمر لأنهم كانوا يتخذونه من جلود الإبل[1].

١٢- القَفْع:

القَفْعُ: جُنَنٌ كالمكابِّ تُتَخذ من خشب يدخل تحتها الرجال إذا مشوا إلى الحُصونِ في الحرب[2]، وقيل: هي تروس مثل الطوارق[3]، غير أن النويري قال: ويُسمونها في زماننا الجنويات[4]؛ والجنويات تروس كالطوارق، وكلا النوعين من هذه التروس يتميز -كما سنشير تفصيليًا فيما بعد- بكبر الحجم والاستطالة؛ بحيث يستر الفارس والراجل، وإن كانت الطوارق تتميز بأنها تنتهي في آخرها بنقطة محدودة، بينما تتميز الجنويات بأنها مقطوعة من أسفل.

وعلاوة على التعريفات السابقة للقفع -وهي ما تعنينا بشكل رئيس- فقد ذكر ابن منظور أن الأزهري قال: هي الدبابات[5] التي يُقاتل تحتها، واحدتها قَفْعَةٌ. وأردف قائلاً، والقَفْعُ: ضَبْرٌ تُتَّخَذُ من خشَب يمشي بها الرجالُ إلى الحُصونِ في الحرب يدخل تحتها الرجال[6]. وعرف الضَّبْر بأنه: جلد يُغَشَّى خَشَبًا فيه رجال تُقَرَّبُ إلى الحُصون لقتال أهلها، والجمع ضُبُورٌ، ومنه قولهم: إنا لا نأمَنُ أن يأتوا

---

(١) المفضليات، ح ٨، ص٢٨٥.

(٢) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨. وسنشير إلى الطوارق بشيء من التفصيل فيما بعد.

(٤) النويري، السفر السادس، ص٢٤٠.

(٥) الدبابة: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون إلى الأسوار ينقبون. وهي عبارة عن بيت صغير تُعمل للحصون يدخلها الرجال فينقبون من داخلها ويكون سقفها حرزًا لهم من الرمي. وأول دبابة صُنعت في الإسلام دبابة صُنعت على الطائف حين حاصرها رسول الله ﷺ. عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، جـ ١، ص٣٧٤، ٣٧٥.

(٦) ابن منظور، مج ٨، ص٣٤٤.

بضُبُور؛ هي الدَّبابات التي تُقَرَّب للحصون لتنقب من تحتها، الواحدة ضَبْرة[1].

١٣- الكَنيِف:

الترس الساتر، اشتقاقًا من الاكتناف[2]، قال ابن منظور: الكَنِيف: الترس لسَتْره، ويُصف به فيقال: تُرْس كَنِيف، وأنشد قول لبيد (؟- ٤١هـ)[3]:

حَرِيمًا حين لم يَمْنَعْ حَرِيمًا سُيوفُهمُ، ولا الحَجَفُ الكَنِيفُ

١٤- لأى:

لم أتوصل إلى غير أنه: الترس[4].

١٥- المِجَنُّ:

سُمي الترس بالمِجَنّ[5]، لأنه يُستَجَنُّ به[6]، أي يُستتر به. والمُجْن: الصَّلابة، وقد مَجُنَ وتَمَجَّنَ: صَلُبَ، قال ابن دريد: مَجَن الشيءُ يَمْجُن مُجُونًا: أي صَلُبَ، ومنه المِجَنُّ الترس[7].

وقد ورد ذكر المجن في قول عنترة بن شداد (؟- ٢٢ق. هـ)[8]:

وَلَقَدْ لَقِيتُ المَوْتَ يَوْمَ لَقِيتُهُ مُتَسَرْبِلاً والسَّيْفُ لمْ يَتَسَرْبَلِ

---

(١) ابن منظور، مج ٤، ص٤٥٥.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨؛ وراجع، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧؛ النويري، السفر السادس، ص٢٤٠.

(٣) ابن منظور، مج ٩، ص٣٦٨.

(٤) النويري، السفر السادس، ص٢٤٠؛ خزانة السلاح، ص٥٨.

(٥) ابن منظور، مج ١٣، ص٤١١؛ النويري، السفر السادس، ص٢٤٠.

(٦) ابن سلام، ص٢٤٠؛ ابن سيدة، جـ ٢، ص٤٧؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨.

(٧) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.

(٨) ديوان عنترة، ص٨٣.

فَرَأيْتُنا مَا بَيْنَنا مِنْ حَاجِـزٍ إلا المِجَنّ ونَصْلُ أبْيَضَ مِفْصَلِ[1]

وقول النابغة الذبياني (؟- ١٨ق. هـ) عن بني أسد[2]:

فهم دِرْعِي التي استَلأَمْتُ فيها إلى يوم النِّسارِ، وهم مِجَنِّي[3]

وقول الأعشى (؟- ٧هـ)[4]:

فَثَابَرَ بِالرُّمْحِ حتّى نَحَا هُ في كَفَلٍ كَسَرَاةِ المِجَنْ[5]

وقول الشاعر المخضرم ابن مقبل (؟- ؟)[6]:

هَلْ كُنْتُ إلاَّ مِجَنّاً تَتَّقُونَ بِهِ قَدْ لاَحَ في عِرْضٍ مَنْ باذأَكُمْ عَلَبي[7]

وقول علي بن أبي طالب (رضي) يوم بدر (٢هـ)[8]:

مَعي سلاحي ومعي مِجَنِّي وَصَــــارِمٌ يُذْهِبُ كُلَّ ضَغْنِ

وقول الشاعر العباسي ابن قنبر (؟- ؟) [9]:

وإلا فغُضّوا الطَّرْفَ وانتظروا الرَّدى إذا اختفت فيكم صوارِدُ أسهُمِي

---

(١) حاجز: حد يفصل بيننا. نصل: حديد وشفرة، أبيض: سيف. مفصل: بتار.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص١٢٧.

(٣) يعتز الشاعر في هذا البيت ببني أسد، ويقول: لقد كانوا في يوم النسار، درعي وترسي الـذي أقوى بهم على مجابهة العدو.

(٤) ديوان الأعشى الكبير، ص٧١.

(٥) الكفل: العجز. السراة: الظهر. والشاعر هنا يُشبه كفل البقر بالمجن أو التـرس. فيقـول: ولا يزال -الغلام- يعدو برمحه، حتى يصيب البقر في عجز ضخم كأنه ظهر المِجَنّ.

(٦) ديوان ابن مقبل، ص٢٤٥.

(٧) باذأكم: من البذاء، وهو الفحش والإقذاع. العَلَب: أثر الضرب وغيره، ويريد به أثر اللسان.

(٨) ديوان الإمام علي، ص٩.

(٩) ديوان صريع الغواني، ص٣٨٩. وعن ابن قنبر. راجع، الأصفهاني، (أبي الفرج)، الأغـاني، شرحه وكتب هوامشه، عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيـروت، ٢٠٠٢م، جــ ١٤، ص١٦٢، وعن هذا البيت، انظر، جـ ١٩، ص٧٥ من نفس المصدر.

ولم تَجـدوا منهـا مِجَنًا يُجِنُكـم إذا طلعت من كُلّ فـجٍّ ومَعْلَـمِ

وقول ابن المعتز (٢٤٩- ٢٩٦هـ)(١):

وكُنتُ لَهُ دُونَ ما يَتَّقِي مِجَنًا ومَزَّقْتُ عَنْهُ العِدا

وقول أبو فراس الحمداني (٣٢٠- ٣٥٧هـ)(٢):

وَإنْ حارَبُوا كنتُ المِجَنّ أمامَهُمْ؛ وَإنْ ضَارَبُوا كنتُ المُهَنَّدَ وَاليَدَا

والمجن: الترس، وهنا تعني المدافع، ويُريد الشاعر القول، وإن حاربوا كنت أنا مدافعًا -كالمجن- أمامهم، وإن ضاربوا كنت السيف واليد الضاربة.

وقول ابن قلاقس (٥٣٢- ٥٦٧هـ) في ترس مكوبج(٣):

لله دَرُّ مِجَنٍّ قد جُنِنْتُ بِهِ صِيغَتْ كوابجه منه على قدر

لم يُخْطِ تشبيهَهُ مَنْ قالَ حين بَدَا إنَّ الثُّريَّا بَدَتْ في صَفْحةِ القَمَرِ

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن البخاري عقد بابًا بعنوان "المِجَنّ ومن يَتَتَرَّسُ بتُرْسِ صاحبه"، ذكر فيه أن طلحة ﷺ كان يتترس مع الرسول ﷺ بترس واحد. ويعنينا في هذا المقام التأكيد على قوله أن الرسول ﷺ حين كُسِرَتْ البَيْضَةُ على رأسه وأُدْمِيَ وَجْهُهُ وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، كان علي ﷺ يَخْتَلِفُ بالماءِ في المِجَنّ وكانت فاطمة ﷺ تَغْسِلُهُ ...(٤).

ونختم تناولنا للمجن بتلك الإشارة التي وصلتنا وتفيد أنه حينما سأل عمر ابن الخطاب ﷺ عمر بن معدي كرب يومًا عن السلاح، سأله مما سأل عن الترس،

(١) ديوان ابن المعتز، ص٢٢؛ الصولي، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص١٤٦.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، ص١٠٣.

(٣) ديوان ابن قلاقس، ص٢٠٦. وذكرت المحققة،: الكوابج: جمع كوبج وهو النتوء على وجه الترس. ح ٨٢ من نفس الصفحة. والكوابج: مأخوذة عن الكلمة التركية gőbek بمعنى سُرَّة. راجع، عبد الناصر ياسين، وسائل السفر، القسم الأول، ح ٤، ص٢٧١.

(٤) البخاري، جـ ٢، ص١٥٤.

فقال عمرو بن معدي كرب: هو المجنُّ وعليه تدور الدوائر[1].

١٦- المُجْنَأ:

المجنأ: الترس[2]، قال أبو قيس بن الأسلت (؟- ١هـ)[3]:

ومُجْنَأٍ أسمَرَ قَرَّاعِ

أي: وترس أسمر -لأنه كان يُتخذ من جلود الإبل- قراع: أي صلب[4].

١٧- المِجْنَب:

هو التُّرْس[5]، ويُقال أيضًا: المُجْنَب[6] بالضم. وقد ثبتهما ابن منظور بالضم والكسر، وأنشد قول ساعدة بن جُؤَيَّة الهذلي (؟- ؟)[7]:

صَبَّ اللَّهِيفُ لهَا السُّبُوبَ بِطَغْيةٍ، تُنْبي العُقابَ، كما يُلَطُّ المِجْنَبُ

١٨- المِجوَل:

هو الترس[8]، أعتقد من المَجْل: وهو الجلد الغليظ[9].

(١) ابن قيم الجوزية، الفروسية، ص١٠٢.

(٢) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧؛ النويري، السفر السادس، ص٢٤٠؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨.

(٣) صدره: صدقٍ حسامٍ وداقٍ حدّه. انظر، ابن سلام، ص٢٤٠، ح ١١٧ من نفس الصفحة.

(٤) المفضليات، ح ٨، ص٢٨٥.

(٥) النويري، السفر السادس، ص٢٤٠؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨.

(٦) ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨.

(٧) ابن منظور، مج ١، ص٣٣٢.

(٨) النويري، السفر السادس، ص٢٤٠؛ مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨.

(٩) راجع، ابن منظور، مج ١١، ص٧٣٣، ٧٣٤.

١٩- المُطْرَق:

قال ابن منظور: والمَجانُ المُطْرَقة: التي يُطْرَقُ بعضُها على بعض كالنَّعْل المُطرَقة المَخْصُوفة. ويُقال: أُطْرِقَت بالجلْد والعَصَب أي أُلْبِسَت، وتُرْس مُطْرَق.

التهذيب: المَجانُ المُطْرَقة ما يكون بين جِلْدين أحدهما فوق الآخر، وفي الحديث: كأنَّ وُجوهَهم المَجانُ المُطرَقة أي التِّراس التي أُلْبِسَتِ العَقَب شيئًا فوق شيئ؛ أراد أنهم عِراضُ الوُجوه غِلاظها؛ ومنه طارَق النعلَ إذا صيَّرها طاقًا فوق طاقٍ وركَّب بعضها على بعض(١).

وهناك إشارة تُفيد أن المُطْرَقُ: ترس، قيل: إن أول ظهوره كان بوقعة المنصورة، زمن الأيوبيين(٢)!

٢٠- المَكَاب:

تروس مثل الجنويات(٣)، وسوف نتناول الجنويات فيما بعد بشيء من التفصيل.

٢١- اليَلَب:

سبق أن عرفنا أن اليلب: جلود تُلْبس بمنزلة الدُّرُوع، وقيل كذلك: هي جلود يُخْرز بعضها إلى بعض تُلْبَس على الرؤُوس خاصة(٤)، غير أن الأكيد أيضًا أنها كانت تُطلق على الترس(٥) المستدير المصنوع من الجلد وهو الدرقة(٦)، قال

---

(١) ابن منظور، مج ١٠، ص٢٦٤.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٨.

(٤) راجع، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.

(٥) راجع، النويري، السفر السادس، ص٢٤٠.

(٦) راجع، ابن سيدة، جـ ٢، السفر السادس، ص٤٧.

الشاعر[1]:

عَليهمْ كل سابغةٍ دِلاَصٍ   وفي أيديهمُ اليَلَبُ المُدَارُ

وبالإضافة إلى ما تقدم عن أسماء التروس وصفاتها، يعنينا أن نتناول بشيء من الخصوصية نوعين آخرين منها، إحداهما: تُعرف باسم "الطارقة"، جمعها: الطوارق" أو الطارقات، والأخرى: تُعرف باسم "الجنوية" جمعها الجنويات.

٢٢- الطوارق:

هي تروس من خشب، كانت تُستعمل في الأصل من قِبَل الفرنج والروم. ومن خصائصها أن تكون مستطالة في شكلها، بحيث تستر الفارس والراجل[2]، وقيل: هي ترس كبير يغطي معظم الجزء الأسفل من الجسم[3]، وأفضل وصف وجدته للطوارق ما ذكره "الطرسوسي"، أثناء حديثه عن أنواع التروس، حيث ذكر: "ومنها الطوارق، وهي التي يستعملها الفرنج والروم، ويُتباهى في حسن إذهابها ودهانها وتلوينها بأنواع الأصباغ وتصويرها وإتقانها، وهي مستطالة في تكوينها إلى أن تستر الفارس والراجل، تبدأ مدورة ثم تجمع أولاً أولاً إلى أن ينتهي آخرها إلى نقطة محدودة كرؤوس المعاول"[4].

جدير بالذكر أنه كان هناك خلاف حول معنى الطوارق وأصلها، وفيما يتعلق بمعناها فقد اعتقد بعض العلماء أنها الرمح أو الحربة، وقال آخرون إنها

---

(١) انظر، النويري، السفر السادس، ص٢٤٠.

(٢) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٧.

(٣) ابن شداد، بهاء الدين،، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق، جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م، ح١، ص١٢٧، ١٢٨.

(٤) الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص١٢؛ تحقيق، كارين صادر، ص١٤٧، ١٤٨.

مجموعة كبيرة من الأسلحة، ولكن بات من المؤكد أنها نوع من التروس[١].

أما فيما يتعلق بأصل الطوارق فمن المستقر عليه بين العلماء والباحثين أنها لا ترجع إلى أصل عربي، وقد لاحظ "Dozy" أن المصادر العربية السابقة على زمن الحروب الصليبية لم تستعمل هذه الكلمة، بينما نجد أن المصادر العربية المعاصرة للحروب الصليبية؛ أشارت إلى "الطوارق" عند وصفها لأسلحة الأوربيين أثناء الحروب الصليبية، ومن ثم فإنه يرى أن العرب قد اقتبسوها عن الصليبيين، وأشار إلى أن هذه الكلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية "Taraga"، والتي منها اشتقت الكلمة الإيطالية "Tarja "، والفرنسية "Targe"، والأصل اللاتيني لها جميعًا "Targum"، وأكد على أن جميع هذه الأدلة تؤيد الأصل الأوربي لكلمة "الطارقة"، التي تشير إلى ترس مستطيل كان يغطي تقريبًا كل الجزء الخارجي من بدن المحارب[٢].

٢٢- الجنويات:

هي تروس من خشب أيضًا، ورد أنه كان يدخل تحتها المحاربون الرجال إذا ما زحفوا على الأسوار، وتكون لهم كالحصن الواقي من النبال، ومن صفاتها أن تكون مقطوعة الأواخر لتقف على الأرض[٣]. ويذكر عنها "الطرسوسي": "هي كالطوارق، إلا أنّها غير محدودة الأواخر، بل مقطوعة لتقف على الأرض. وهي التي تزحف بها الرجالة للقتال، وتكون للصف كالحصن المانع من النبال"[٤]، ومن

---

(١) راجع، Dozy, R., Tome Second, pp. 40- 41 وبالإضافة إلى هذا التعريف فقد استخدم مصطلح الطوارق كذلك ليشير إلى آلة حربية مكونة من مجموعة من الألواح الخشبية السميكة؛ تستخدم كمتراس يخفي الحجارة والجنود والرماح خلفها. Dozy, R., Tome Second, p. 41

(٢) Dozy, R., Tome Second, 41؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ح٥، ص١٢٧، ١٢٨.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٦.

(٤) الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص١٢؛ تحقيق، كارين صادر، ص١٤٨.

خلال هذه الأوصاف يتضح أن الجنويات كانت مستطالة في شكلها كالطوارق، غير أنها تميزت بقطع في آخرها.

وقد سبقت الإشارة إلى أن "النويري" ذكر عن التروس التي يقال لها: القفع أنهم كانوا يسمونها في زمنه: الجنويات"(١)، ولعل في ذلك ما يدل على أن الجنويات كانت معروفة خلال العصر المملوكي، وإن تغير اسمها.

وقبل أن ننهي حديثنا عن "الطوارق" و"الجنويات"، نود لفت الانتباه إلى إشارة تفيد بأن المؤرخين المسلمين، كانوا حين يصفون التروس الصليبية، فإنهم يستعملون لفظ "الطوارق"(٢)، دون غيره، وأن هذا النوع من التروس؛ اقتبسه المسلمون عن الفرنج، واستعملوه أثناء الحروب الصليبية(٣). وإذا كان الباحث يتفق مع القول بأن "الطوارق" كانت مستعملة في الأصل من قبل جنود الفرنج؛ وأن المسلمين قد اقتبسوها منهم أثناء الحروب الصليبية(٤)؛ فإنه لا يرى أن

---

(١) نهاية الأرب، السفر السادس، ص٢٤٠.

(٢) راجع، الأصفهاني، العماد الكاتب، ص٦٥، ١٦٤. جدير بالذكر أنه بعد إتمام الصلح بين "صلاح الدين الأيوبي" وملوك الفرنج؛ وسادت روح الود بين الجنود المسلمين وجنود الفرنج، أرسل "صلاح الدين لهؤلاء الملوك هدايا وأموالاً، كما أنهم ردوا على ذلك بهدايا كان من بينها "طوارق". راجع، ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، جـ٣، قام على نشره أنطون خاطر وبور مستر، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٦٨- ١٩٧٠م، ص٩٣، ٩٤؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص٣٥١.

(٣) محسن محمد حسين، ص٣١٦، ٣١٧. والجدير بالذكر أن المماليك في مصر قد خصصوا لحمل هذه الطوارق، جملة صبيان -جماعة من طوائف العسكر- سكنوا بحارة تُعرف باسم "حارة الطوارق" أو حارة "صبيان الطوارق". مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٧؛ Dozy, R., Tome Second, p. 41

(٤) هناك إشارات عديدة تؤكد استعمال المسلمين للطوارق، منها -على سبيل المثال- أنه عندما وصل الملك "العزيز عثمان بن صلاح الدين" بالمدد من مصر إلى صلاح الدين بالقدس، وشاهد الفتح والنصر سنة ٥٨٣هـ، عاد إلى مصر، وترك جميع خزائن سلاحه بالقدس؛ التي كان من بينها "طوارق". الأصفهاني، العماد الكاتب، ص١٤٤. كما كانت "الطوارق"، من=

المؤرخين المسلمين قد اقتصروا في وصفهم للتروس الصليبية على استعمال لفظ "الطوارق" دون غيره، فمن المؤكد أنهم أشاروا -ولو قليلاً- إلى استعمال الصليبيين للتروس المعروفة باسم "الجنويات"، إذ يذكر "العماد الكاتب" عن الصليبيين قائلاً: "وبلع العدو ريقه، ووجد إلى الجلد طريقه، ... ووقفوا كالسور من وراء الجنويات، والتراس والقنطاريات"[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا؛ هل هذه "الجنويات"، شأنها شأن "الطوارق"، أي أنها مما دخل إلى العالم الإسلامي بعد احتكاك المسلمين بالفرنج أثناء الحروب الصليبية؟ الحق أنه على الرغم من صمت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في الإجابة على هذا التساؤل، فهو أمر وارد، وذلك اعتمادًا على إشارات تُفيد بأن الجنويات كالطوارق[2]، وأن الطوارق على نحو الجنويات[3]، وربما يدعم ذلك الاستنتاج، أن شكل "الطوارق" و"الجنويات" كان -كما تقدم- غير مستدير، بل مستطال، وأن الفرق بينهما، يتمثل في أن "الجنويات" تميزت بأنها مقطوعة الأواخر لتقف على الأرض، أما الطوارق فتنتهي من أسفل إلى نقطة محدودة كرؤوس المعاول.

= المعدات العسكرية التي أحضرها "العادل سيف الدين أبو بكر" من مصر سنة ٥٨٥هـ، ليمد بها أخيه "صلاح الدين"، وهو بعكا. ابن الأثير، الكامل، مج ١٠، ص١٨٩؛ سيد علي الحريري، الحروب الصليبية- أسبابها، حملاتها، نتائجها، تحقيق، عصام محمد شبارو، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٨٢.

(١) الفتح القسي، ص٣٠١. و "القنطاريات" هي رماح الفرنجة، راجع، الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص١١.

(٢) راجع، الطرسوسي، تحقيق، كلود كاهن، ص١٢؛ تحقيق، كارين صادر، ص١٤٨؛ محسن محمد حسين، ص٣١٧.

(٣) مؤلف مجهول، خزانة السلاح، ص٥٧.

الفصل الثاني

رسوم التروس على الفنون والعمائر الإسلامية

تكشف نماذج التحف التطبيقية والعمائر التي بين أيدينا عن أن تمثيل التروس قد امتد في كثير من أقطار العالم الإسلامي، كإيران، والعراق، والشام، ومصـر، والمغرب والأندلس، وإذا أضفنا إلى ذلك تنوع المواد التي مثلت عليها -خزف، وخشب، ومعادن، وحجر، وزجاج، وجلد- هذا علاوة على أنها تغطي فترة زمنية طويلة -تمتد على أقل تقدير فيما بين القرنين الثالث والعاشر الهجريين/ ٩-١٦م- لتبين مدى قيمة دراسة هذه التروس، خاصة أنه إذا كان من الممكن أن يلتبس الأمر على البعض بالنسبة للدروع التي يلبسها المقاتلين وغيرهم، فليس هناك أي مجال للالتباس بالنسبة للتروس.

إيران:

على الرغم من الزخم الشديد في تمثيل مختلف أنواع الأسلحة على أكثر أنواع الفنون التطبيقية وكذا على بعض العمائر الإيرانية؛ فإن ما توصلنا إليه من تروس نُفذت على الفنون التطبيقية قد اقتصر على مادتي الخزف والمعادن، أما على العمائر فقد وصلنا منها نماذج مرسومة بالألوان المائية، وأخرى محفورة على الجص. ويؤخذ في عين الاعتبار أن ما ظهر من التروس على الخزف خاصة له من الأهمية بمكان، إذ أن نماذجه كثيرة، وعلاوة على ذلك فإنها قد ظهرت في موضوعات متنوعة، كما تميزت بتعدد أشكالها.

الخزف:

وصلتنا التروس منفذة على سلطانية[1] من الخزف ذي البريق المعدني، ترجع إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م، وقد تضمنت هذه السلطانية منظر صيد (شكل ١٧)، قوامه صائد راجل يطعن فهدًا بسيف يقبض عليه بيمينه، بينما يسند شماله أعلى ترس من نوعية "كبر التراس" أو التروس المستطالة، ويتميز هذا

---

(١) محفوظة في "Keir Collection". انظر، Grube, E., Islamic Pottery of the Eight to the fifteenth Century in the Keir Collection, London, 1976, no. 151.

الترس بأن له من أعلى نهاية مستديرة، وينسحب باستدقاق إلى أسـفل، منتهيًـا بذلك القطع؛ الذي يساعد على ارتكازه على الأرض، لذا فلا ريب أن هذا التـرس من نوعية "الجنويات". ومما يُلحظ أن الترس مزين ظاهره بزخرفة علـى هيئـة رقعة الشطرنج يحف بها إطار خارجي يدور حول محيط الترس، وأنه يوجد شريط مزدوج قرب الثلث العلوي من الترس، ويرجح موقعه هذا أنه متصل بـالمقبض؛ المفترض تواجده بباطن الترس.

جدير بالذكر أن ظهور الترس في موضوع الصيد هذا، يتواكب مع ما سـبق ذكره، من أهمية اصطحاب التروس عند صيد الحيوانات المفترسة.

(شكل ١٧) رسم على سلطانية من الخزف ذي البريـق المعـدني، إيران، ق ٦هـ، عن: ويلسون، شكل ١٥.

ومن التروس التي وصلتنا على الخزف الإيراني كـذلك؛ مـا ظهـر علـى سلطانية[١] من الخزف الميناني، مؤرخة بشهر صـفر سـنة ٦١٦هـ/ أبريـل

(١) محفوظة في "Keir Collection"

١٢١٩م، وعلى هذه السلطانية منظر لأمير مع تابعين على ظهر فيل، ويتقدم الفيل تابع، ومن خلف الفيل رجل، يحمل ترسًا كبيرًا[١]، وظهور الترس مع هذا الشخص، يُرجح أنه أحد حراس الأمير.

والترس في هذا المنظر من نوعية "كبر التراس" أو التروس المستطالة (شكل ١٨)، يتميز بأنه مستدير من أعلى، منسحب بضيق إلى أسفل، ومنتهيًا بقطع يتيح الارتكاز عليه، أي أنه على شاكلة "الجنويات" أيضًا. ويلاحظ أن الترس مزخرف بخط رأسي في منتصفه، يتوسطه دائرتان صغيرتان مطموستان، وينتهي هذا الخط من أعلى بدائرة صغيرة مطموسة، يعلوها في الجانبين زخرفة على هيئة قوسين صغيرين متدابرين.

(شكل ١٨) رسم على سلطانية من الخزف الميناني، إيران ٦١٦هـ، بمجموعة كير، عمل الباحث، انظر: Grube, E., no. 143

(١) Grube, E., no. 143 . ويلاحظ أن الترس هنا ليس كبير الحجم كالترس السابق، ولكن نظرًا لاستطالة هذه النوعية من التروس -التي تُستخدم غالبًا في التقدم لفتح الحصون- فهي تُوصف بـ "كبر التراس". راجع، ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٥٠.

كما ظهرت التـــروس كذلك على ســـلطانية[1] من الخزف الميناني، ترجع إلى قاشـــان في القرن السابع الهجري/ ١٣م، وعلى هذه السلطانية منظر حربي أمام حصن أو قلعة (لوحة ٦ أ)، وظهر فيه بعض المحاربين المترجلين يقبضون على تروس، يتميز معظمها بأنه من النوع مســـتدير الشكل، ومما يُلحظ أنه قـــد ظهر في حواف بعضها زخرفة ذات هيئة مفصصة تشـــبه الوريدة، في محورها دائرة مطموسة مفصصة أصغر حجمًا (لوحة ٢٠، شكل ١٩ أ).

وبالإضافة إلى النوع السابق من التروس، فقد ظهر في هذا المنظر نوع آخر منها؛ وهي تروس على هيئة الطائرة [2] "Kit- shaped" تميزت بأنها مســـتديرة من أعلى، ومنسحبة باستدقاق إلى أسفل (شكل ١٩ ب)، وهي من نوعيـــة "كبـــر التراس" أو التروس المستطالة، غير أنه يلاحظ أنها ليست مقطوع مـــن أســـفل، كالترسين المستطالين السابقين، ومن ثم فهي ليست من "الجنويات"، بل هي "تبدأ مدورة ثم تجمع أولاً أولاً إلى أن ينتهي آخرها إلـــى نقطـــة محـــدودة كـــرؤوس المعاول" وهو الوصف الذي ينطبق على نوّع التروس المعروفة باسم "الطوارق".

(١) محفوظ في "Freer Gallery"

(٢) Nicolle, D., , pl. 276, p. 253, fig. 19. جدير بالذكر أن هذه النوعية مـــن التـــروس، ظهـــرت بمصر في العصر الفاطمي، وعُرفت باسم "التروس النورماندية"، وسوف يكون لنا معها وقفة؛ حين تناول التروس على الفنون والعمائر الفاطمية.

(شكل ١٩ أ، ب) رسمان على سلطانية من الخزف الميناتي، إيران، ق ٧هـ، بمجموعة فرير، (شكل أ) عمل الباحث، انظر: Pope, A., vol. V, pl. 674، (شكل ب) عن: Nicolle, D., fig. 19.

كما ظهرت التروس أيضًا على طبق[١] من الخزف المرسوم بالبريق المعدني، ينسب إلى "ساوة" في القرن السابع الهجري/ ١٣م، ونرى على هذا الطبق منظرًا قوامه محارب، في مشهد أقرب ما يكون إلى المنظر الاستعراضي، إذ يلاحظ عدم تمثيله لا في موضوع قتال، أو صيد، أو حراسة، بل إنه يحمل فقط أسلحته المتمثلة في سيف يقبض عليه بشماله، وترس في يمينه، ومن غير المستبعد أن يكون هذا المشهد لأحد القادة العسكريين. وعلى أية حال فالترس في هذا المنظر من النوع مستدير الشكل، يلاحظ أنه ظهر من باطنه؛ وقد قبض عليه المحارب من مقبضه (شكل ٢٠).

---

(١) محفوظ في متحف "الهرمتاج". انظر، Pope, A., vol. V, pl. 643, A

(شكل ٢٠) رسم على صحن من الخزف المينائي، إيران، ق ٧هـ، عمل الباحث، انظر: Pope, A., vol. V, pl. 643.

وظهرت التروس كذلك على كسرة[١] من الخزف الميناي، ترجع إلى القرن السابع الهجري/ ١٣م، عليها منظر لفتى مترجل يهجم على آخر[٢]، ويقبض المهاجم بيمينه على سيف، وبشماله على ترس يرفعه أمامه عند مستوى رأسه تقريبًا، والترس هنا من النوع المستدير، وهو مقبب في المنتصف، منحني الأطراف إلى الخارج، ويلاحظ أنه مخصر في الوسط، ويخرج من هذا التخصير إلى الخارج نتوء بارز إلى الأمام (شكل ٢١).

(١) محفوظة في مجموعة خاصة بنيويورك.

(٢) هذا الموضوع مستمد من قصة "منيزة" و"بيزن"، الواردة في "الشاهنامة"، ويظهر هنا "Tûr" يهجم على أخيه خ "raj". للاستزادة راجع، Schmits, B., A Fragmentary Mînâ' i Bowl with Scenes from the Shâhnâma, the Art of the Saljûqs in Iran and Anatolia, Edited by Hillenbrand, California, 1994, pp. 156- 157, pl. 156.

(شكل ٢١) رسم على كسرة من الخزف المينائي، إيران، ق ٧هـ، بمجموعة خاصة بنيو يورك، عمل الباحث، انظر: **Schmits, B., pl. 156**

وعلاوة على الأمثلة السابقة، فقد ظهرت التروس كذلك على سلطانية من الخزف[١] تُنسب إلى ما بين القرنين السابع والثامن الهجريين/ ١٣- ١٤م (لوحة ٢١)، وقد تضمنت هذه السلطانية، دائرة كبيرة في المنتصف، يشغلها محارب راجل، يقبض في يمينه على ترس وفي شماله على سيف، ويحف بهذه الدائرة شريط دائري مشغول برسوم طيور محلقة على أرضية نباتية.

والموضوع في هذا المنظر يذكرنا بمناظر المحاربين ذات الطابع الاستعراضي، إذ أن المحارب هنا لا هو في منظر حرب ولا في منظر حراسة. على أية حال، فالترس هنا من النوع المستدير، يُلحظ أن ظاهره مشغول في المركز بدائرة صغيرة، تخرج منها إلى حافة الترس خطوط منحنية، في هيئة مروحية الشكل (شكل ٢٢)، مما قد يستدل منه على أن الترس مقبب الوسط.

---

(١) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم السجل: ١٨٢٦٥.

ويلاحظ من خلال النماذج السابقة، أنه باستثناء الترس المنفذ على سلطانية الخزف الصفوي، فإن تمثيل التروس قد شاعت على الخزف الإيراني بصفة خاصة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢- ١٣م، وأن هذه التروس ظهرت في موضوعات متنوعة تمثل صيد حيوانات مفترسة، وحراسة الشخصيات المهمة، والمعارك الحربية أو القتال، هذا بالإضافة إلى موضوعات قد تُمثل مناظر تذكارية.

وقد ظهر في هذه الموضوعات كلا الشكلين من التروس -المستديرة، والمستطالة- والنوع المستدير ظهر لنا في أربعة نماذج، أحدها: تميز بحافة ومركز ذات هيئة مفصصة الشكل، والثاني: ظهر الترس من باطنه؛ فلم يُتح التحقق من هيئة ظاهره، أما الثالث: فقد تميز بتقبيبة في وسطه، يتوسطها تخصير؛ خرج منه نتوء بارز، أما الرابع: فتميز بخطوطه المنحنية -التي تخرج من مركز ظاهر الترس- مشكلة هيئة مروحية الشكل، تُشير هيئتها إلى أن الترس مقبب الوسط. أما النوع المستطال فقد ظهر في ثلاثة نماذج، تميزت بأنها مدورة من أعلى وتنسحب باستدقاق إلى أسفل، ولوحظ أن اثنين منها لهما قطع صريح

من أسفل، ومن ثم فهما من نوع "الجنويات"، أما الثالث فإنه غير مقطوع من أسفل، وأقرب ما يكون إلى رأس المعول، ومن ثم فهو من نوع "الطوارق".

المعادن:

يبدو أن التروس لم تكن من بين الأسلحة التي شاع تنفيذها على المعادن الإيرانية، إذ لم أقف من التحف المعدنية الإيرانية إلا على نموذج وحيد تضمنها، وهو عبارة عن صحن من الفضة[1]، يُنسب إلى القرنين الثالث أو الرابع الهجريين/ ٩ -١٠م، عليه حفر يُمثل حصار قلعة[2]. وفيه تظهر مجموعتان من الفرسان يحاصرون القلعة من جانبيها، وقد تسلحوا بأنواع مختلفة من الأسلحة الهجومية والدفاعية (لوحة ٨)، كما تظهر فيها كذلك مجموعة من المحاربين يعتلون القلعة ويدافعون عنها.

وقد ظهرت التروس مع فارسين من فرسان المجموعة التي على شمال الناظر، فأحدهم -وهو الذي يظهر من أسفل- يقبض بشماله على ترس مستدير الشكل، كما أن أحد الفارسين -اللذين من أعلى هذه المجموعة- يحمل بين منكبيه -العاتق- ترسا من النوع المستدير أيضًا.

وعلاوة على ذلك فإن أحد أفراد مجموعة المحاربين المدافعين عن القلعة، يقبض بشماله على ترس من النوع المستدير، كما أن أحدهم يحمل بين منكبيه ترسًا من النوع المستدير أيضًا.

جدير بالذكر أن ابن منكلي أشار إلى أن التراس تُحمل على جهات مختلفة، كأن يُتقلد به في العنق[3]، أو يُتقلد به في العاتق[4]، وذكر أن ذلك يكون عن

---

(١) محفوظ في متحف الهرميتاج.

(٢) انظر، حسن الباشا، الموسوعة، لوحة ٩٥٠، ص٩٤.

(٣) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٣٩.

(٤) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٤٨.

طريق سير -يسمى الحميلة- تُعقد في حلق بطرف الترس، وأنه ينبغي أن تكون هذه الحميلة بمقدار طول مناسب؛ بحيث لا تعوق المحارب عند رميه النشاب، أو مسكه الرمح[1].

العمارة:

وصلتنا تصويرة جدارية[2] منفذة بالألوان المائية -الفريسكو- من نيسابور، تُنسب إلى نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث الهجري/ ٨- ٩م، عليها موضوع صيد، قوامه فارس يرتدي ملابس ثمينة، ويضع على رأسه خوذة، ويمتطي هذا الفارس صهوة جواده الراكض، حاملاً بازًا فوق رسغه الأيسر، ممسكًا عنان فرسه بيمينه، وقد أشار بعض العلماء إلى أن هذا الفارس يربط في سرج فرسه مصطاده؛ الذي يبدو أنه أرنب بري، كما أنه يحمل معه سيفين، هذا بالإضافة إلى ترس مستدير الشكل[3]؛ يظهر معلقًا أعلى سرج الفرس، بالقرب من هادي الفرس (لوحة ٢٢).

وبالإضافة إلى النموذج السابق فقد وصلنا نقش من إيران منفذ على الجص[4]، يرجع إلى القرن الخامس الهجري/ ١١م، قوامه شخص -لعله محارب- مترجل يقبض بشماله على سيف، ويمسك عنان فرسه بيمينه،

---

(١) راجع له، الحيل في الحروب، ص٤٨، التدبيرات السلطانية، ص٣٣٩. وعن الحميلة، ومقدار طولها. راجع، ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٣٩.

(٢) محفوظة حاليًا في متحف طهران.

(٣) ديماند، م. س، الفنون الإسلامية، ترجمة، أحمد عيسى، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٣٨؛ أبو الحمد محمود فرغلي، التصوير الإسلامي، نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١م، ص٦٨؛ وعن هذا المنظر. انظر كذلك، عفيف بهنسي، الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٦م، لوحة ٨٣.

(٤) محفوظ في متحف "اللوفر" بباريس. انظر، Nicolle, D., pl. 251, p. 252, fig. 3

ويلاحظ أنه معلق ترس على الجانب الأيمن من سـرج الفرس، وهذا الترس من النوع مستدير الشكل (شكل ٢٣).

(شكل ٢٣) نقش على الجص، إيران، ق ٥هـ، بمتحف اللوفر، عن: Nicolle, D., fig. 3

وترجع أهمية الترسين في المنظرين السابقين، إلى أسلوب حملهما بتعليقهما في سرجي الفرسين[1]، وحرص الفنان على إظهار التروس هنا، رغم عدم استعمالهما، يُؤكد الحرص على اصطحابها، وإذا كان من الطبيعي أن يحمل المحارب معه ترسه، ولا يستعمله إلا عند القتال، فقد سبقت الإشارة إلى أنه من الضروري أيضًا أن يصطحب الصائد معه ترسه، لحاجته إليه عند صيد الحيوانات

---

(١) رغم أن هناك إشارة تفيد بوجود هذا الأسلوب من حمل التروس في المصادر المكتوبة. راجع، Nicolle, D., p. 252, pl. 251 ، فيبدو أن هذا الأسلوب لم يكن شائع الاستعمال، وقد أورد ابن منكلي أساليب كثيرة لحمل التروس، لم يكن منها هذا الأسلوب. راجع له، الحيل في الحروب، ص٤٨، ٥١. ولعل أكثر الأساليب شيوعًا -ما سبق ذكره- لحمل الترس، هو أن يُتقلد به في العاتق أو في العنق بواسطة الحمائل. عن هذه الطريقة في حمل التروس. راجع، ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٣٩؛ الحيل في الحروب، ص٤٨.

المفترسة، أو عندما يهجم أحدها عليه أثناء الصيد.

ومما سبق يتضح أن التروس قد نفذت على الفنون والعمائر الإيرانية في نماذج ترجع إلى ما بين القرنين الثاني والعاشر الهجريين/ ٨- ١٦م، ويؤخذ في عين الاعتبار غلبة ظهور التروس المستديرة بوجه عام، وأن التروس المستطالة لم تظهر سوى في نماذج ترجع إلى القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢- ١٣م.

العراق:

ظهرت التروس منفذة في الفنون التطبيقية العراقية، على مادتي الخزف والمعادن، كما كان الحال في الفنون التطبيقية الإيرانية، ولكن يُلحظ ندرة النماذج الممثلة على الخزف، وثرائها على المعادن، وهو عكس ما وجدناه في إيران.

الخزف:

المثل الوحيد الذي وقفت عليه لتروس منفذة على الخزف العراقي، ظهر على سلطانية[1] من الخزف ذي البريق المعدني، ترجع إلى القرن الرابع الهجري/ ١٠م، وعلى هذه السلطانية منظر لفارس محارب يستعرض قدراته العسكرية، حيث يظهر رافعًا بشماله ترس من النوع مستدير الشكل، قابضًا عليه من مقبضه، الذي بدا على هيئة شريطين متقاطعين "Cross"، كما يرفع هذا الفارس بيده الأخرى إلى أعلى سيفًا (لوحة ٢٣، شكل ٢٤)، ويلاحظ أن الموضوع هنا لا يُمثل مناظر القتال، أو الصيد، أو الحراسة، مما يرجح أن يكون منظرًا تذكاريًا لأحد الفرسان المحاربين.

---

(١) محفوظة في "Keir Collection"

(شكل٢٤) رسم على سلطانية من الخزف ذي البريـق المعدني، العراق، ق ٤هـ، بمجموعة كير، عمـل الباحـث، انظر: Grube, E., no. 37

المعادن:

ظهرت التروس على المعادن العراقية في تحفة تُعد من أهم ما وصـلنا مـن التحف المعدنية الموصلية، وهو إبريق(١) من النحاس الأصفر المكفت بالفضـة والنحاس الأحمر، من "نقش شجاع بن منعة الموصلي بالموصل" في شهر رجـب سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م، وقد زُين بدن هذا الإبريق بأشرطة أفقية، يتخللها جامات تحتوي على موضوعات تصويرية مختلفة(٢)، وفي إحدى هذه الجامـات؛ يظهـر شخصان يتبارزان: أحدهما يمتطي صهوة جواده، والآخر مترجـل بـالقرب مـن مؤخرة الجواد، ويقبض كل منهما بيمينه على سـيف، وبشـماله علـى تـرس،

---

(١) محفوظ في "المتحف البريطاني" بلندن.

(٢) انظر، Barrett, D., Islamic Metalwork in the British Museum, London, 1949, p. xii, pls. 12- 13; Ward, R., Islamic Metalwork, British Museum, London, p. 80, pl. 59.

والترسان من النوع مستدير الشكل، ولكل منهما دائرة واضحة في المنتصف، لعلها تُعبر عن النهد الذي يكون في منتصف هذه النوعية من التروس (لوحة ٢٤، شكل ٢٥ أ).

ونرى في جامة أخرى بنفس هذا الإبريق منظر مبارزة بالسيوف؛ بين راجلين، كل منهما يقبض أيضًا بيمينه على سيف وبشماله على ترس (شكل ٢٥ ب)، والترسان لا يختلفان في شيء عن هيئة الترسين الممثلين في الجامة السابقة. ويلاحظ على هذا المنظر نجاح الفنان في التعبير عن موضوع المبارزة، واستعمال السيف والترس، وما يتبع ذلك من حركات متنوعة، فبينما نجد أحد المتبارزين -الأيمن- واقفًا على رجليه، مقدمًا اليسرى ومؤخرًا اليمنى، ونصف بدنه الأعلى مشكلاً هيئة زاوية قائمة مع نصف بدنه الأسفل، رافعًا سيفه خلف رأسه، يهم بأن يضرب به غريمه، فإن هذا الغريم؛ يرفع ترسه إلى أعلى في وضع استعداد لتلقي ضربة السيف. ومن ناحية أخرى فيلاحظ أن المبارز الآخر -الأيسر- قد جثم على الأرض بركبته اليمنى، مقدمًا رجله اليسرى إلى الأمام، موجهًا سيفه في وضع طعن إلى أسفل بدن المبارز المنافس، بينما يقوم هذا المنافس بتوجيه ترسه أمامه ولأسفل، مستعدًا لتلقي تلك الطعنة.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فتظهر التروس أيضًا بهذا الإبريق، في مناظر الصائدين المنفذين على الشريط الذي يدور حول البدن[1]، وهي لا تختلف من حيث الهيئة عن التروس المنفذة في الجامتين السابق وصفهما، ويبدو الصائدون في هذه المناظر يصطادون حيوانات بسيوف يقبضون عليها بأيمانهم، ويتترسون بتروس يحملونها بشمائلهم.

(١) انظر، Ward, R., pl. 59

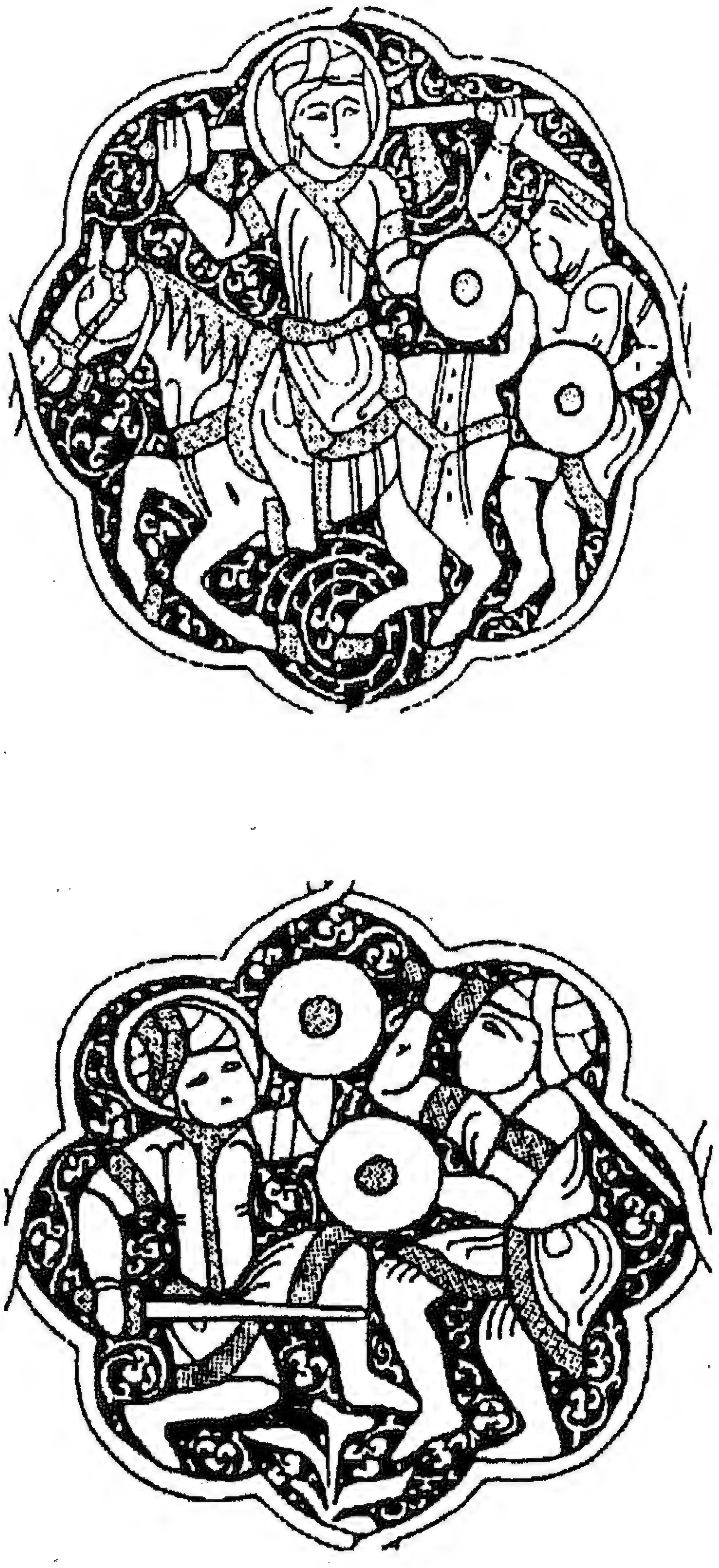

(شكل ٢٥ أ، ب) رسمان على إبريق من النحاس، العراق، ٦٩٢هـ، بالمتحف البريطاني، عن: ويلسون، الرسمان ١٦، ١٧.

كما ظهرت التروس كذلك على المعادن العراقية في منظر مبـــارزة؛ بإحــدى الجامات التي تزين صينية[1] من النحاس الأصفر المكفت بالفضة، وهي تحمل اسم الأمير "بدر الدين لؤلؤ" (٦٣١- ٦٥٧هــ)، والمبارزة تدور رحاها بين راجلــين؛ كل منهما يقبض بيمينه على سيف يرفعه أعلى رأسه، ويقبض بشماله على ترس يوجهه أمامه، وكلا الترسين من النوع المستدير (شكل ٢٦). ويلاحظ هنا قــدرة الفنان ونجاحه في إبراز الحركات المتنوعة التي تصاحب مثل هــذه المبــارزات، وهو ما يتضح في حركات أرجل المتبارزين، وفي حركات ذراعــي كــل منهمــا، الممسك إحداها بالسيف والآخر بالترس.

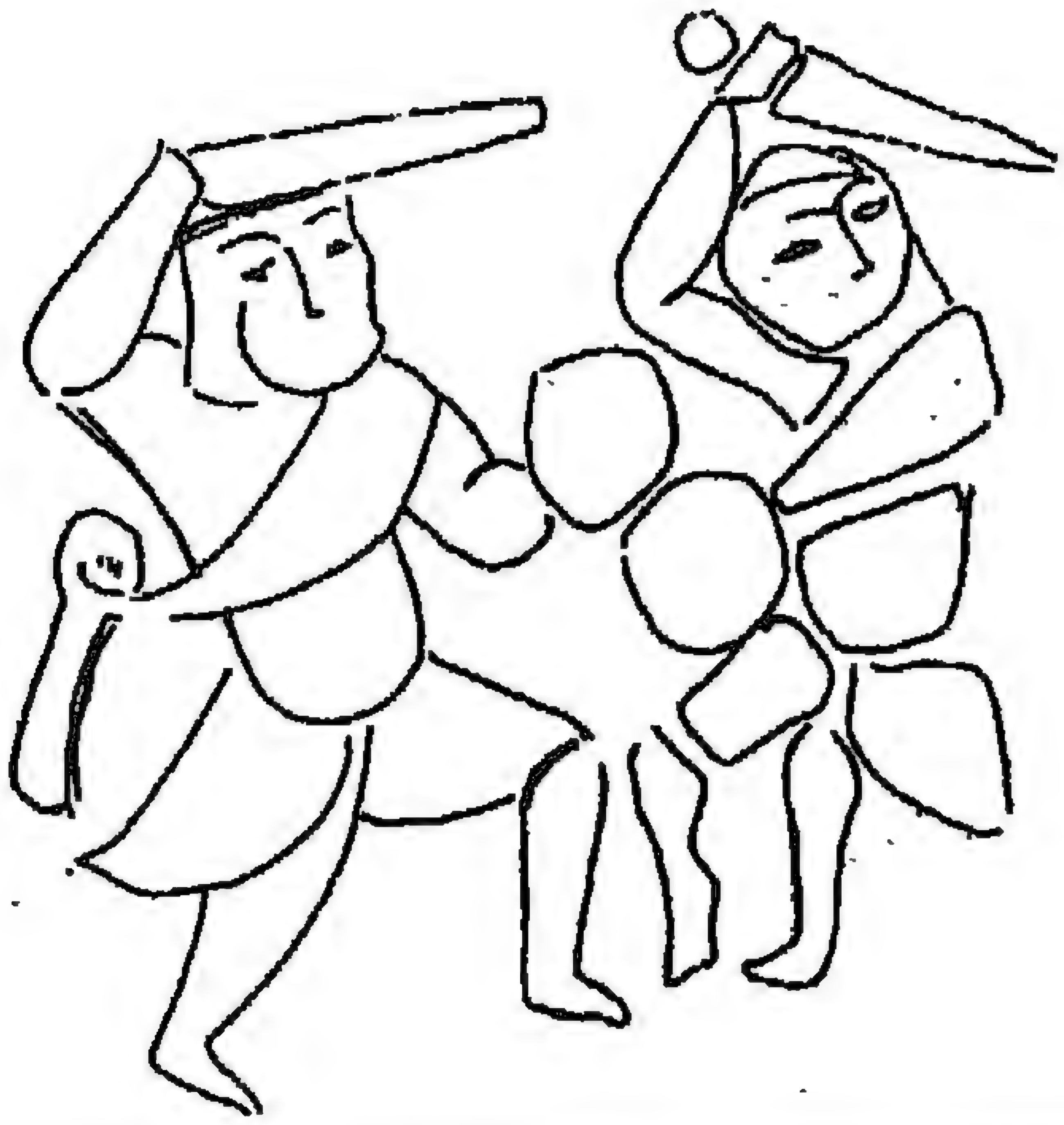

(شكل ٢٦) رسم على صينية بدر الدين لؤلــؤ، (٦٣١- ٦٥٧هـــ) بمتحف الفنون الشعبية بميونخ، عن: العبيدي، شكل ١٠٣.

ومما يُلحظ على التروس التي وصلتنا منفذة على التحــف العراقيــة، أنهــا ظهرت على الخزف في موضوع استعراضي، ربما يكون منظــرًا تــذكاريًا لأحــد القادة العسكريين، أما على المعادن فقد ظهرت في موضوعات تمثــل المبــارزة

(١) محفوظة في متحف "ميونخ". عنها انظر، صلاح حسين العبيدي، شكل ١٣٠.

والصيد، وإن كانت المبارزة هي الأكثر تمثيلاً. ومن الجدير بالذكر أن التروس في جميع النماذج العراقية السابقة، قد اقتصرت على النوع مستدير الشكل، ولم تظهر فيها "كبر التراس"، أو التروس المستطالة؛ التـــي علـــى شـــاكلة الجنويـــات، أو الطوارق.

الأناضول:

وصلنا نقش بارز[١] من قونية يرجع إلى القرن السابع الهجري/ ١٣م، مـــن عهد سلاجقة الروم، قوامه محاربان مترجلان متقابلان، يرتدي كل منهما درعًـــا كاملاً؛ ويقبض بيمينه على سيف، ويعنينا في هذا الموضع أن أحدهما -الأيمـــن- يحمل ترسًا مستدير الشكل، ويُلاحظ أنه يقبض على الترس من مقبضه؛ الذي مُثل على هيئة شريط متسع عند حافة الترس، ويأخذ في الاستدقاق ناحيـــة القبضـــة (شكل ١٤).

وعلاوة على النقش السابق فقد اُكتشفت في منطقة "Bitlis" وفي القـــرى والنواحي المحيطة بها، أعداد كبيرة من شواهد القبور، وقد تضمنت هذه الشواهد التي ترجع إلى ما بين القرنين الثامن والعاشر الهجـــريين/ ١٤- ١٦م، كتابـــات وزخارف متنوعة، يعنينا منها في هذا السياق أنه ظهر على بعضها أشكال تروس مستديرة الشكل (شكل ٢٧ أ)، وعلى كثير منها أشكال تروس مســـتديرة الشـــكل أيضًا، وبجانبها نقوش لسيوف أو خناجر[٢] (شكل ٢٧ ب).

---

(١) محفوظ في متحف "الفن التركي" باستانبول. انظر، Nicoll, D., pl. 22, p. 253, fig. 22

(٢) للاســـتزادة راجـــع، Paktaş, K., Bitlis Çevresind Bilinmeyen Mezarliklar ev Mezar Taşlari, I. Ulslar Arasi Selçuklu Kültür ev Medemiyeti Kongresi, Bildiriler, II. Cilt, Selçuk Ǘniversitesi Selçuklu Araştirmalari Merkezi, Konya, Tűrkiye, 2001, pp. 203- 222.

ب

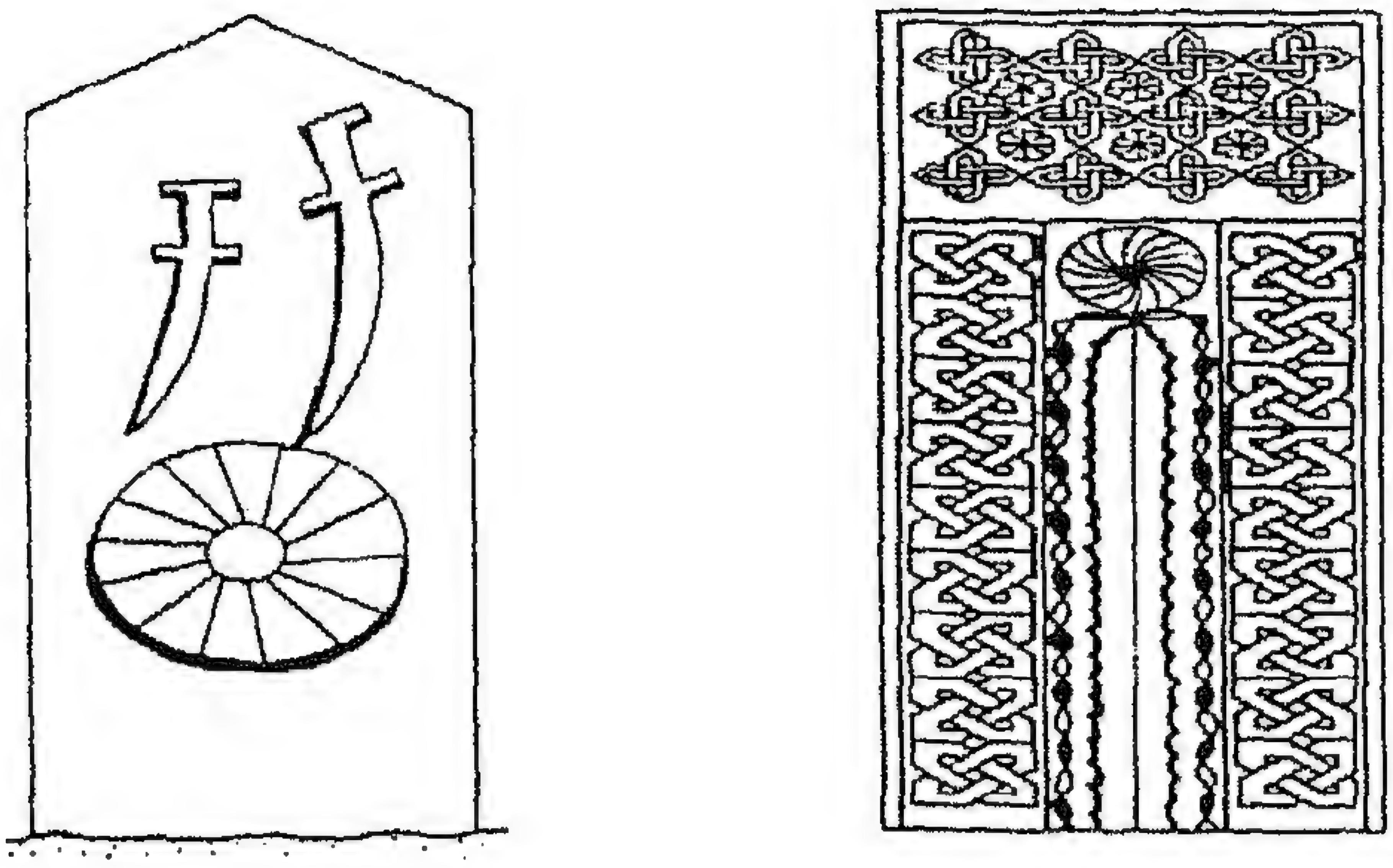

أ

(شكل ٢٧ أ، ب) نقشان على شاهدي قبر، الأناضــول، ق ٨- ٩هـــ، عن: .Pektaş, K., Çizim, 7, 10

سوريا:

ظهرت التروس منفذة في الفنون التطبيقية السورية على الخزف، والمعادن، كما هو الحال في إيران والعراق وعلاوة على ذلك فقد ظهرت ممثلة أيضًا علــى الزجاج.

الخزف:

ظهرت التروس في الخزف السوري منفذة على صحن من النوع المرســوم بألوان متعددة تحت الطلاء[1]، يُنسب إلى مدينة الرقة، في أواخر القرن الســادس الهجري/ ١٢م، وقوام الزخرفة في هذا الصحن؛ منظر لفارس في موضوع صيد، يبدو قابضًا بيمينه على سيف، وبشماله على ترس، يدفعه أمامه ليقي نفسه مــن حيوان مفترس هجم على جواده من الخلف، والترس هنا على هيئة مثلث قاعدته من أعلى، وهو مــزين بزخرفة زجزاجية (شكل ٢٨). ومن الجدير بالذكر غرابة هذا الشكل من التروس، فلا هو مستدير الشكل، ولا مستطال على نحو الجنويــات

(١) محفوظ في متحف برلين. انظــر، Lane, A., Early Islamic Pottery, Mesopotamia, Egypt, and Persia, London, p. 44, pl. 78 A

أو الطوارق، وفي حدود علمي فلم يرد له مثيل فيما بين أيدينا من أوصاف لأشكال التروس، أو فيما وصلنا بالفعل من التروس، كما أنه لا شبيه له منقذ على أي من الفنون التطبيقية أو العمائر الخاضعة للدراسة.

(شكل ٢٨) رسم على صحن من الخزف المرسوم تحت الطلاء، سوريا، ق ٦- ٧هـ، عمل الباحث، انظر، Lane, A., pl. 78 A.

كما تظهر التروس كذلك في تمثال[1] من الخزف المرسوم بألوان متعددة، عُثر عليه في الرقة، يُنسب إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م، وهذا التمثال عبارة عن محارب يمتطي صهوة جواده، متسلحًا بسيف يقبض عليه بيمينه، وبترس في بشماله؛ والترس من النوع مستدير الشكل، تتوسطه دائرة مركزية تخرج منها إلى الحافة خطوط مقوسة، تشكل هيئة مروحية الشكل (شكل ٢٩)، والمنظر هنا لا يُعبر عن موضوع بذاته، كموضوعات الحراسة، أو الصيد، أو المبارزة، لذا فليس من المستبعد أنه يمثل موضوعًا تذكاريًا، لأحد الشخصيات العسكرية.

---

(١) محفوظ في متحف دمشق. عنه انظر، عفيف بهنسي، شكل ٢٩٥.

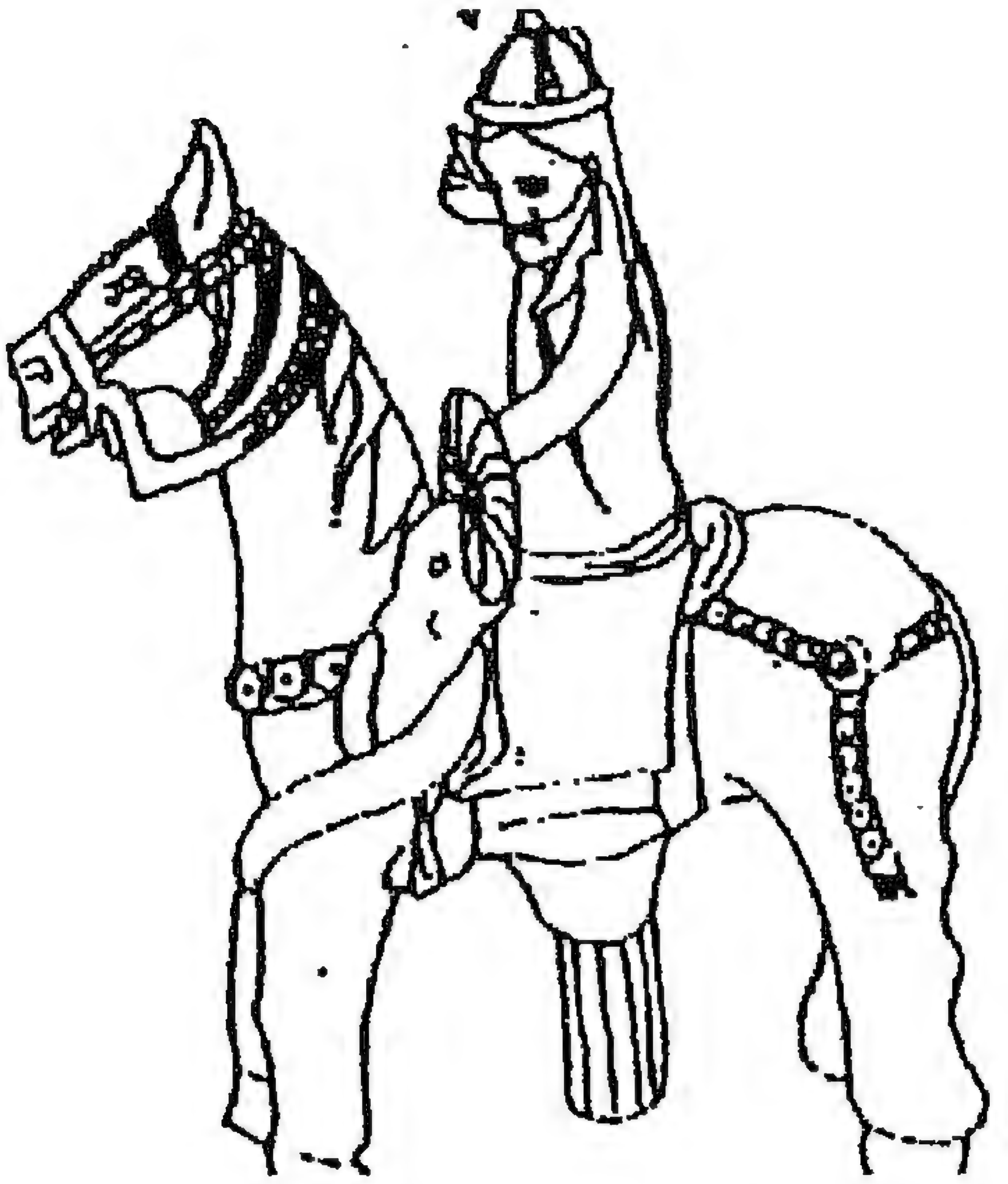

(شكل ٢٩) رسم لتمثال من الخزف المرسوم تحت الطلاء، الرقة ق ٦هـ، بمتحف دمشق، عن: Nicolle, D., fig. 9

وفيما يتعلق بالتماثيل أيضًا، فقد وصلنا سدادة قارورة[١] من الرقة، تُنسب إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م، يعلوها تمثال نصفي لمحارب، يضع على رأسه خوذة مخروطية الشكل، ويقبض بشماله على ترس يرفعه أمامه، وهذا الترس من النوع المستدير، وفي منتصفه دائرة كبيرة الحجم، يحيط بها مناطق دائرية أصغر حجمًا (شكل ٣٠)، ولعل الدائرة الكبيرة الوسطى، تعبر عن النهد؛ الذي يكون في هذه النوعية من التروس، أما الدوائر الصغيرة فهي تُعبر عن البروزات التي تحيط بها.

(١) محفوظة في متحف "Staatliche"، ببرلين. ويؤخذ في عين الاعتبار عدم توافر الإشارة –على وجه التحديد– إلى مادة صناعة هذا التمثال، انظر، Nicolle, D., pl. 256, p. 252, fig. 8

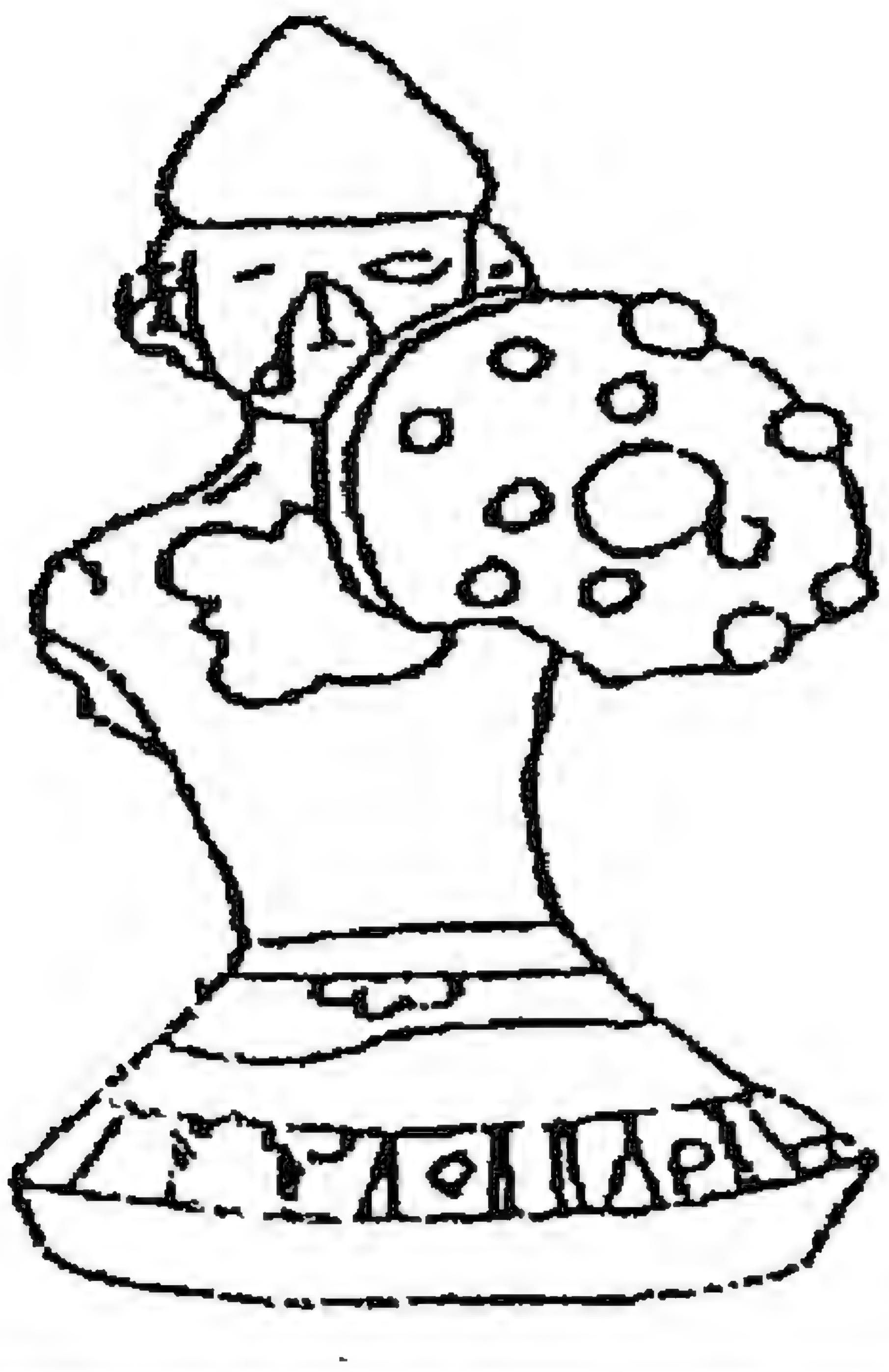

(شكل ٣٠) رسم لسدادة قـارورة، الرقــة، ق ٦هــ، بمتحـف "Staatlich"، عن: Nicolle, D., fig. 8.

الزجاج:

وصلتنا قنينة[١] من الزجاج ذات الزخارف المذهبة والمطلية بالمينا، تُنسب إلى أوائل القرن الثامن الهجري/ ١٤م، ظهر يُزين الجزء الرئيس من بدنها، منظر قوامه مجموعة من المحاربين، يمتطون صهوات جيادهم الراكضة، وقد تسلحوا بمختلف أنواع الأسلحة الهجومية كالسيوف، والرماح، والقسي، والدبابيس[٢]. ويظهر من بينهم فارسان متقابلان يتبارزان بالسيوف، يُلاحظ أن الفارس الواقع منهما على اليمين (لوحة ٢٥)، يقبض بشماله على سيف، بينما يقبض بيمينه على ترس، ظهر من باطنه، وهو ترس من النوع مستدير الشكل.

المعادن:

ظهرت التروس على تحفة معدنية تحمل اسم الملك الأيوبي "الأشرف موسى"

(١) محفوظة في متحف "المترو بوليتان" بنيويورك.

(٢) ديماند، ص٢٤٥.

(٦٢٦- ٦٣٥هـ)، وهي عبارة عن كأس[١] من النحاس المكفت بالفضة، يظهر فيها شريط يحتوي على كتابات حية، يشكل هامات حروفها محاربين، يحمل بعضهم تروسًا؛ من النوع مستدير الشكل[٢]، يلاحظ وجود دائرة في مركزها، تشع منها خطوط تتجه إلى حافة الترس.

كما ظهرت التروس على المعادن السورية في جامة من جامات زهرية[٣] من النحاس المكفت بالفضة، تحمل اسم الملك الأيوبي "الناصر صلاح الدين يوسف الثاني"، (٦٣٥- ٦٥٩هـ)، فبها منظر مبارزة بين شخصين، يمسك كل منهما بالسيف والترس[٤].

وظهرت التروس كذلك على زمزمية[٥] من النحاس المكفت بالفضة، تُنسب إلى سوريا في القرن السابع الهجري/ ١٣م، حيث نجد فيها بعض المحاربين المشكلين لهامات حروف كتاباتها، وقد أمسكوا في شمائلهم رماحًا، ويقبضون بأيمانهم على تروس من النوعية مستديرة الشكل (شكل ٣١)، تميزت بأنها مقببة في المنتصف.

---

(١) محفوظ في "المكتبة الأهلية" بباريس. انظر، عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، جـ١، التحف المعدنية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٦٧، لوحة ٢٩؛ حسين مصطفى رمضان، الكتابات المصورة على التحف المعدنية في القرنين (٦- ٧/ ١٢- ١٣م)، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة (٣٠ نوفمبر- ١ ديسمبر ١٩٩٨م)، ص٤٠٨، ٤٠٩، شكل ٧.

(٢) من الجدير بالذكر، أن المحاربين المشكلين لهامات الحروف، والممسكين بتروس من النوع المستدير، قد ظهروا في ثمة نماذج معدنية أخرى. راجع، حسين مصطفى رمضان، ص٤٠٩، الأشكال ٧، ٨، ١٧- ١٩.

(٣) محفوظة في متحف "اللوفر" بباريس.

(٤) عبد العزيز صلاح سالم، ص١٧٤.

(٥) محفوظة في "Freer Gallery" بواشنطن. انظر، حسين مصطفى، رمضان، شكل ٦؛ وعن هذه الزمزمية راجع، عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص. ص١٦٠- ١٦٣؛ Atil, E., Art of the Arab World, pp. 72- 73

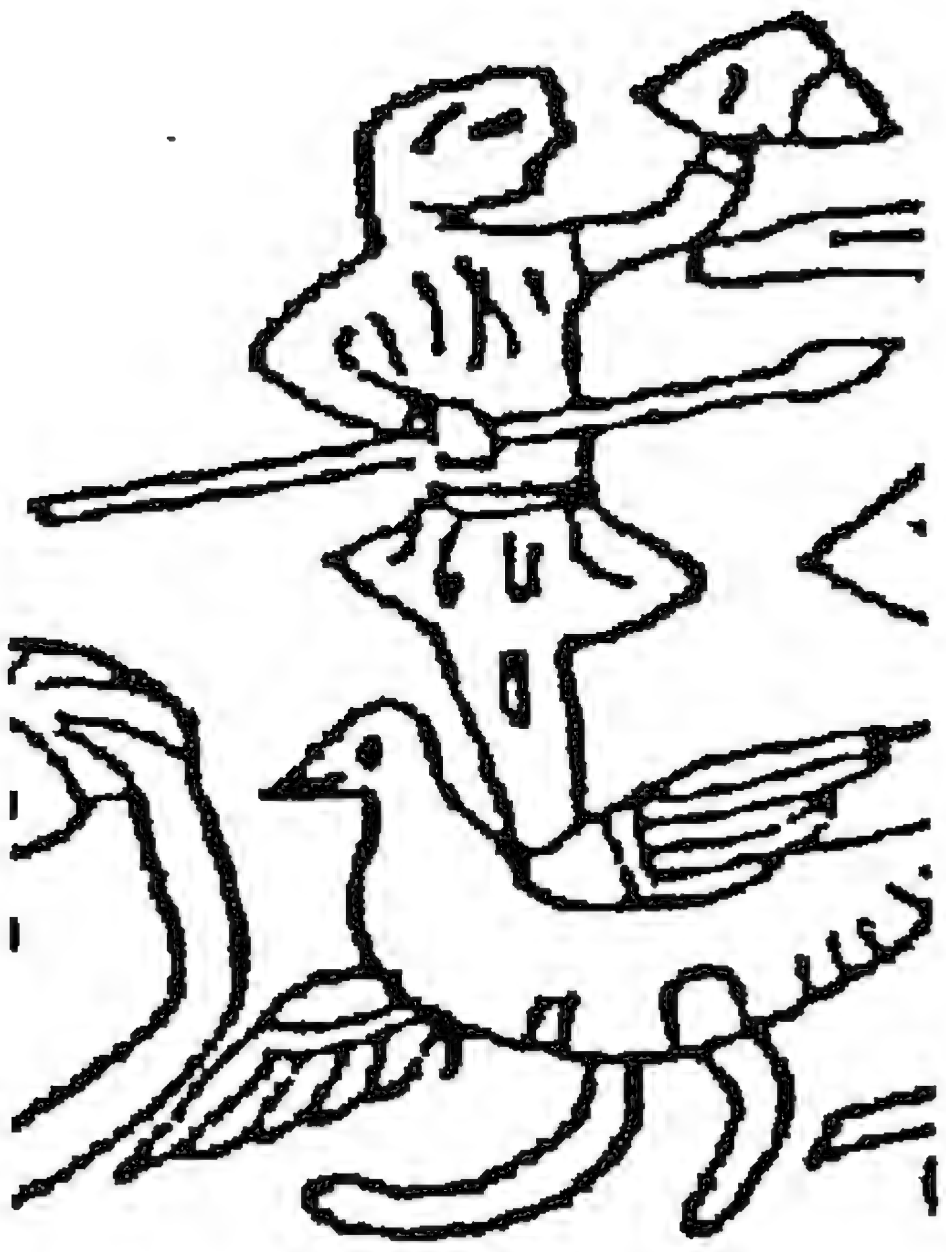

(شكل ٣١) رسم على زمزمية من النحاس، سوريا، ق ٧هـ، بمجموعة فرير، عن: رمضان، شكل ٦.

وعلاوة على ما تقدم، فقد ظهر يُزين أعلى رقاب أحذية بعض الأمـراء فـي الشريط الخارجي الذي يُزين الطست المعروف باسـم "معمدانـة سـان لـوي"، والمنسوب إلى سوريا فيما بين سنتي ٦٨٩- ٧١٠هـ، زخـارف علـى هيئـة التروس، ونجد فيها كلا النوعين من التروس، التروس المستديرة: ونجدها تزين رقبتي حذاء الجمقدار (اللوحتان ١١، ٢٦)، والتروس الخطافية "النورماندية -أو الطوارق": وهي تزين رقبتي حذاء السلاحدار (اللوحتان ١٠، ٢٧)، ورقبتي حذاء الجمدار (لوحة ١١). وإذا كان قد مر بنا حرص الأمراء المماليـك علـى وضـع رنوكهم على "بركستونات" خيولهم، كحرصهم علـى وضـعها علـى منشـآتهم، وأسلحتهم، فهنا دليل على حرصهم أيضًا على وضعها حتى على أحذيتهم.

ومن خلال النماذج السابقة يتضح أن استعمال التروس على التحف السورية، قد ظهر في موضوعات تمثل الصيد، وأخرى تمثل القتال والمبارزة، هذا بالإضافة إلى ظهورها في مناظر لا تمثل موضوعًا بعينه؛ لذا فربما كانـت تمثـل منـاظر

تذكارية لبعض العسكريين. كما يلاحظ أن أكثر ما وصلنا من التروس المنفذة على تلك التحف السورية، هي التروس المستديرة، وإن كنا لم نعدم تمثيل التروس المعروفة باسم "التروس النورماندية" أو "الطوارق"، هذا إلى جانب نموذج فريد تميز بأنه مثلث الشكل.

مصر:

شاع تمثيل التروس إلى حد كبير على كثير من أنواع الفنون التطبيقية المصرية؛ فقد وصلتنا منفذة على الخزف، والخشب، والعاج، والمعادن، والجلد، والنسيج، وبالإضافة إلى ذلك فقد وصلتنا منها نماذج محفورة على بعض العمائر الحربية.

الخزف:

ظهرت التروس على الخزف الفاطمي في كسرة[1] من النوع ذي البريق المعدني، تُنسب إلى القرن الرابع أو الخامس الهجريين/ ١٠- ١١م، عليها منظر قوامه راجل يحمل رمحًا في يمينه، وترسًا في شماله، ويتميز هذا الترس بأنه من أعلى ذو هيئة مستديرة، ومنسحب باستدقاق إلى أسفل (لوحة ٢٨، شكل ٣٢). ورغم وجود كَسْر في نهايته السفلي؛ فيمكننا الإقرار بأن نهاية هذا الترس كانت مدببة الشكل[2]، وهذه النوعية من التروس ظهرت بمصر -كما يرى بعض العلماء- في العصر الفاطمي، بتأثير من الحروب الصليبية، وهي تُعرف باسم التروس "النورماندية"، أو التروس خطافية الشكل[3]، أو التي على شكل المنطاد

---

(١) انظر، Butler, A., Islamic Pottery, London, 1926, pl. IX. F

(٢) يرجع اطمئناننا نظرًا لأن نهاية هذه النوعية من التروس؛ التي ظهرت بمصر خلال العصر الفاطمي، كانت مدببة.

(٣) راجع، محمود إبراهيم حسين، الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، جـ١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٥٢.

أو الطائرة "Kite- shapd"[1]، وسوف يتبين فيما بعد أن هذه التروس هي التروس نفسها المعروفة باسم "الطوارق.

على أية حال فليس في المنظر المصور على هذه القطعة ما يشير إلى موضوع بذاته، ومن ثم فليس من المستبعد أن يكون منظرًا تذكاريًا لأحد المحاربين، أو لأحد حراس القصور الفاطمية.

(شكل ٣٢) رسم على كسرة من الخزف ذي البريق المعدني، مصر، ق ٤ - ٥هـ، عمل الباحث، انظر: Butler, A., pl. IX, F

ونظرًا لعدم ظهور التروس على تحف خزفية ترجع إلى العصر الأيوبي، فننتقل من التروس المنفذة على الخزف الفاطمي إلى تلك التي ظهرت في العصر

(١) راجع، Creswell, K., The Muslim Architecture of Egypt, vol. I, Ikhshids and Fatimids, A. D. 939- 1171, Oxford, 1951, p. 213؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، (دراسة آثارية حضارية للتأثيرات الفنية الوافدة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، جـ ١، ص٧٣١، ٧٣٢.

المملوكي، حيث نجد أن التحف المملوكية الفخارية المطلية، قد احتوت على أعداد هائلة من الرنوك[1]؛ التي ظهر أغلبهـا داخـل دوائـر علـى هيئـة التـروس المستديرة[2] (شكل ٣٣).

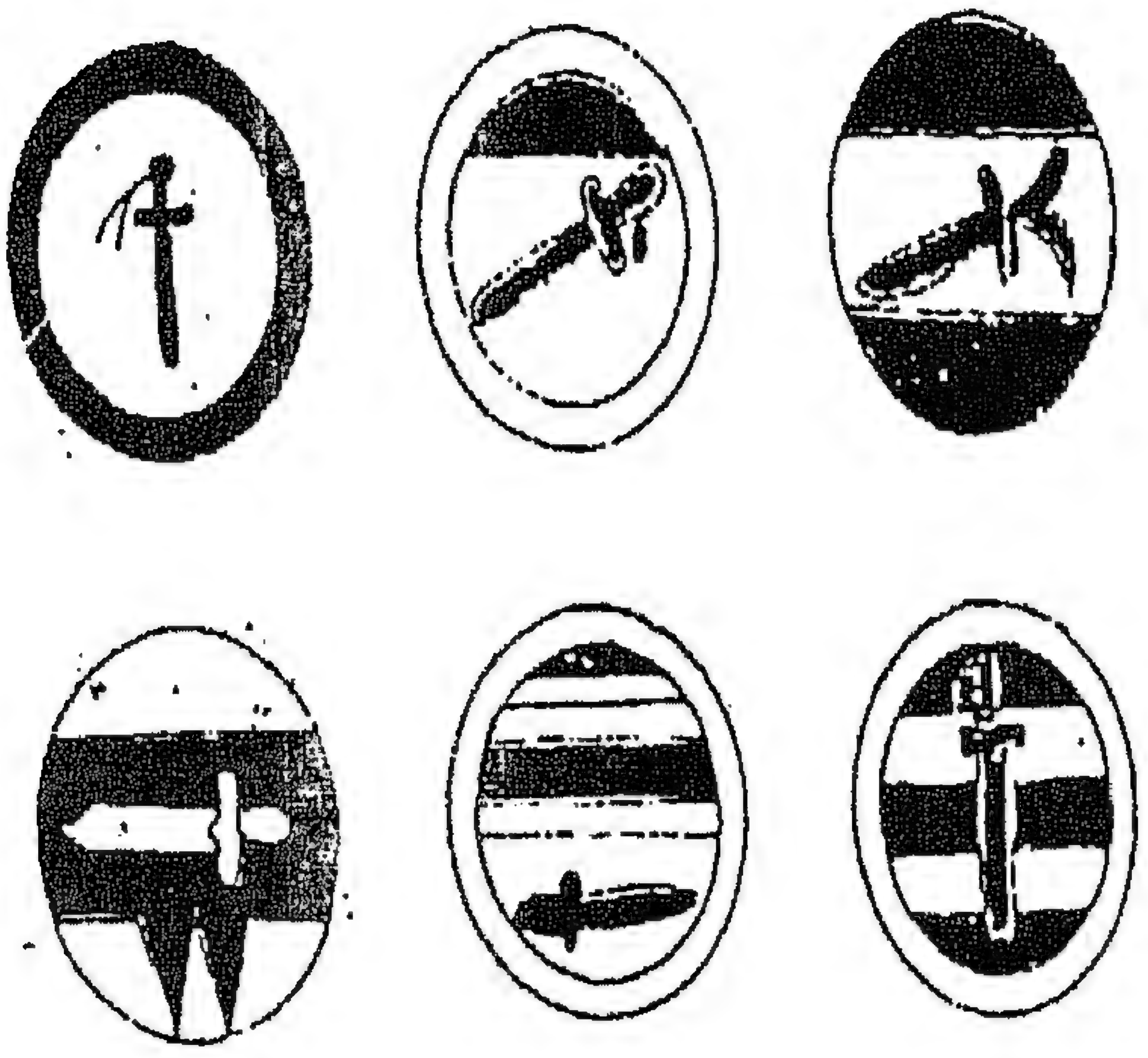

(شكل ٣٣) رسوم لرنوك على هيئة تروس مستديرة، مصر في العصر المملوكي، عن: عبد الرازق، شكل ١.

وبالإضافة إلى ذلك فنجد هيئة الترس "النورماندي" السابق وصفه، قد ظهـر في كثير من رنوك العصر المملوكي (شكل ٣٤)، وتضمن بداخله شعارات مثـل،

(١) راجع -على سبيل المثال- أحمد عبد الرازق، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، الجمعيـة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الحادي والعشرون، ١٩٧٤م، ص٧٩؛ مايسة محمـود داود، الرنوك الإسلامية، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ/ فبراير ١٩٨٢م، ص٣٥، ٣٨. جدير بالذكر أن شعارات الرنوك بداخل الأشكال المستديرة -التي على هيئة التروس- شاعت في كثير من العمائر و الفنون المملوكية، كالزجاج، المعادن، الرخام، النسيج وغير ذلك. راجع، Atil, E., Art of the Mamluks, pp. 26, 29, 30, 39, 46, 50, 52, 94, 95, 109, 110, 124

(٢) وهي تتشابه مع أشكال التروس التي وصلتنا بالفعل من العصـر المملـوكي. انظـر، محمـد مصطفى نجيب، اللوحتان ٥، ٧.

السيف[١]، والوردة[٢]، والكأس[٣]، والبقجة[٤]، والشطف[٥]، وزهــرة الزنبــق[٦]، والنسر[٧]، والحدوة[٨] وغيرها.

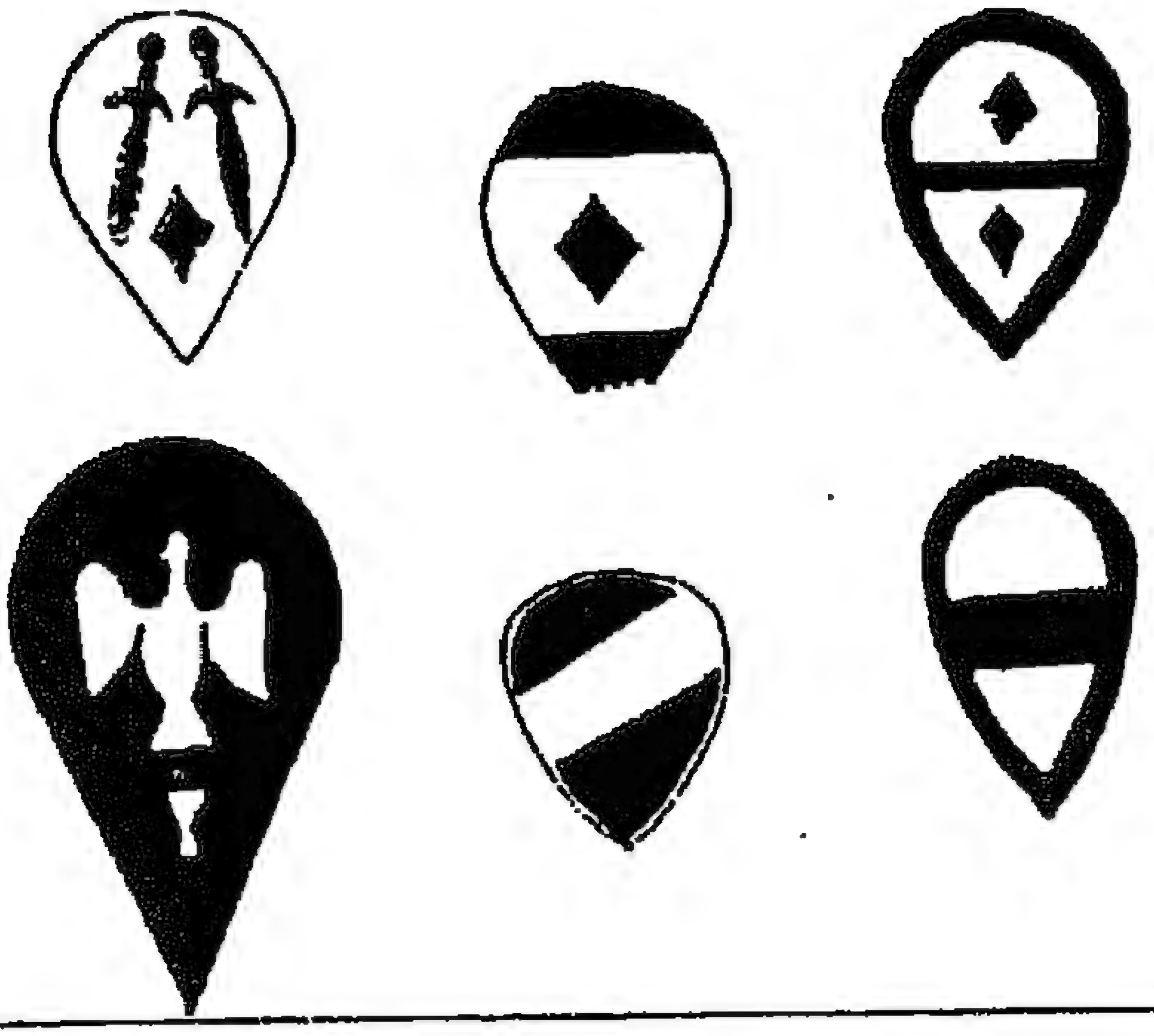

شكل ٣٤) رسوم لرنوك على هيئة تروس خطا فية الشكل، ل، عن: عبد الرازق، الشكلان ١، ٣، عدا رنك النســر، عــن داود، شــكل

الجدير بالذكر ذلك الاتجاه الذي يرى أن هناك احتمالاً قويًا بأن تكون الرنوك التي تم تمييزها على التحف والعمائر المملوكية، ليست إلا تمثيلاً للتروس التــي استخدمت بالفعل في الحرب، مستشهدًا على ذلك بتلك التروس "النورماندية"، التي جاءت على هيئة الترس الذي استخدمه الصليبيون في حروبهم، واقتبسه مــنهم

(١) انظر، Mayer, L, A., Saracenic Heraldry, Oxford, MCMXXXIII, pls. IX 3, 9

(٢) انظر، Mayer, L., pl. IV. 10؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٩.

(٣) انظر، Mayer, L., pl. VI 11؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٤.

(٤) انظر، Mayer, L., pl. VIII 10؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٣.

(٥) انظر، Mayer, L., pl. 15- 17؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٦.

(٦) انظر، Mayer, L., pl. V 11؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٨.

(٧) انظر، Mayer, L., pl. III 9؛ أحمد عبد الرازق، شكل ١٠.

(٨) انظر، Mayer, L., pls. XII 10- 11 ؛ أحمد عبد الرازق، شكل ٢.

المسلمون أثناء تلك الحروب. وقد دعم صاحب هذا الرأي قوله بما ورد ويُفيد أن هناك رنوكًا استخدمها الأمراء المماليك وغيرهم، كانت تُحمل أثناء المعارك الحربية ليتم التعرف على أصحابها خلال سير المعركة[١]، بمعنى أن التروس التي استخدمها المماليك في حروبهم، واحتوت على رنوكهم، كانت المثال المُحتذى لتلك الرنوك التي وجدناها على فنونهم وعمائرهم، وأن هذه الرنوك تدلنا على أشكال التروس التي استخدمها المماليك في حروبهم[٢].

والحق فإننا نميل إلى وجود علاقة قوية بين الرنوك المملوكية، سواء أكانت دائرية، أم خطافية الشكل –"التروس النورماندية"– وبين التروس التي أُستخدمت بالفعل في الحروب[٣]، وإن كان في ذات الوقت لا يغيب عن ذهننا، أن كلا النوعين من هذه التروس –الدائرية والخطافية– قد استخدمتا بكل تأكيد خلال العصر الفاطمي.

ويجب أن نأخذ في عين الاعتبار أنه طالما وجدنا كلا النوعين من التروس –المستديرة والخطافية– بمصر خلال العصر الفاطمي، وفي العصر المملوكي كذلك، فمن الطبيعي وجودهما أيضًا خلال العصر الأيوبي، وإن كان لم يصلنا من العصر الأيوبي –كما سيتضح فيما بعد– غير التروس مستديرة الشكل[٤]، أما النوع

---

(١) عبد الغني محمد عبد الله، الرنك (الفن القديم المتجدد)، مجلة الفيصل، العدد (٩٤)، ربيع الثاني ١٤٠٥هـ، السنة الثامنة، كانون الثاني، يناير ١٩٨٥م، ص١٠٩.

(٢) راجع، حسين عليوه، السلاح المعدني، ص٤٠٤.

(٣) اتضح من خلال دراسة الشعارات التي وردت على الرنوك المملوكية، أن معظمها كانت لوظائف ذات صبغة عسكرية يتقلدها –كما ورد في المصادر التاريخية– "أرباب السيوف" من المماليك. محمد مصطفى، الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، مارس، ١٩٤١م، ٢٦٩.

(٤) جدير بالذكر أن الترس المستدير ظهر في بعض تصاوير المخطوطات الأيوبية، حيث نجده منفذًا مرتين في تصويرة من مخطوطة "الأربع بشائر"، وهي محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس، وترجع إلى سنة (٥٧٦هـ). راجع، أبو الحمد محمود فرغلي، تصاوير المخطوطات في عصر الأيوبيين، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة =

خطافي الشكل أو ما يُعرف باسم "الترس النورماندي" فلم يظهر في أية نماذج وصلتنا من هذا العصر.

جدير بالذكر أنني وقفت على نص في غاية الأهمية أورده الدواداري ضمن إشارته إلى أحداث سنة ٣٧٣هـ، وهو يتناول أخبار دمشق في العصر الفاطمي، واستفحال أمر شخص يسكن دمشق اسمه قسام الزَّبَّال[1] أثناء خلافة العزيز؛ الذي سير له جيشًا أخمد حركته، حيث ذكر أن قسام هذا كان قد اتخذ رنكه "القحف[2] على الطوارق"[3]، والطوارق هذه كما تقدم نوع من التروس المستطالة، وسوف يتبين فيما بعد أنها نفسها التروس التي عُرفت بين الباحثين باسم "النورماندية"، والتي ظهرت في العصر المملوكي منفذًا عليها كثير من الرنوك (شكل ٣٤).

= القاهرة، ١٩٨١م، ص٢٣، شكل ٢٥ ب. كما ظهر الترس المستدير منفذًا كذلك في تصويرة من مخطوطة "تبصرة أرباب الألباب" لابن الطرسوسي، وهي محفوظة في المكتبة البودلية بأكسفورد، وترجع إلى حوالي (٥٨٣- ٥٨٩هـ). راجع، أبو الحمد محمود فرغلي، تصاوير المخطوطات، ص١٩٤، لوحة ١٠٢.

(١) جدير بالذكر أن ابن كثير أرخ لقسام هذا، وذكر أنه لم يكن زبالاً بل ترّابًا. للاستزادة عنه. راجع، ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٦، جـ ١١، ص٣١١، ٣١٢. كما أرخ له الذهبي وذكر أنه كان ترابًا على الحمير، وأنه كان يركب بقحف من ذهب. راجع، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٣م، جـ ١٠، ص٢٠٢، ٢٠٣؛ وللاستزادة عن قسام الزبال. راجع، ابن الأثير، أبي الحسن علي، الكامل في التاريخ، جـ ٧، ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) للقحف معان كثيرة، فهو: القَدَح. والقحف: الفِلْقَةُ من فِلَق القصعة إذا انْثَلَمَتْ، وإناء من خشب نحو قحف الرأس، كأنه نصف قدح. والقحف: كمِكنَسَةِ المِذْراةُ يُقحف بها الحَبُّ، أي: يُـذْرَى. والقحف: المَغرفة، جمعها: القحوف. الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١١٢٢، ١١٢٣؛ ابن منظور، مج ٩، ص٣٣٠. ولَما كان قسام يعمل زبالاً، فأظن أن المقصود بالقحف ها هنا: إما المغرفة التي يغرف بها التراب، أو القصعة التي يجمع فيها التراب!

(٣) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، جـ ٦، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق، صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ص٢١٠.

وتُشير المعلومة التي ذكرها الدواداري إلى واقعية نقش الرنوك على التروس، وهو الأمر الذي يؤكد صحة التوجه بشأن التروس التي احتوت على رنوك في العصر المملوكي، وأنها قد احتذت أشكال التروس الفعلية، بل وأهمية هذه الإشارة تتعدى ذلك، حيث تدل على أن نقش الرنوك على التروس كان معروفًا منذ العصر الفاطمي، وطالما أنه كان معروفًا في العصر الفاطمي والعصر المملوكي، فالأرجح أنه كان معروفًا كذلك خلال العصر الأيوبي.

الخشب:

باستثناء العصر الفاطمي، فلم أقف على تمثيل للتروس على الخشب، وقد ظهرت هذه التروس على الخشب الفاطمي في غير موضع بحشوات بيمارستان قلاوون[1]، فمن المشاهد التي نراها منفذة على هذه الحشوات؛ منظر صيد قوامه فارس يطعن فهدًا بحربة قابضًا على ترس من النوع مستدير الشكل، ومنها كذلك منظر لراجلين يتبارزان بالسيوف، وكل منهما يقبض على ترس من النوع المستدير أيضًا (شكل ٣٥).

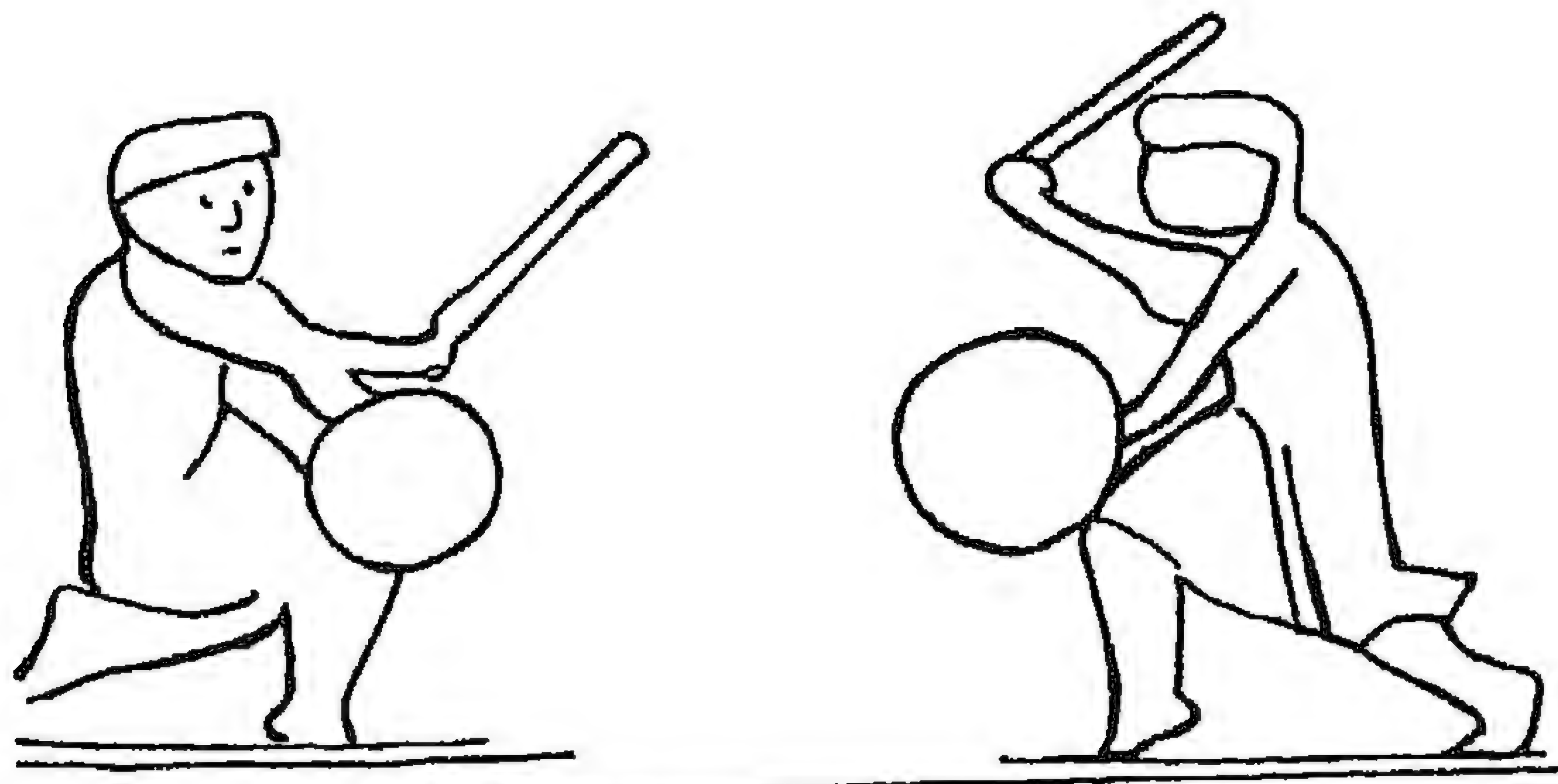

(شكل ٣٥) رسم على حشوة من الخشب الفاطمي، بحشوات بيمارستان قلاوون، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

(١) انظر، Pauty, E, M., Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, les Bois Sculptés Jusqu'a l' Epoque Ayyoubide, le Caire, 1931, pls. XLVI, LI, LVI.

العاج:

لا يختلف حال العاج عن الخشب، إذ لم أتوصل إلى تمثيل التروس عليه إلا في حشوة من العصر الفاطمي[1]، وهي حشوة مستطيلة الشكل، عليها ثلاثة مناظر، قوامها بأعلى الحشوة: صائد بالباز على ظهر جواده، وبأسفل الحشوة: سيدة في هودج، وفي الوسط: راجل يمسك في يده رمح، ويحمل ترسًا[2] من النوع مستدير الشكل، يتميز بكبر حجمه، حتى أنه يغطي كامل ظهر حامله (شكل ٣٦).

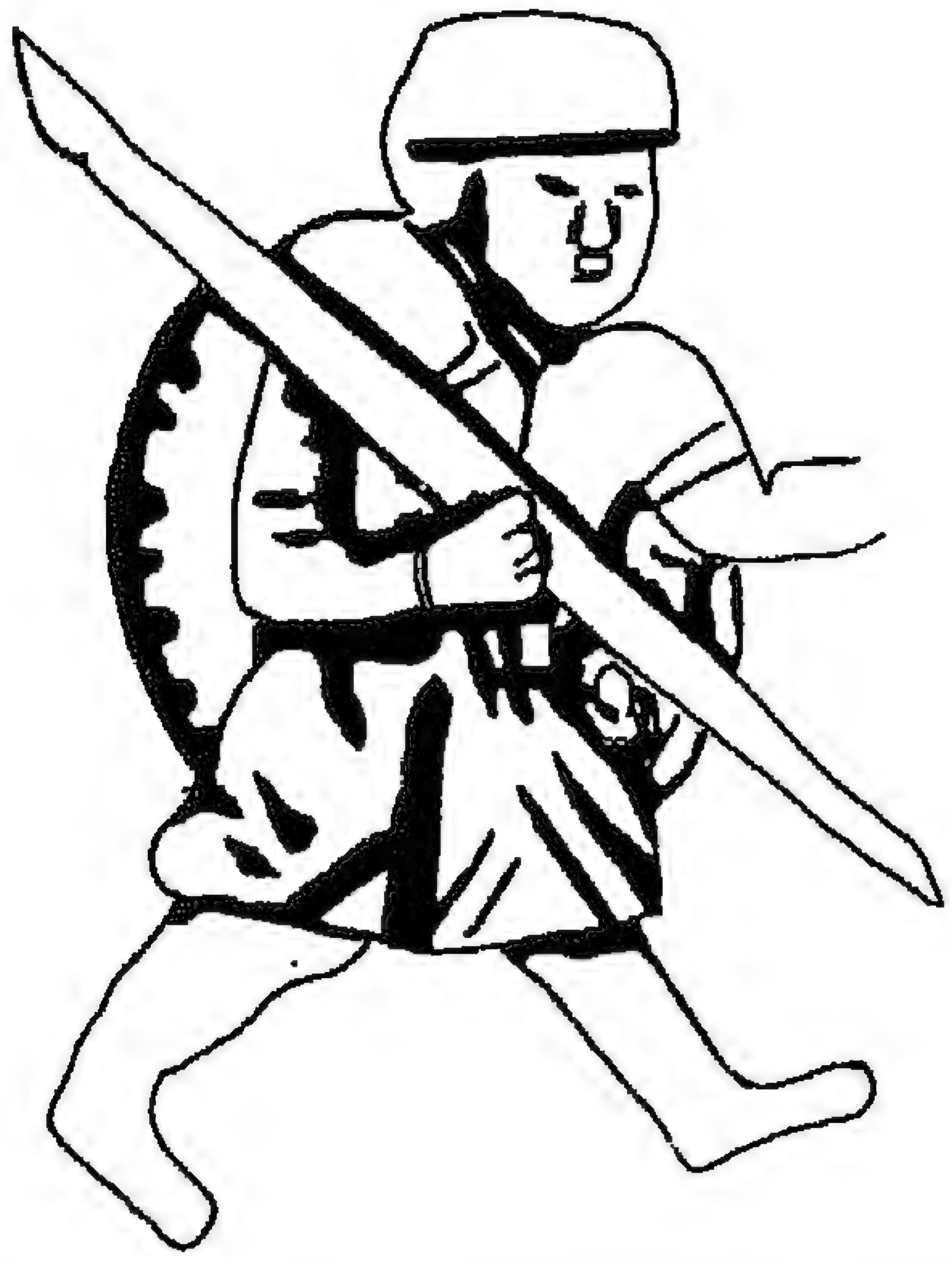

(شكل ٣٦) رسم على حشوة من العاج الفاطمي، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، عمل الباحث.

المعادن:

لم تصلنا أية نماذج ظهرت عليها التروس في تحف معدنية ترجع إلى مصر قبل العصر الأيوبي، أما في العصر الأيوبي فقد ظهرت في كثير من التحف

(١) محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم السجل: ٥٠٢٤.

(٢) زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٢٥، لوحة ٥٦.

المصنوعة في مصر أو المنسوبة إليها، ومنها طست[1] من النحاس الأصفر المكفت بالفضة، يعود تاريخه إلى ما بين سنتي (٦٣٦- ٦٣٨هـ)، وهو من صناعة الفنان المشهور "أحمد الذكي النقاش الموصلي"، فنرى عليه منظرًا قوامه راجلان يتبارزان، وقد حمل كل منهما في يمينه سيفًا وفي شماله ترسًا[2]؛ من النوع ذي الشكل المستدير، تميز أحدهما بوجود دائرة صغيرة في مركزه، تخرج منها إلى الحافة الخارجية للترس؛ خطوطًا مقوسة في هيئة مروحية الشكل، أما الترس الآخر فقد تميز بوجود أربع دوائر صغيرة، قرب حده الخارجي (شكل ٣٧ أ).

كما ظهرت التروس كذلك في منظر صيد بهذا الطست، حيث نجد فيه صائدًا مترجلاً يطعن سبعًا بحربة يمسكها بشماله، بينما يقبض بيمينه على ترس يدفعه أمامه أعلى رأس السبع، في مواجهة طائر. والترس هنا من النوع المستدير كذلك، ونظرًا إلى أنه يظهر من جانبه، فقد أتيح التحقق من وجود النهد في وسطه (شكل ٣٧ ب).

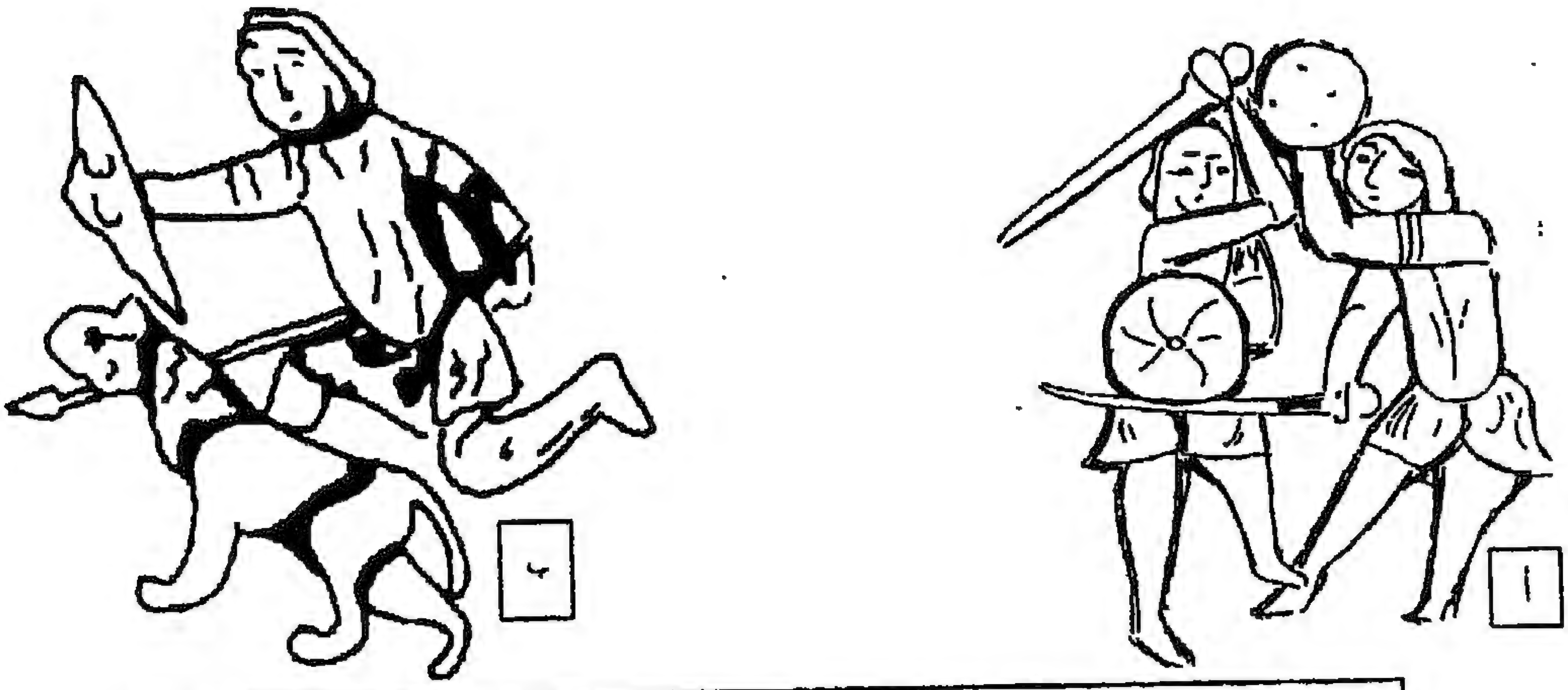

(شكل ٣٧ أ، ب) رسمان على طست من النحاس، مصر فيما بين ٦٣٦- ٦٣٨هـ، شكل أ عن: العبيدي، شكل ١٠٢، شكل ب عمل الباحث.

---

(١) محفوظ في متحف "اللوفر" بباريس.

(٢) عبد العزيز حميد وآخرون، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، بغداد، ١٩٨٢م، ص١٩٣، شكل ١٨٨.

كما نجد التروس كذلك منفذة على صندوق من النحاس المكفت بالفضة[١]، يحمل اسم السلطان "العادل الثاني" (٦٣٥- ٦٣٧هـ)، حيث ظهر في جامة من الجامات التي تزين بدنه؛ منظر صيد قوامه راجل يقبض بيمينه على سيف، يهم أن يضرب به حيوانًا مجنحًا، بينما يقبض بشماله على ترس من النوع المستدير، مشابه في هيئته للترس الذي في التحفة السابقة.

وظهرت التروس كذلك في العصر الأيوبي على بدن مبخرة[٢] "العادل الثاني"، إذ يُلحظ أن المحاربين المسلحين الذين يشكلون هامات الحروف في الكتابات المصورة أو الحية على بدن المبخرة، قد قبض بعضهم على تروس، تميزت بأنها مستديرة الشكل أيضًا.

أما بالنسبة للمعادن في العصر المملوكي، فنجد التروس قد ظهرت في إحدى الجامات بمبخرة[٣] من النحاس المكفت بالذهب والفضة، ترجع إلى القرن الثامن الهجري/ ١٤م، والتي نرى فيها منظر صيد قوامه فارس يقبض على ترس[٤].

---

(١) محفوظ في متحف "South Kensington". عنه انظر، Lane- Poole, S., The Art of Saracens in Egypt, London, MDCCCLXXXVI, Fig. 80

(٢) كانت ضمن مجموعة شريف صبري بالقاهرة، وحاليًا ضمن مجموعة "كير". راجع، نادية حسن أبو شال، المبخرة في مصر الإسلامية، دراسة حضارية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م، ص. ص١٢٧- ١٣٠؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص. ص١٦٨- ١٧٠. ونسب بعض العلماء هذه التحفة إلى بلاد الشام، راجع، Fehérvari, G., Islamic Metalwork of the Eight to The Fifteenth Century in the Keir Collection, London, 1976, pp. 103- 104, mo. 129.

(٣) محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم السجل: ٢٤٠٧٨.

(٤) عبد العزيز صلاح سالم، الرياضة عبر العصور، تاريخها وآثارها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١١٤.

وظهرت التروس كذلك على المعادن المملوكية، في الشريط الكتابي السفلي برقبة شمعدان "كتبغا"، الذي يُنسب إلى سنة (٦٩٤هـ)، والكتابات هنا من نوعية الكتابات المصورة أو الحية، ويلاحظ أنه يُشكل هامات حروفها مناظر لمحاربين متسلحين بمختلف أنواع الأسلحة، وقد قبض بعضهم على تروس[١]؛ رغم أن جميعها ذات شكل مستدير، فقد تنوعت أشكال أظهُرها، فبعضها تميز بدائرة صغيرة في مركزه، وبعضها الآخر له نفس هذه الدائرة؛ ولكن يخرج منها خطوط مقوسة تتجه إلى الحافة، فيأخذ الترس زخرفة على هيئة مروحية الشكل، كما أن هناك تروسًا ظهرت لنا في وضعة جانبية، فبدت أنها مقببة الشكل، وذات نهد في منتصف التقبيبة (شكل ٣٨).

(شكل ٣٨) رسوم على شمعدان كتبغا، مصر، حوالي ٦٩٤هـ، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، عمل الباحث.

الجلد:

وصلنا رسم منفذ على الجلد[٢]، من مصر في العصر المملوكي، مما كان

(١) حسن الباشا، شمعدان كتبغا، القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٥٢٨، الأشكال ١٢٣- ١٢٥.

(٢) محفوظ في القسم الإسلامي من متاحف الدولة ببرلين.

يستعمل آنذاك في لعبة خيال الظل، وقوام هذا الرسم، سفينة عليها "توتية" وثلاثة من المحاربين[1]؛ يمسك كل منهم قوسًا. ومما يُلحظ أنه يتصل بأعلى كل قوس ترس مستدير الشكل، كما يتصل به من أسفل ترس من النوع خطافي الشكل "النورماندي"، (شكل ٣٩).

وعلاوة على ذلك، فيلاحظ أن السفينة مزينة بثلاث وحدات دائرية الشكل، لا تخطئ العين، في أنها مُثلت على هيئة التروس المستديرة، ويتوسط كل ترس دائرة، بداخلها زخرفة، يُلحظ أن زخرفة الدائرة الوسطى، مكونة من شريط مضفور، على شاكلة نفس الترسين المستديرين اللذين ظهرا في توشيحتي عقد مدخل باب النصر، كما سيتبين فيما بعد. وظهور التروس على تلك السفينة، يتناسب مع الموضوع الحربي المنفذ عليها، وسوف يمر بنا أن بعض المنشآت الحربية الفاطمية والأيوبية، قد مُثل عليها أشكال التروس، ولعلنا نستدل من ظهورها هذا، أن هذه السفينة من السفن الحربية؛ التي كانت تُستعمل في العصر المملوكي.

(شكل ٣٩) رسم على الجلد، مصر في العصر المملوكي، بمتحف الدولة ببرلين، عمل الباحث، انظر: تيمور، شكل ٣٣.

---

(١) أحمد تيمور، التصوير عند العرب، أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات، زكي محمد حسن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م، شكل ٣٣، ص٢٥٨.

النسيج:

يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بقطعة من نسيج الصوف السـميك[1]، تُنسب إلى القرن الثالث الهجري/ ٩م، عليها رسم قوامه محارب زنجـي، واقـف ينظر في زهو وخيلاء، وعلى فمه ابتسامة واسعة، وكأنه يتحدى من يرغب فـي مبارزته، ويمسك هذا المحارب بسيف أو هراوة في يمينه تميل أفقيًا فوق كتفـه، ويمسك في يده الأخرى ترسًا (شكل ٤٠)، ويُلاحظ أن الفنان قـد تـرك النصـف العلوي لهذا الزنجي عاريًا، كما زين عنقه بعقود تتدلى على صدره، ووضع فـي وسطه خنجرًا يرتفع إلى صدره[2].

والترس المنفذ على هذه القطعة من النوع المستدير، يُلحظ أنه غير مسـتو من الأمام بل مقبب، ولعل أهمية الترس هنا ترجع إلى أنه أقدم ما وصلنا للتروس المنفذة على الفنون الإسلامية في مصر بوجه عام.

(شكل ٤٠) رسم على قطعة من النسيج، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، مصر، ق ٣هـ، عمل الباحث، انظر، محمد مصطفى، لوحة ١.

---

(١) رقم السجل: ١٤٣٣٢.

(٢) محمد مصطفى، تصوير الحياة اليومية في الفن المصري، مجلة المجلة، العـدد الأول، ينـاير ١٩٥٧م؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر، جـ ١، ص٥٨٤، شـكل ٤٠٥.

العمارة:

أما وإن انتقلنا إلى العمارة في مصر، فقد ظهرت التروس على نموذجين من العمارة الحربية، أحدهما من العصر الفاطمي، والآخر من العصر الأيوبي.

فمن العصر الفاطمي نرى التروس في الطابق الثاني بباب النصر (٤٨٠-٤٨٥هـ)، حيث نجد منها ثلاثة في واجهة كل برج من برجي البوابة، وواحدة أخرى في كل برج تطل على الممر المكشوف، وواحدة مع سيف في كل توشيحة من توشيحتي عقد مدخل البوابة.

ومما يُلحظ أن كلاً من الثلاثة تروس التي تظهر في واجهة كل برج، قوامها في المنتصف ترس ذي هيئة خطافية الشكل "نورماندي"، على جانبيه ترسان من النوع مستدير الشكل. والترس الأوسط "النورماندي"؛ نهايته العلوية مستديرة الشكل، تنسحب إلى أسفل باستدقاق، وله حافة خارجية بارزة، مشغولة بأشكال دائرية صغيرة متماسة، ويلاحظ أن متنه مقبب تقبيبة خفيفة، تنحدر بانحناء إلى الأطراف الخارجية، ويوجد في الجزء العلوي منه شكل دائري بارز (لوحة ٢٩، شكل ٤١ أ). أما الترسان الجانبيان المستديران في كل واجهة، فهما متشابهان في الشكل مختلفان في التفاصيل، وأحدهما[1] يتميز بأنه مستدير من أعلى مخصر في الوسط، ويوجد في وسط التخصير دائرة بارزة (لوحة ٣٠، شكل ٤١ ب). أما التروس الباقية فتتميز بأنها أقرب إلى التقبيب. وذات أطراف منحنية إلى الخارج، ويوجد في منتصف كل منها دائرة بارزة، تحيط بها ست وحدات بارزة سداسية الشكل، يشغل منتصف كل منها دائرة (لوحة ٣١، شكل ٤١ جـ).

أما بالنسبة للترسين المستديرين الواقعين على جانبي توشيحتي عقد المدخل، فقد تميز كل منهما بأنه مقبب، ويشغل هذه التقبيبة زخرفة قوامها شريط مجدول،

---

(١) يقع في الطرف الخارجي بالبرج الأيمن للداخل إلى البوابة.

يشكل هيئة نجمية، يتوسطها شكل وريدة[1] (لوحة ٣٢).

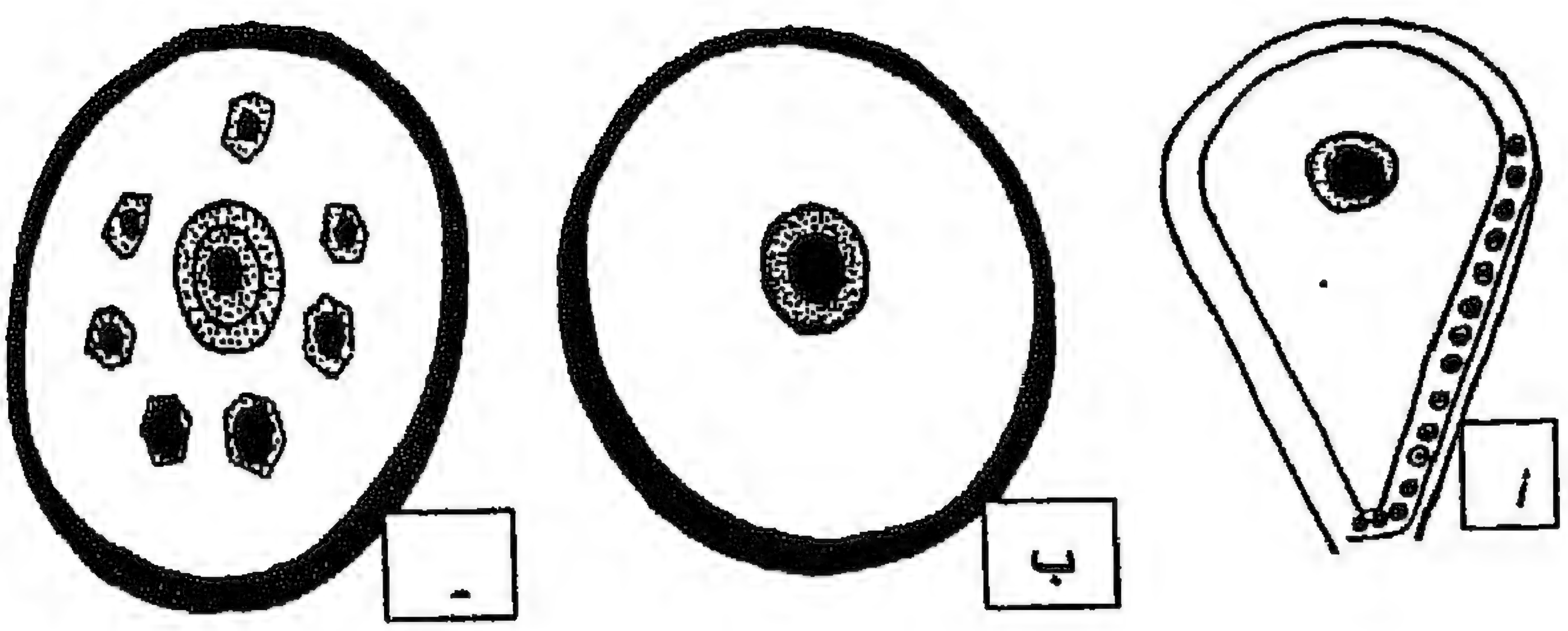

(شكل ٤١ أ، ب، جـ) رسوم لتروس على باب النصر، مصر، العصر الفاطمي.

أما فيما يتعلق بالتروس التي وصلتنا منفذة على العمائر الأيوبية، فقد ظهر في قلعة الجندي بسيناء (٥٨٣ هـ) -على جانبي النقش التأسيسي الذي يعلو مدخل هذه القلعة- ترس مستدير الشكل بجانب سيف[2]، ويحتوي هذا الترس على دائرة صغيرة في منتصفه، وأربعة دوائر أخرى قرب حافته الخارجية (شكل ٤٢). ومن الجدير بالذكر أن "صلاح الدين الأيوبي" كان قد اتخذ من السيف والترس شعارًا لدولته[3].

(١) راجع، عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر، جـ١، ص٧٣٢.

(٢) عبد الرحمن زكي، الأعلام وشارات الملك في وادي النيل، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨م، شكل ص٧٨.

(٣) عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، ص٢٧٧.

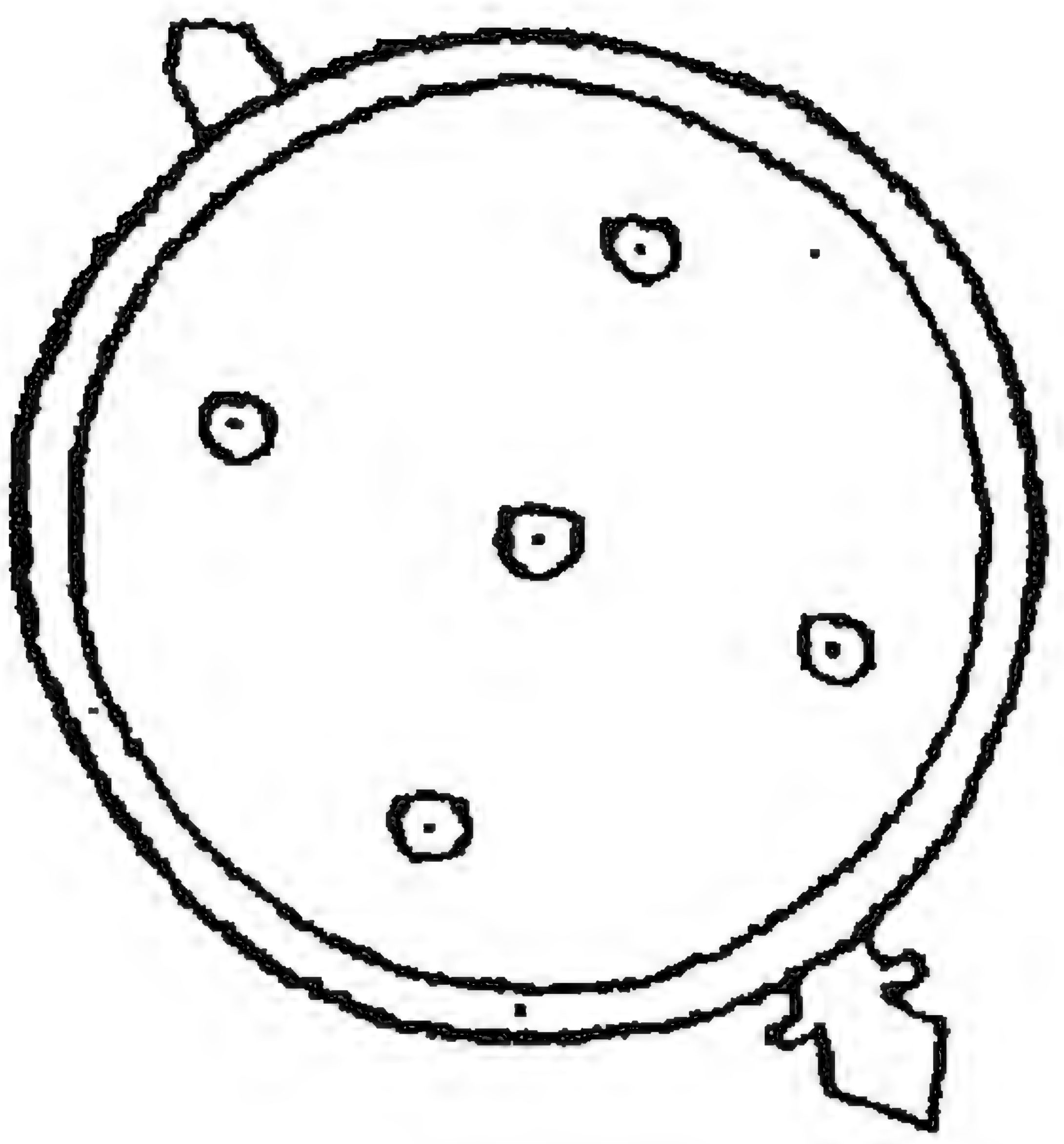

(شكل ٤٢) رسم ترس على قلعة الجندي بسيناء، العصر الأيوبي، عن: عبد الرحمن زكي، الأعلام وشارات الملك.

ومما سبق يتضح تنوع الموضوعات التصويرية التي ظهرت فيها التروس على التحف المصرية، فمنها موضوعات تمثل الصيد، وأخرى لموضوعات ذات طابع حربي، ومنها موضوعات تُمثل المبارزة، وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت التروس بغرض رمزي على بعض العمائر الحربية، هذا إلى جانب الرنوك المملوكية التي جاءت على شاكلة التروس التي استعملت بالفعل في الحروب. أما من حيث أشكال هذه التروس، فقد وجدنا منها تروسًا مستديرة الشكل، وأخرى ذات هيئة خطافية الشكل "تورماندية".

وقبل أن نترك التروس المنفذة على الفنون التطبيقية والعمائر في مصر، نود الإشارة إلى أن التروس قد ظهرت في بعض التصاوير المنفذة على الورق الفاطمي، ومنها تصويرة(١) تنسب إلى القرن الرابع الهجري/ ١٠م، عليها منظر لفارس يمتطي صهوة جواده الراكض، يقبض بشماله على ترس من النوع مستدير الشكل (شكل ٤٣).

---

(١) محفوظة في مجموعة "الأرشيدوق رينر" بالمكتبة الأهلية بباريس. عنها انظر، زكي محمد حسن، أطلس الفنون، شكل ٨٤٩، ص٥١، ٥٢.

(شكل ٤٣) رسم على الورق، مصر في العصر الفاطمي، بمجموعة الأرشيدوق رينر، عمل الباحث، انظر: حسن (زكي)، أطلس، شكل ٨٤٩.

كما يهمنا التأكيد بصفة خاصة على تصويرة أخرى على الورق[1]، ترجع إلى العصر الفاطمي أيضًا، عليها منظر يُمثل معركة حربية كاملة، يلاحظ أن المحاربين يمسكون تروسًا أحدها فقط من النوع مستدير الشكل، أما الباقي فهي تروس خطافية الشكل أو "تورماندية"[2] (شكل ٤٤). وقد نسب بعض العلماء هذه التصويرة إلى نهاية العصر الفاطمي، وذلك بناء على ظهور التروس "النورماندية" فيها، معتمدًا في ذلك على أن هذه التروس كانت من معدات الصليبيين الحربية فترة اشتداد الغارات الصليبية على سواحل مصر[3]. على أنه يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار، أن التروس "النورماندية"، ظهرت بمصر على تحفة من الخزف تُنسب إلى القرن الرابع أو الخامس الهجري/ ١٠- ١١م، بل وظهرت في تاريخ

(١) محفوظة في المتحف البريطاني بلندن. انظر، زكي محمد حسن، أطلس الفنون، شكل ٨٥٣؛ **Ettinghausen, R., Painting in the Fatimid Period: A reconstruction, Ars Islamica, New York, 1986, p. 122, fig. 30**

(٢) محمود إبراهيم حسين، جـ ١، ص٥٢.

(٣) راجع، محمود إبراهيم حسين، جـ ١، ص٥٢. وعن نسبة هذه التصويرة إلى أواخر العصر الفاطمي، انظر أيضًا، حسين عليوه، السلاح المعدني، ص٣٩١، ٤٠٤.

محدد ببوابة النصر (٤٨٠- ٤٨٥هـ)، أي في أواسط العصر الفاطمي تقريبًا، وهي فترة لم تكن الحروب الصليبية قد اشتدت أو ربما لم تكن قد بدأت بعد[1]، فهل هذا يعني أن هذه النوعية من التروس لم تجد طريقها إلى مصر عبر الحروب الصليبية كما يرى بعض العلماء؟

الحق أن هذا الاحتمال يقلب الأمر رأسًا على عقب، وإذا صح ذلك فليس لنا من توجه نحو معرفة مصر في العصر الفاطمي لاستخدام هذا النوع من التروس، إلا أن نشخص بأبصارنا تجاه بيزنطة؛ إذ أن هذا النوع من التروس كان مستعملاً لدى جيشها، ورأيناه هناك في بعض المخطوطات المصورة، وظهوره في باب النصر -كما يرى بعض العلماء والباحثين- يؤكد وثوق العلاقة الفنية بين مصر في العصر الفاطمي وبيزنطة[2].

ولعل القضية التي ربما يكتنفها الغموض هنا، ما يُمكن أن يثار حول الصلة بين ما عُرف في العصر الفاطمي باسم " التروس النورماندية" التي نُسب ظهورها في مصر إلى الحروب الصليبية، وبين التروس المعروفة باسم "الطوارق"؛ والتي نُسب ظهورها في العصر الأيوبي للحروب الصليبية أيضًا، واستمر استعمالها خلال العصر المملوكي.

فهل التروس التي ظهرت لنا على الفنون والعمائر في مصر الفاطمية، ووسمها أكثر العلماء والباحثين باسم التروس "النورماندية"، نوع يختلف عن التروس المعروفة باسم "الطوارق"، والتي ورد ذكرها مرارًا في المصادر التي اهتمت بتاريخ الأيوبيين والمماليك؟ وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي ملاحظة أن

---

(١) كانت بدايتها بحصار الصليبيين لمدينة "أنطاكية"، سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م. للاستزادة، راجع، محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م، ص٥١ وما بعدها.

(٢) راجع، Creswell., vol. I, p. 213؛ عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر، جـ١، ص٧٣٢.

الطوارق كانت تتميز بأنها "مستطالة...، تبدأ مدورة ثم تجمع أولاً أولاً إلى أن ينتهي آخرها إلى نقطة محدودة كرؤوس المعاول"، وهي بذلك تتشابه في هيئتها مع ما يُعرف باسم "التروس النورماندية" التي ظهرت منفذة على الفنون الفاطمية، وإذا كان في ذلك ما يوحي بأن ما يُعرف باسم التروس "النورماندية" هي "الطوارق" نفسها، فإحقاقًا للحق؛ فإن إحدى الدراسات قد أدركت هذه الصلة ووسمت تلك التروس "النورماندية" باسم "الطوارق"[1]، وإذا كان في ذلك ما يؤكد على أن ما يُعرف باسم التروس "النورمانية"، هي "الطوارق" نفسها، فهذا يُدعم القول بأن "الطوارق"، عُرفت في مصر منذ العصر الفاطمي، وأن ذلك كان قبل زمن الحروب الصليبية.

ولعل من المفيد الأخذ في عين الاعتبار أن مصطلح "التروس النورماندية" هذا؛ لم يرد في حدود علمي في أي من المصادر التاريخية العربية، واعتقد أنه مصطلح مستحدث استعمله أكثر الآثاريين، للدلالة على هذه النوعية من التروس التي دخلت إلى العالم الإسلامي عن طريق أوربا، ونظرًا لندرة ما وصلنا عن التاريخ الحربي والأسلحة الفاطمية، بالقياس بما وصلنا عنها في العصر الأيوبي -الذي شهد نشاطًا ملموسًا في المؤلفات التي اهتمت بهذا الأمر- ناهيك عن أن "الطوارق" ظهرت بكثافة مع الصليبيين في حروبهم مع الأيوبيين آنذاك، فمن المرجح أن المؤرخين الأيوبيين والمماليك من بعدهم، قد استعملوا المصطلح الأصيل المتعارف عليه آنذاك وهو "الطوارق".

وفي هذا الصدد يجب ألا يغيب عن ذهننا ما سبق ذكره بأن المؤرخ المملوكي "الدواداري" ذكر ضمن إشارته إلى أحداث سنة ٣٧٣هـ -وهو يتناول أخبار دمشق في العصر الفاطمي- خروج شخص يُدعى قسام الزبال على الخليفة الفاطمي العزيز، وقال: إن قسام هذا كان قد اتخذ رنكه "القحف على الطوارق"[2]،

---

(١) راجع، حسين عليوه، السلاح المعدني، ج ٦، ص٣٨٥، ص٣٩١، ٤٠٤.

(٢) الدواداري، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، ص٢١٠.

ولعل في ذلك ما يدل على أن هذا المصطلح كان معروفًا منذ العصر الفاطمي، وربما احتج البعض على أساس أن هذا المؤرخ قد استخدم المصطلح المتعارف عليه في عصره! وإذا كان هذا أمر وارد كورود استعماله للمصطلح الذي كان معروفًا في العصر الفاطمي، فإنني أميل إلى أنه لم يستخدم هذا المصطلح عشوائيًا، خاصة أن "للطوارق" هيئة تميزها عن سائر التروس الأخرى، والسؤال الذي يطرح نفسه إذا لم تكن هذه التروس عُرفت في العصر الفاطمي باسم "الطوارق"؛ فبماذا كانت تُعرف؟! وليس لدينا -حسب ما توافر من الأدلة المادية- أدنى شك في أنها كانت معروفة في العصر الفاطمي، بنفس الشكل الذي عُرف في العصر المملوكي، والذي استخدم فيه المصطلح نفسه "الطوارق"، وهو المصطلح نفسه الذي عُرف في العصر الأيوبي للدلالة على هذه التروس.

وأيًا كان الأمر فلعل ما سبق، قد يجعلنا نراجع أنفسنا بصفة عامة بشأن التروس غير المستديرة -خاصة التروس "النورماندية" أو"الطوارق"- والمراجعة هنا ليس بشأن كون هذه التروس غير إسلامية الأصل، بل بشأن تاريخ ظهورها في العالم الإسلامي، أو الطريق الذي أتت منها إليه.

(شكل ٤٤) رسم على الورق، مصر في العصر الفاطمي، بالمتحف البريطاني، عن: عبد العزيز حميد وآخرين، شكل ١٨٥.

المغرب:

يبدو أن التروس لم يشع تمثيلها على الفنون والعمائر في بلاد المغرب الإسلامي، والمثل الوحيد الذي وقفت عليه منها، ظهر على كسرة[1] جرة من الخزف المرسوم بألوان متعددة تحت الطلاء، تُنسب إلى القرن الرابع أو الخامس للهجرة/ ١٠- ١١م، فيظهر عليها منظر لفارس يمتطي صهوة جواده، ممسكًا بشماله رمحًا، بينما يقبض بيمينه على ترس يرفعه إلى أعلى، ومن المرجح أن هذا الموضوع، يمثل عرضًا عسكريًا أو ما شابه ذلك[2]. والترس هنا من النوع المستدير، ونظرًا إلى أنه يظهر من باطنه، فقد أتاح تبين مقبضه؛ الذي جاء على هيئة أشرطة متقاطعة (لوحة ١٧، شكل ١٥).

الأندلس:

ظهرت التروس بشكل رئيس في الفنون الأندلسية منفذة على العاج، كما أنه من حسن الحظ أنه وصلتنا تصاوير جدارية أندلسية، احتوت كذلك على تمثيل لها.

العاج:

ظهرت التروس منفذة غير مرة على صندوق مستطيل الشكل[3]، مؤرخ بسنة

---

(١) محفوظة في متحف "بناكي" بأثينا. انظر، Philon, H., pl. VI. A

(٢) راجع، عبد الناصر ياسين، مناظر الفروسية، تحت النشر.

(٣) محفوظ في كاتدرائية "بنبلونا" بأسبانيا. انظر، مورينو، مانويل، جوميث، الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٥٧، ٣٦٨، شكل ٣٦٣؛ محمد عبد العزيز مرزوق، التحف المصنوعة من العاج (صفحات من الفن الإسلامي في الأندلس)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع عشر، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٥٥م، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٧م، ص١١؛ السيد عبد العزيز سالم، فن العاج واستخداماته، الفن العربي الإسلامي، جـ ٣، الفنون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٧م، ص. ص٢١٤- ٢١٦، لوحة ص٢٠٧.

٣٩٥هـ، نُقش عليه موضوعات مختلفة (لوحة ٣٣ أ)، منها منظر لمحاربين يركب كل منهما فوق ظهر فيل، ويمسك بإحدى يديه سيفًا وبالأخرى ترسًا مستديرًا (لوحة ٣٣ ب).

كما مُثل على الصندوق نفسه، منظر لفارسين يمتطيان صهوتي جواديهما، وقد ظهرا وهما يقتتلان، حيث يقوم أحدهما بتسديد طعنة رمح إلى غريمه، فيوجه هذا الغريم ترسه مقابلاً لتسديدة الرمح، والترس الذي يحمله من النوع مستدير الشكل كذلك (لوحة ٣٣ جـ).

وبالإضافة إلى ذلك فنرى على هذا الصندوق أيضًا منظرًا لصائد مترجل، يحمل في شماله رمحًا يطعن به أسدًا هجم عليه من الخلف، بينما يمسك في يمينه ترسًا مستديرًا؛ يحمي به نفسه من أسد آخر يهجم عليه من الأمام (لوحة ٣٣ د، شكل ٤٥)، ومن الجدير بالذكر أنه نقش في حافة هذا الترس عبارة نصها: "بسم الله بركة من الله يمن وسعادة"، وفي الوسط عبارة: "عمل خير"[١].

(شكل ٤٥) رسم على صندوق من العاج، الأندلس ٣٩٥هـ، عمل الباحث، انظر: مورينو، شكل ٣٠٣

(١) السيد عبد العزيز سالم، تحف العاج الأندلسية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت، ص٦٠.

العمارة:

وصلنا عدة تصاوير[1]، كانت تُزين جدران قاعة أحد منازل "البرطل" في الحمراء[2] بغرناطة، وهي تُنسب إلى القرن الثامن الهجري/ ١٤م. وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه التصاوير احتوت على موضوعات شتى، تُمثل مناظر من الحياة العامة، والاحتفالات، ومشاهد الصيد، ومشاهد الحرب، وعودة فرقة من الفرسان إلى معسكراتها وغير ذلك، وأن ما تبقى من هذه الموضوعات المصورة، فهي تُزين الجدار الشرقي والغربي من الحجرة، وقد رُسمت هذه الموضوعات بكل جدار في أربعة أشرطة، الشريط العلوي: يتضمن مناظر الصيد، وفي الشريطين الثاني والثالث: رسم الخيام والجنود والأسرى والماشية، وفي الشريط الرابع: رسم لمناظر الطرب.

وقد ظهرت التروس من نوع الدرق (شكل ٤٦ أ، ب) في أكثر من موضع في الشريط العلوي بالجدار الشرقي، ففي أقصى يسار هذا الشريط؛ رسم لفارسين متواجهين بينهما شجرة، وأحد هذين الفارسين يحمل سيفًا ودرقة. ويلي هذين الفارسين شخص يحمل سيفه على كتفه، ويبدو أنه يقبض بشماله على درقة، يتقي بها هجوم أسد في مواجهته. كما يظهر كذلك في هذا الشريط منظر لفارس ثالث معه سيف ودرقة[3]. ويظهر في الشريط الثاني بنفس هذا الجدار، رسوم تُمثل جنودًا من فرق مختلفة، يهمنا الإشارة إلى أن من بينهم حملة السيوف والدرق[4]. وبالإضافة إلى ذلك فيظهر في الشريط الثالث بهذا الجدار أيضًا، موضوعات تصويرية مختلفة، يعنينا منها مجموعة الجنود الفرسان، إذ يظهر من

---

(١) محفوظة حاليًا في متحف الحمراء.

(٢) راجع ما ورد عنها عند دراسة الدروع.

(٣) راجع، جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص. ص٢٠- ٢٢؛ وانظر، ثروت عكاشة، لوحة ٢٦٣ من أسفل.

(٤) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص٢٦.

بينهم رسم لفارس معه رمح ودرقة، كما يظهر كذلك ثلاثة فرسان آخرين معهم رماح، وسيوف، ودرق[١].

كما ظهر في الشريط الثاني بالجدار الغربي، مجموعة من الجنود الفرسان المدججين بمختلف أنواع الأسلحة، يعنينا أحدهم وهو يحمل رمحًا ودرقة، وآخر يحمل علمًا ودرقة[٢]. وعلاوة على ذلك فيظهر في الشريط الثالث بنفس الجدار؛ مجموعة من الفرسان يحملون أسلحتهم الهجومية، كما يحملون أيضًا الدرق. كما يظهر في هذا الشريط أيضًا منظر لأسد يهجم على فارس بيده درقة ومعه رمح يطعن به أسدًا[٣].

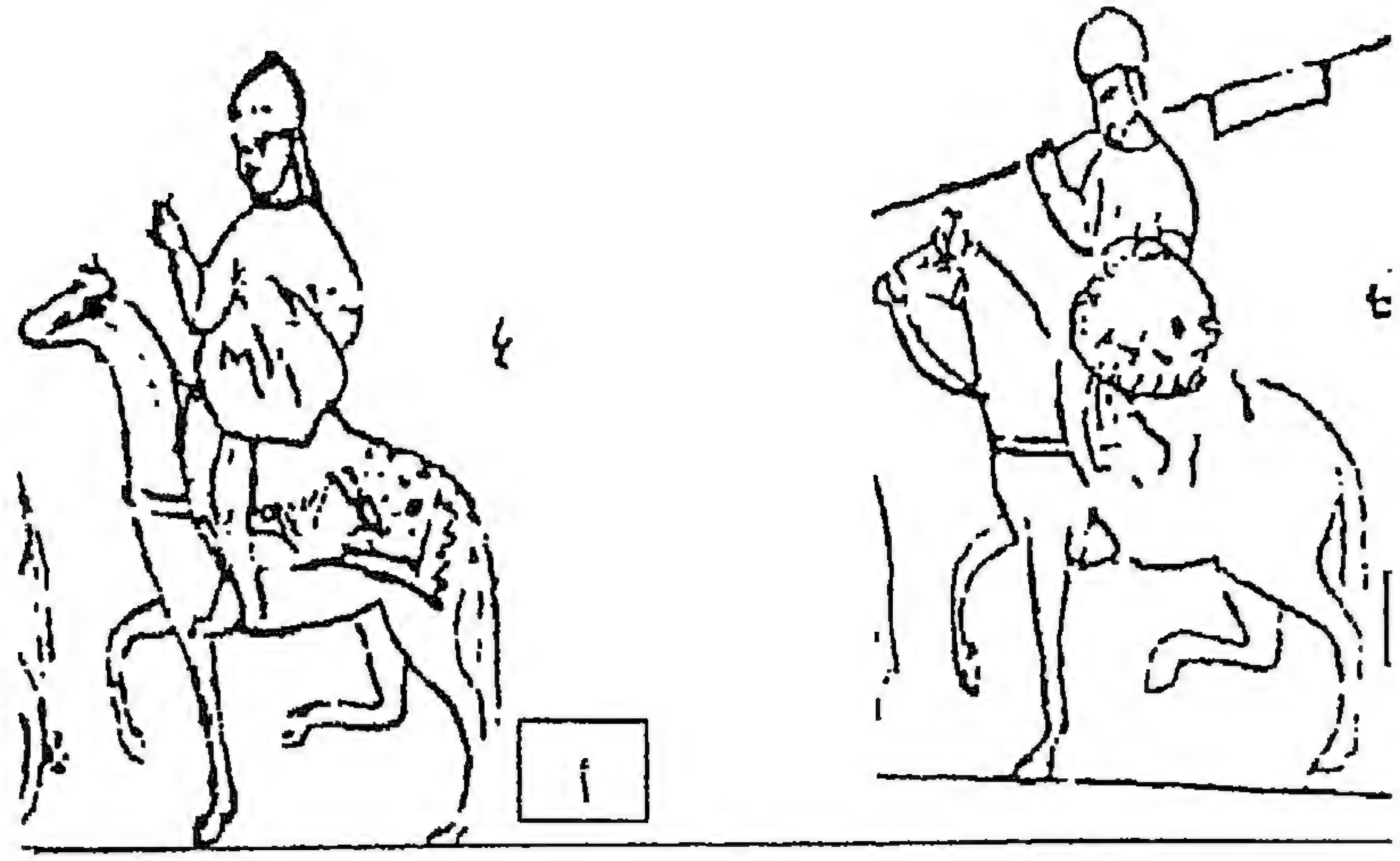

ب

أ

(شكل ٤٦ أ، ب) رسمان من البرطل بالحمراء، الأندلس، عصر بني نصر، عن: محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، شكل ١٦.

(١) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص٢٨.

(٢) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص٢٩.

(٣) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص٢٩.

ومما سبق يتضح أن التروس شاع تنفيذها في رسوم "البرطـل"، والجدير بالذكر أن هذه التروس نُفذت على هيئة القلب (شكل ٤٧)، ويرى "جمال محـرز"، أنها تُمثل الدرق المصنوع من الجلد وليس من الحديد، وعلى الرغم من أن الشكل قد لا يدل على المادة المصنوعة منها هذه التروس، فالباحث يتفـق معـه، فـي اعتقاده أنها تتشابه مع الدرق الأندلسية التي كانت تُصنع من الجلد (شـكل ٤٨، لوحة ٣٤)، والتي وصلنا منها ثمة نماذج ترجع إلى القـرنين الثـامن والتاسـع الهجريين/ ١٤- ١٥م[١].

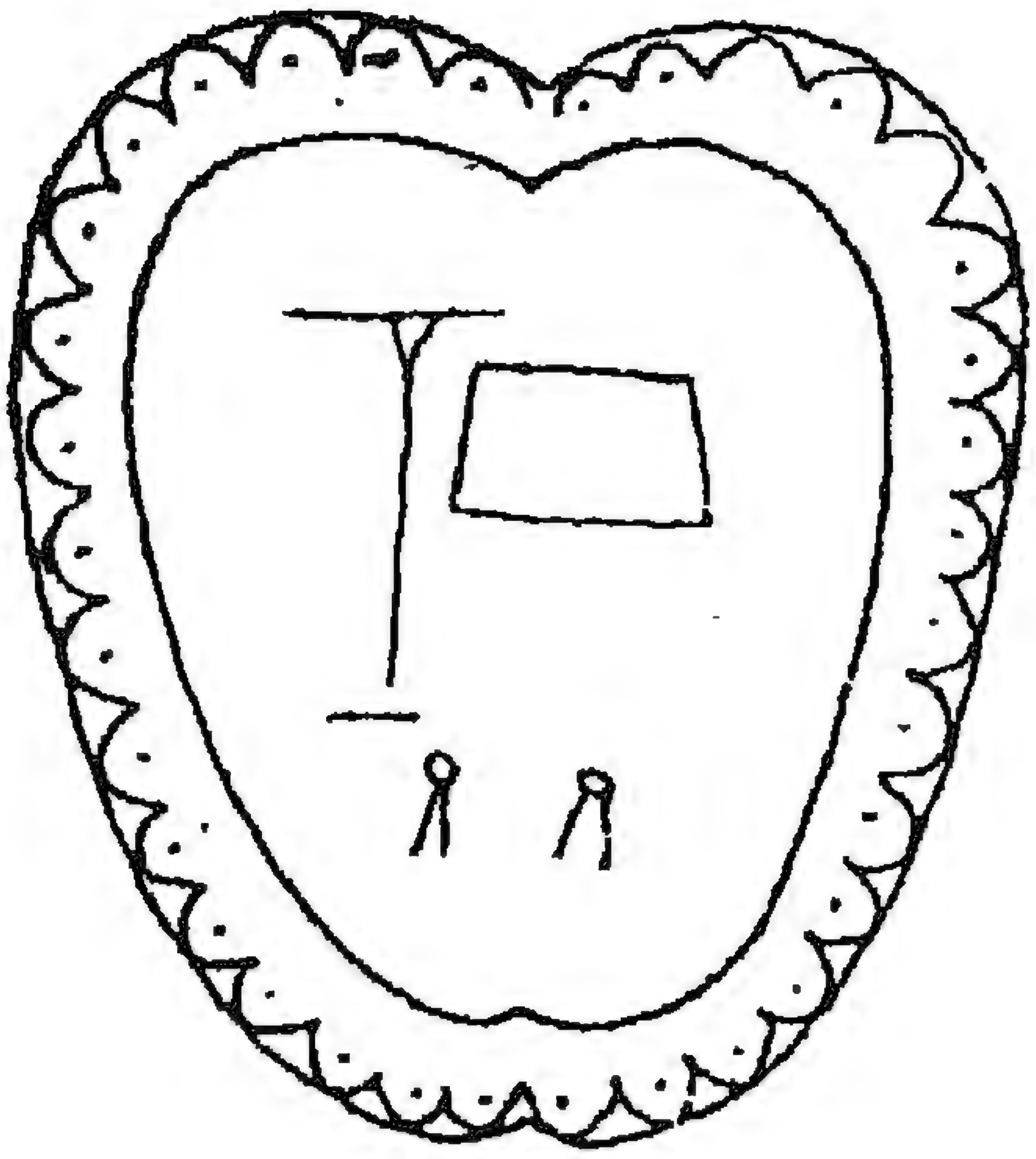

(شكل ٤٧) رسم لهيئة الدرقة في رسوم البرطل، عن، محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، شكل ١٤.

(١) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص٣٩. وعن أمثلة الدرق التي وصلتنا بالفعل مـن عهد بني نصر. انظر، Perez, pl. p. 124.

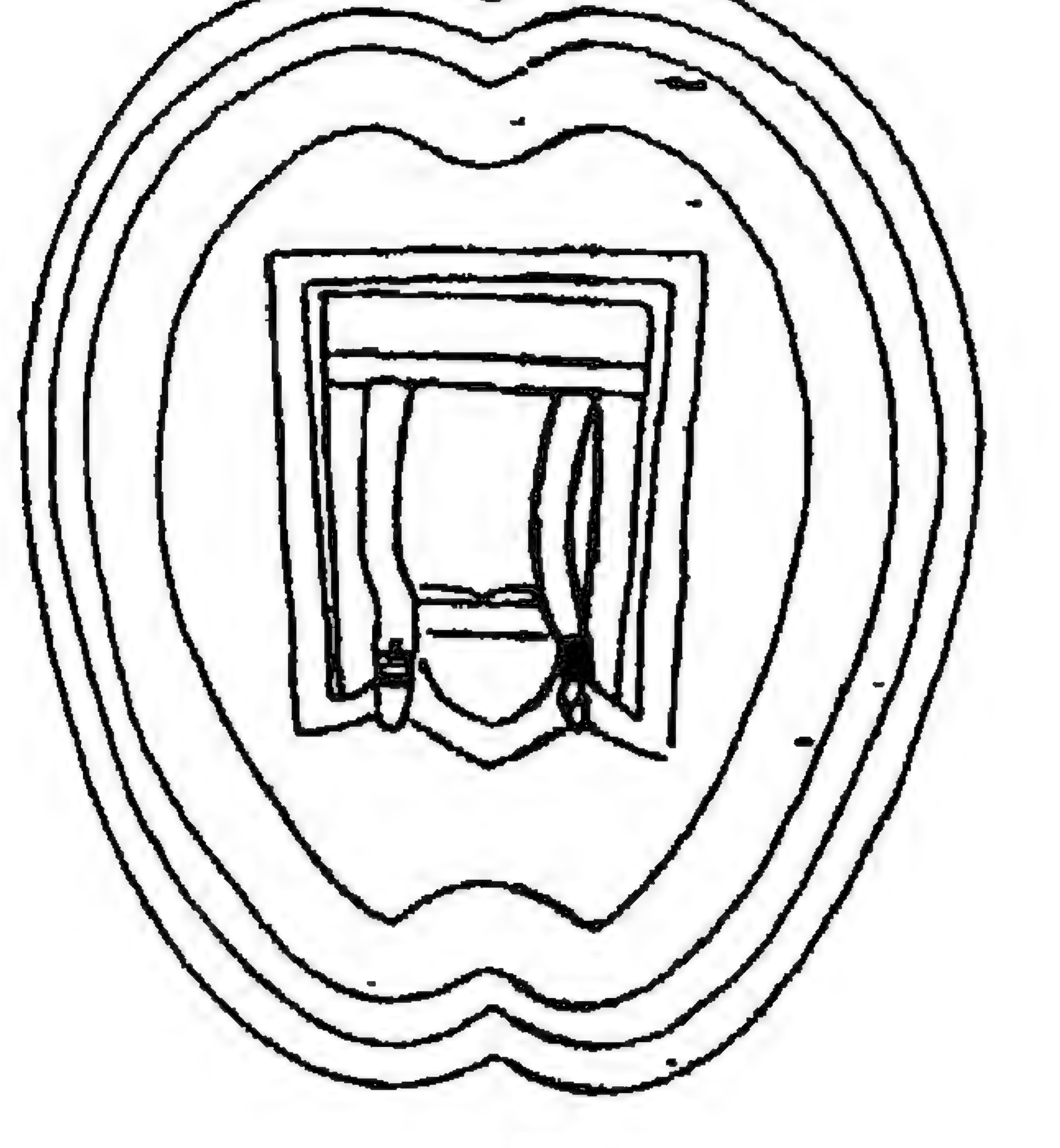

(شكل ٤٨) رسم لدرقة من الأندلس، عصر بني نصر، عمل الباحث، انظر، Perez, Hejuari,

وبالإضافة إلى الرسوم الجدارية السابقة، ففي إحدى قاعات قصر الحمراء بغرناطة، وهي التي تُعرف باسم "قاعة الملوك" أو "قاعة الشريعة"، رسم منفذ على الجلد، المثبت في السقف، نرى من بين رسومه فارسًا عربيًا يمتطي صهوة جواده الراكض، ويحمل هذا الفارس درقة[1] في شماله، وحربة في يمينه، يسددها إلى قلب فارس آخر مسيحي (لوحة ٣٥، شكل ٤٩ أ)، والدرقة التي في يد الفارس العربي؛ قريبة في هيئتها من هيئة الدرق في رسوم البرطل، أي أنها تأخذ شكل القلب، وهي أيضًا مماثلة لما وصلنا بالفعل من الدرق الذي يرجع إلى عهد بني نصر في غرناطة. ويُلاحظ أن الدرقة موضوع الدراسة، مزينة في كل جانب من جانبيها، بزخرفة قوامها ثلاث حلقات رأسية متصلة، السفلي منها تنتهي بأهداب.

كما يظهر في المنظر السابق نفسه، رسم آخر قوامه مخلوق ضخم في صورة إنسان، ولو أنه كث الشعر كحيوان، ويأسر هذا المخلوق سيدة، يأتي فارس مسيحي ليحررها، ويصرع هذا المخلوق المخيف[2]، ويلاحظ أن الفارس

---

(١) جمال محرز، الرسوم الجدارية الإسلامية، ص ٤٠؛ Perez, pl. p. 62. وعن هذه الرسوم. راجع، فون شاك، ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) فون شاك، ص ١٧٢.

المسيحي، يحمل في يده درقة لها هيئة قريبة من شكل القلب أيضًا (شكل ٤٩ ب) ولكنها مزخرفة برسم قوامه ثلاثة طيور صغيرة الحجم (لوحة ٣٦).

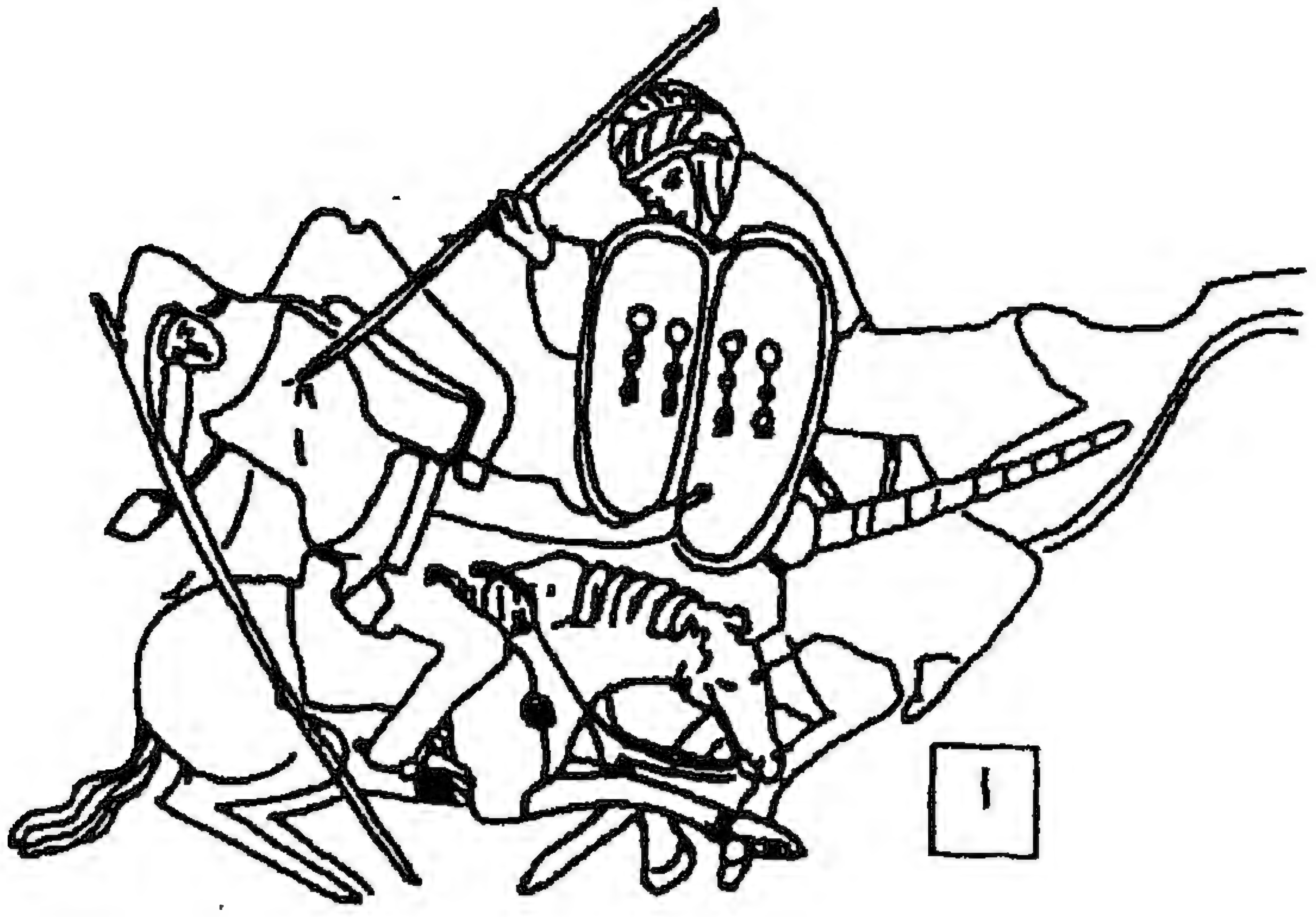

أ

ب

(شكل ٤٩ أ، ب) رسمان من قاعة الملوك بالحمراء، غرناطة، عصر بني نصر، عمل الباحث، انظر: Perez, Hejuari, T., pl. pp. 62- 63

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

ابن الأثير الجزري:

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق، خيري سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ابن الأثير، أبي الحسن علي:

- الكامل في التاريخ، تحقيق، أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

الأصفهاني، العماد الكاتب:

- الفتح القسي في الفتح القدسي تحقيق، محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

الأصفهاني، أبي الفرج:

- الأغاني، شرحه وكتب هوامشه، عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

الإقصرائي، محمد بن عيسى:

- نهاية السؤل والأمنية في تعلم الفروسية، نشر وتحقيق، نبيل عبد العزيز، رسالة دكتوراه، مع دراسة تاريخية عن نظام الفروسية في عصر سلاطين المماليك، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٢م.

البخاري، (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل):

- متن البخاري مشكول بحاشية السندي، جـ٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

البنداري، الفتح بن علي:
- سنا البرق الشامي ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م- ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، من كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق، فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٧٩م.

الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر:
- الحيوان، سلسلة الذخائر، العدد (٧٧)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت.

الحجاري، أبا عبد الله محمد وآخرون:
- المغرب في حلي المغرب، حققه وعلق عليه، شوقي ضيف، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، د. ت.

الحسن بن عبد الله:
- آثار الأول في ترتيب الدول، بولاق، ١٢٩٥هـ.

ابن الخطيب، لسان الدين:
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.

الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك:
- كنز الدرر وجامع الغرر، جـ ٦، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق، صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م.
- كنز الدرر وجامع الغرر، جـ ٧، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.

ديوان الأبيوردي:
- تحقيق، عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

ديوان الأعشى الكبير:
- شرح وتعليق، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.
ديوان امرئ القيس، وملحقاته:
- بشرح أبي سعيد السكري المتوفى سنة ٢٧٥هـ، دراسة وتحقيق، أنور عليان أبو سويلم، محمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠٠م.
ديوان أمية بن أبي الصلت:
- جمعه وحققه وشرحه، سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
ديوان أوس بن حجر:
- تحقيق وشرح، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م.
ديوان البحتري:
- تحقيق، حسن كامل الصيرفي، سلسلة ذخائر العرب، العدد ٣٤، ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ط، دار صادر، بيروت، د، ت.
ديوان بشار بن برد:
- قرأه وقدم له، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي:
- عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ١٩٩٥م.
ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي:
- سلسلة الذخائر، العدد (٨٤)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت.

ديوان جرير:

- دار صادر، بيروت، ١٩٩١م.

ديوان الحارث بن حلزة:

- يليه شعر بكر وأخبار حرب البسوس، إعداد وتقديم، طلال حرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان الحطيئة:

- برواية وشرح ابن السكيت (١٨٦- ٢٤٦هـ)، تحقيق، نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.

ديوان حسان بن ثابت:

- تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمامي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م.

ديوان ابن أبي حصينة:

- سمعه وشرحه، أبو العلاء المعري، حققه محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م.

ديوان حميد بن ثور:

- دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

ديوان الراعي النميري:

- جمعه وحققه، راينهرت فاييرت، بيروت، ١٩٨٠م.

ديوان ربيعة بن مقروم الضبي:

- جمع وتحقيق، تماضر عبد القادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

ديوان ذي الرمة:

- شرح الإمام أبي نصر الباهلي، تحقيق، واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

ديوان زهير بن أبي سلمى:

- دار صادر، بيروت، د. ت.

ديوان ابن زيدون:

- دار صادر، بيروت، د. ت.

ديوان سلامة بن جندل:

- صنعه، محمد بن الحسن الأحول، تحقيق، فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

ديوان السموأل:

- صنعه أبو عبد الله نفطويه، تحقيق وشرح، واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان ابن سناء الملك:

- تحقيق، محمد إبراهيم نصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد (٩١)، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ديوان السيد الحميري:

- اعتنى به وقدم له وعلق عليه، نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

ديوان ضرار بن الخطاب الفهري:

- جمعه وحققه وشرحه، فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان طفيل الغنوي:

- شرح الأصمعي، تحقيق، حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

ديوان أبي الطيب المتنبي:

- تحقيق، عبد المنعم خفاجي وآخرون، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.

ديوان عامر بن الطفيل:

- رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

ديوان عبيد بن الأبرص:

- دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

ديوان العجاج:

- رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م.

ديوان الإمام علي بن أبي طالب:

- دار المنار بالقاهرة، مكتبة فياض بالمنصورة، د. ت.

ديوان عمرو بن كلثوم:

- دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان عمرو بن معدي كرب:

- جمعه ونسقه، مطاع الطرابيشي، مكتبة المؤيد، الرياض، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ٣، ١٩٩٤م.

ديوان عنترة:

- تحقيق، بدر الدين حاضري، محمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

ديوان أبي فراس الحمداني:

- شرح، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

ديوان ابن قلاقس:

- تحقيق، سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٨م.

ديوان ابن قميئة:

- عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م.

ديوان كثير عزة:

- شرح، دري مايو، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.

ديوان كعب بن زهير:

- قرأه، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م.

ديوان كعب بن مالك الأنصاري:

- تحقيق وشرح، مجيد طراد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

ديوان لبيد بن ربيعة العامري:

- دار صادر، بيروت، د. ت.

ديوان المتلمس الضبعي:

- رواية الأثرَمِ وأبي عبيدة عن الأصمعي، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٠م.

ديوان ابن المعتز:

- شرح وتقديم، ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩م.

ديوان ابن مقبل:

- عني بتحقيقه، عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ١٩٩٥م.

ديوان مهلهل بن ربيعة:

- إعداد وتقديم، طلال حرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ديوان النابغة الذبياني:

- تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د. ت.

ديوان ابن هاني الأندلسي:

- دار صادر، بيروت، د. ت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر:

- مختار الصحاح، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٧م.

الرمال، ابن زنبل:

- آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق، عبد المنعم عامر، الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود:

- أساس البلاغة، سلسلة الذخائر، العدد (٩٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ساويرس بن المقفع:

- تاريخ البطاركة، قام على نشره أنطون خاطر وبور مستر، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٦٨- ١٩٧٠م.

ابن سلام، أبي عبيد القاسم:

- كتاب السلاح، تحقيق، حاتم صالح الضامن، مجلة المورد، ، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م.

ابن سعيد الأندلسي:

- المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق، سيد حنفي حسنين، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، أول سبتمبر ٢٠٠٤م.
- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق، إبراهيم الإبياري، سلسلة ذخائر العرب (١٤)، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

ابن سيده، أبي الحسن على بن إسماعيل:

- المخصص، الجزء الثاني، السفر السادس، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد:

- الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت، د. ت.

ابن شداد، بهاء الدين:

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق، جمال الدين الشيال، ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م؛ ط، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، طرابلس، لندن، ١٩٨٨م.

شرح ديوان صريع الغواني:

- مسلم بن الوليد الأنصاري، المتوفى سنة ٢٠٨هـ، تحقيق، سامي الدهان، سلسلة ذخائر العرب، العدد (٢٦)، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

شعراء تغلب في الجاهلية:

- أخبارهم وأشعارهم، جـ ٢، الديوان، صنعة، علي أبو زيد، السلسلة التراثية (١٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠م.

شعر أبي وجزة السعدي، (... - ١٣٠هـ):

- جمع ودراسة، وليد محمد السراقبي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م.

الصولي، أبي بكر محمد بن يحيى:

- كتاب الأوراق، قسم أخبار الراضي والمتقي بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣هـ، تحقيق، ج. هيورث. دن، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أول أغسطس، ٢٠٠٤م.
- كتاب الأوراق، قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، تحقيق، ج. هيورث. دن، سلسلة الذخائر، العدد (١٢٤)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، منتصف أغسطس ٢٠٠٤م.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى:

- المفضليات، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ديوان العرب (١)، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، د. ت.

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير:

- تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م.

الطرسوسي (مرضي بن علي):

- تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق، كلود كاهن، بيروت، ١٩٤٨م؛ تحقيق، كارين صادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

ابن طولون، شمس الدين محمد:

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام)، تحقيق: محمد مصطفى، القسم الأول، من سنة ٨٨٤ إلى سنة ٩٢١ هـ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م.

ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد:

- العقد الفريد، حققه وشرحه وعرف أعلامه، محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد:

- القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠م.

ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله:

- الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م.

قدامة بن جعفر، أبي الفرج:

- جواهر الألفاظ، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، سلسلة الذخائر، العدد (١١٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

القرشي، أبي زيد محمد:

- جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، د. ت.

القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي:

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه، محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله:

- الفروسية، تحقيق، عزت العطار الحسيني، ط ٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٤م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار التقوى للتراث، القاهرة، ١٩٩٩م.

ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل:

- البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه، أحمد أبو ملحم، وعلى نجيب عطوي، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٩٨م.
- تفسير القرآن العظيم، مركز الحرمين التجاري بمكة، دار الغد العربي بالقاهرة، د. ت.

المرزباني، أبي عبيد الله محمد:

- معجم الشعراء، سلسلة الذخائر، العدد (٩٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين:

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي:

- الاعتبار، تحقيق وتقديم، قاسم السامرائي، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ١٩٨٧م.

ابن منكلي، محمد بن منكلي الناصري:

- التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية، تحقيق، صادق محمود الجميلي، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م.
- الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق، نبيل عبد العزيز، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ٢٠٠٠م.

مؤلف مجهول:

- خزانة السلاح، تحقيق، نبيل عبد العزيز، مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

مؤلف مجهول:

- السبق والرمي وأسلحة المجاهدين، تحقيق، عيد ضيف العبادي، مجلة المورد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع (عدد خاص عن: الفكر العسكري عند العرب)، بغداد، شتاء ١٩٨٣م.

ابن موسى، أبي عبيد الله محمد:

- معجم الشعراء، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد ٩٣، القاهرة، ٢٠٠٣م.

النويري، شهاب الدين أحمد:
- نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر السادس، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٦م.

ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبد الرحمن:
- حلية الفرسان وشعار الشجعان، اعتنى بطبعه، لوي سي، المطبعة المشرقية، لصاحبها بول جيتينار، بالباريز.

ابن هشام، أبي محمد عبد الملك:
- السيرة النبوية، تحقيق، لجنة التحقيق بمؤسسة الهدى، دار التقوى، القاهرة، ١٩٩٩م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله:
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت.

ثانيًا: المراجع العربية

إبراهيم أنيس وآخرون:
- المعجم الوسيط، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م.

أبو الحمد محمود فرغلي:
- تصاوير المخطوطات في عصر الأيوبيين، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨١م.
- الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- التصوير الإسلامي، نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١م.

أحمد تيمور:

- التصوير عند العرب، أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات، زكي محمد حسن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م.

أحمد عبد الرازق:

- الرنوك على عصر سلاطين المماليك، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الحادي والعشرون، ١٩٧٤م.

السيد عبد العزيز سالم:

- تحف العاج الأندلسية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ت.

- فن العاج واستخداماته، الفن العربي الإسلامي، جـ ٣، الفنون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٧م.

أنور الرفاعي:

- تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٧م.

بدون مؤلف:

- الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع، معرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ، ص٣٤.

ثروت عكاشة:

- التصوير الإسلامي (الديني والعربي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م.

جرجي زيدان:

- تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

جمال محرز:

- الرسوم الجدارية الإسلامية في "البرطل" بالحمراء، مدريد، ١٩٥١م.
- التصوير الإسلامي في الأندلس وعلاقته بالتصوير المصري، دراسات في آثار الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م.

حسن الباشا:

- شمعدان كتبغا، القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

حسين عليوه:

- السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك "دراسة أثرية"، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م.

حسين مصطفى رمضان:

- الكتابات المصورة على التحف المعدنية في القرنين (٦- ٧/ ١٢- ١٣م)، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة (٣٠ نوفمبر- ١ ديسمبر ١٩٩٨م).

ربيع حامد خليفة:

- الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

زكي محمد حسن:
- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٤٦م.
- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١.

سعد بن عبد الله الجنيدل:
- معجم التراث، السلاح، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٧هـ.

سعيد مغاوري:
- الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، مج١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

سيد حفني:
- الفروسية العربية في العصر الجاهلي، سلسلة اقرأ، العدد (٢١١)، دار المعارف بمصر، يوليه ١٩٦٠م.

سيد علي الحريري:
- الحروب الصليبية- أسبابها، حملاتها، نتائجها، تحقيق، عصام محمد شبارو، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.

شوقي أبو خليل:
- الحضارة العربية الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، ١٩٨٧م.

صلاح حسين العبيدي:
- الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٢٠٣)، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م.

عبد الحي الكتاني:
- نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

عبد الرحمن زكي:
- ملابس الجيش المصري في عهد محمد علي الكبير، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٤٩م.
- الأعلام وشارات الملك في وادي النيل، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨م.
- الجيش المصري في العصر الإسلامي، جـ ١، من الفتح العربي حتى معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٠م.
- الجيش المصري في العصر الإسلامي، جـ ٢، من عين جالوت إلى رشيد (١٢٦٠- ١٨٠٧م)، القاهرة، ١٩٧٠م.
- غرناطة وآثارها الفاتنة، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٢٧٦، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.

عبد العزيز بن إبراهيم العُمري:
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول (ص)، د. ت، ١٩٨٥م.

عبد العزيز حميد وآخرون:
- الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، بغداد، ١٩٨٢م.

عبد العزيز سيد الأهل:
- أيام صلاح الدين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٤م.

عبد العزيز صلاح سالم:

- الرياضة عبر العصور، تاريخها وآثارها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، جـ١، التحف المعدنية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

عبد العزيز محمود عبد الدايم:

- الحيل في حروب دولة المماليك، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣م.

عبد الغني محمد عبد الله:

- الرنك (الفن القديم المتجدد)، مجلة الفيصل، العدد (٩٤)، ربيع الثاني ١٤٠٥هـ، السنة الثامنة، كانون الثاني، يناير ١٩٨٥م.

عبد الناصر ياسين:

- الأسلحة الهجومية في العصر الإسلامي (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر)، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد الرابع والعشرون، الجزء الثاني، أكتوبر، ٢٠٠١م.
- الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي (دراسة آثارية حضارية للتأثيرات الفنية الوافدة)، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- الأسلحة الدفاعية "الجنن الواقية" في العصر الإسلامي، (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر، كتاب المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي (٣) الندوة العلمية الرابعة، ١٣- ١٤ شعبان ١٤٢٣هـ/ ١٩- ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٢م، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- وسائل السفر عند المسلمين (تاريخها وآثارها)، دراسة عن الهودج وشاكلاته في ضوء المصادر المكتوبة والأثرية، جزءان، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- مناظر الفروسية على الخزف الإسلامي، دراسة تحت النشر.

عفيف بهنسي:

- الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٦م.

مايسة محمود داود:

- الرنوك الإسلامية، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ/ فبراير ١٩٨٢م.

محسن محمد حسين:

- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (تركيبه، تنظيمه، أسلحته، بحريته، وأبرز المعارك التي خاضها)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

محمد أحمد دهمان:

- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.

محمد العروسي المطوي:

- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

محمد المنوني:

- حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٩م.

محمد عبد العزيز مرزوق:

- التحف المصنوعة من العاج (صفحات من الفن الإسلامي في الأندلس)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع عشر، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٥٥م، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٧م.
- الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

محمد مصطفى:

- تصوير الحياة اليومية في الفن المصري، مجلة المجلة، العدد الأول، يناير ١٩٥٧م.
- الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، مارس، ١٩٤١م.

محمد مصطفى نجيب:

- تنظيم الجيش المملوكي في عهد السلطان الغوري (٩٠٦- ٩٢٢هـ/ ١٥٠١- ١٥١٦م)، القاهرة، ١٩٨٥م.

محمود إبراهيم حسين:

- الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، جـ١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.

نادية حسن أبو شال:

- المبخرة في مصر الإسلامية، دراسة حضارية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م.

نبيل عبد العزيز:

- الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

- رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية المعربة

ادي شير:

- كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٧- ١٩٨٨م.

دوزى، ر:

- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، بغداد، ١٩٧١م.

ديماند، م. س:

- الفنون الإسلامية، ترجمة، أحمد عيسى، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

رايس، د. ت:

- الفن الإسلامي، ترجمة، منير صلاح الأصبحي، دمشق، ١٩٧٧م.

غالي، واصف بطرس:

- تقاليد الفروسية عند العرب، ترجمة، أنور لوقا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م.

فون شاك:

- الفن العربي في أسبانيا والأندلس، ترجمة، الطاهر أحمد مكي، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

ماير، ل. أ:

- الملابس المملوكية، ترجمة، صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.

مورينو، مانويل:

- الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، السيد عبد العزيـز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

رابعًا: المراجع الأجنبية

Atil, E.,
- Art of the Arab World, Freer Gallery of Art, Washington, 1975.

- Art of the Mamluks, Washington,1981.

Barrett, D.,
Islamic Metalwork in the British Museum, London, 1949.

Blair, Sh., and Bloom, J.,
The Art and Architecture of Islam (1250- 1800), Yale University, 1994.

Butler, A.,
Islamic Pottery, London, 1926.

Creswell, K.,
The Muslim Architecture of Egypt, vol. I, Ikhshids and Fatimids, A. D. 939- 1171, Oxford, 1951.

Dozy, R.,
Supplément aux Dictionnaires Arabes, Paris, 1927.

Erwin, R.,
Islamic Art, London, 1997.

Ettinghausen, R.,
Painting in the Fatimid Period: A reconstruction, Ars Islamica, New York, 1986.

Fehérvari, G.,
Islamic Metalwork of the Eight to The Fifteenth Century in the Keir Collection, London, 1976.

Grube, E.,
Islamic Pottery of the Eight to the fifteenth Century in the Keir Collection, London, 1976

Hillenbrand, R.,
Islamic Art and Architecture, London, 1999.

Lane, A.,
Early Islamic Pottery, Mesopotamia, Egypt, and Persia, London.

Lane- Poole, S.,
The Art of Saracens in Egypt, London, MDCCCLXXXVI.

Mayer, L, A.,
.Saracenic Heraldry, Oxford, MCMXXXIII

Migeon, G.,
- L' Orient Musulman, Conservateur des Objets d' Art au Musée du Louvre, Armes, Sculpture, Bois, Lvoires, Bronzes et Cuivres, Tapis Tissus, Miniatures, Musée du Louvre.

- Manuel d' Art Musulman, Arts Plastiques et Industriels, Tome. II, Paris, 1927.

Nicolle, D.,
Saljûq Arms and Armour in the Art and Literature, the Art of the Saljûqs in Iran and Anatolia, California, 1994.

Pauty, E, M.,
Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, les Bois Sculptés Jusqu'a l' Epoque Ayyoubide, le Caire, .1931

Perez, Hejuari, T.,
Objetos e Imagenes de Al- Andalus, Espana, 1994.

Philon, H.,
Early Islamic Ceramics, Ninth to Twelfth Centuries, vol. I, Museum Athens, Islamic Art Publication, 1980.

Pope, A.,
A Survey of Persian Art, from Prehistoric Times to the Present, vol. V, London and New York, 1939.

Rice, T.,
Islamic Art, London.

Schmits, B.,
A fragmentary Mînâ' î Bowl with Scenes from the Shâhnâma, the Art of the Saljûqs in Iran and Anatolia, California, 1994.

Ward, R.,
Islamic Metalwork, British Museum, London.

Wiet, G.,
L' Exposition Persane de 1931, Imprimerie de l' Institut Français d' Archéologie Orientale, le Caire, 1933.

Wilkinson, Ch.,
Nishapur, Pottery of the Early Islamic Pottery, the Metropolitan Museum of Art, New York.

Zigulski, Zdzislaw, Jr.,
Ottoman Art in the Service of the Empier, New York University, 1992.

Paktaş, K.,
Bitlis Çevresind Bilinmeyen Mezarliklar ev Mezar Taşlari, I. Ulslar Arasi Selçuklu Kűltűr ev Medeniyeti Kongresi, Bildiriler, II. Cilt, Selçuk Űniversitesi Selçuklu Araştirmalari Merkezi, Konya, Tűrkiye, 2001.

(لوحة ١) سلطانية من الفخار المرسوم تحت الطلاء، إيـــران، ق ٣- ٤هـــ، بمتحف طهران، عن، بهنسي، لوحة ١٣٦.

(لوحة ٢) سلطانية من الفخار المرسوم تحت الطلاء، إيران، ق ٤هـ، بمتحـــف المتروبوليتان، عن، Rice, D., pl. 43

(لوحة ٣) سلطانية من الفخار المرسوم تحت الطلاء، إيران، ق ٤هـ، بمجموعة ديفيد، عن، Erwin, R., fig. 205

(لوحة ٤) سلطانية من الخزف المرسوم بألوان متعددة مع التذهيب، إيران، ق ٦هـ، بمجموعة Mortimer Schiff ، عن، Pope, A., vol. V, pl. 672

(لوحة ٥) بلاطة من الخزف المرسوم بألوان متعددة مع التذهيب، إيران، ق ٧هـ، بمجموعة Mme E Paravicini، عن، Pope, A., vol. V, pl. 679

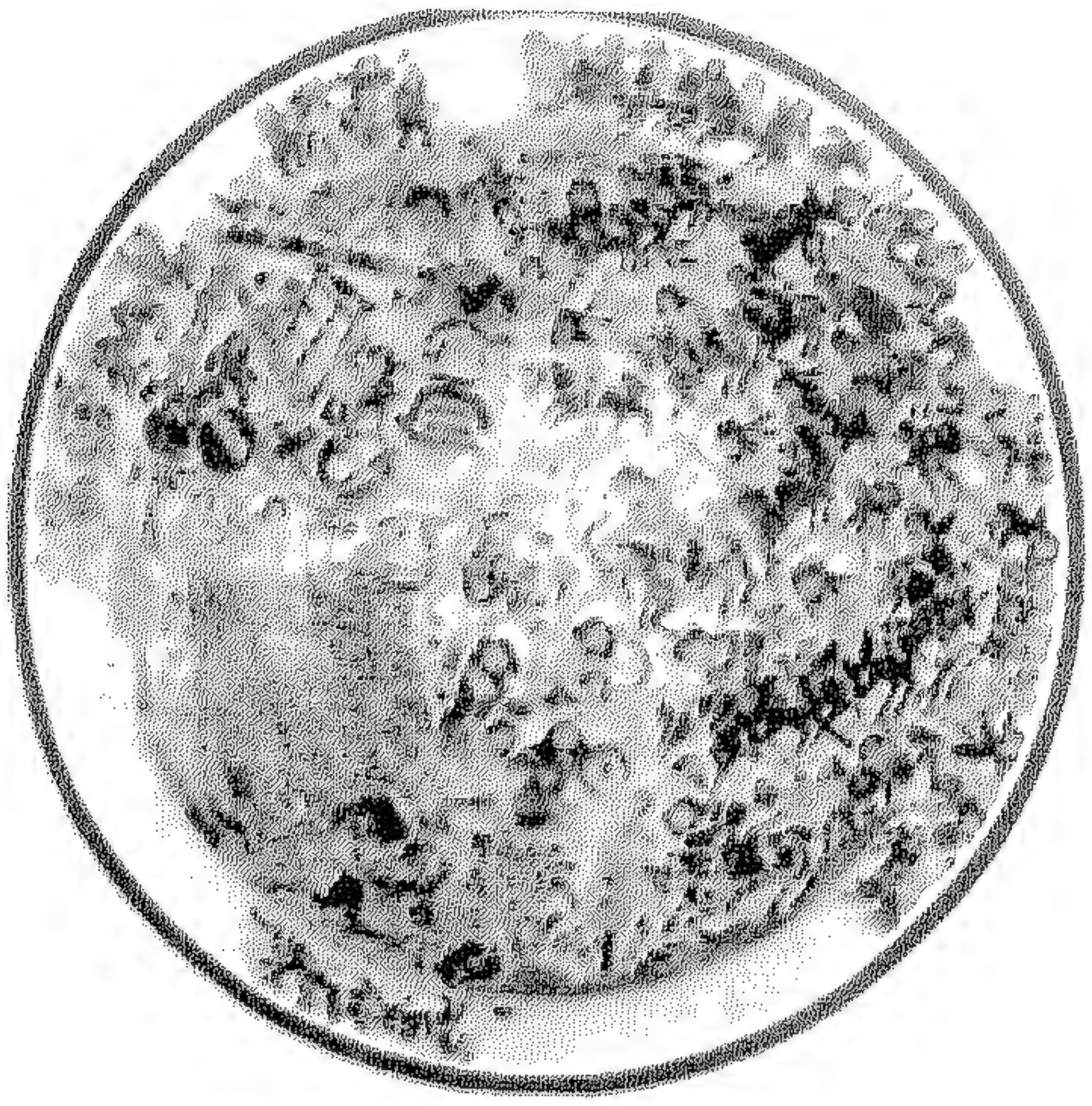

(لوحة ٦ أ) سلطانية منْ الخزف الميناني، إيران، ق ٧هـ، بمتحف فرير، عن، عكاشة، لوحة ٣٤م.

(لوحة ٦ ب) تفصيل من السلطانية السابقة.

(لوحة ٧) بلاطة من الخزف متعدد الألوان، إيران، ق ١٠هـ، كانت بمجموعة بتلر الخاصة، عن، فرغلي، لوحة ٥٢.

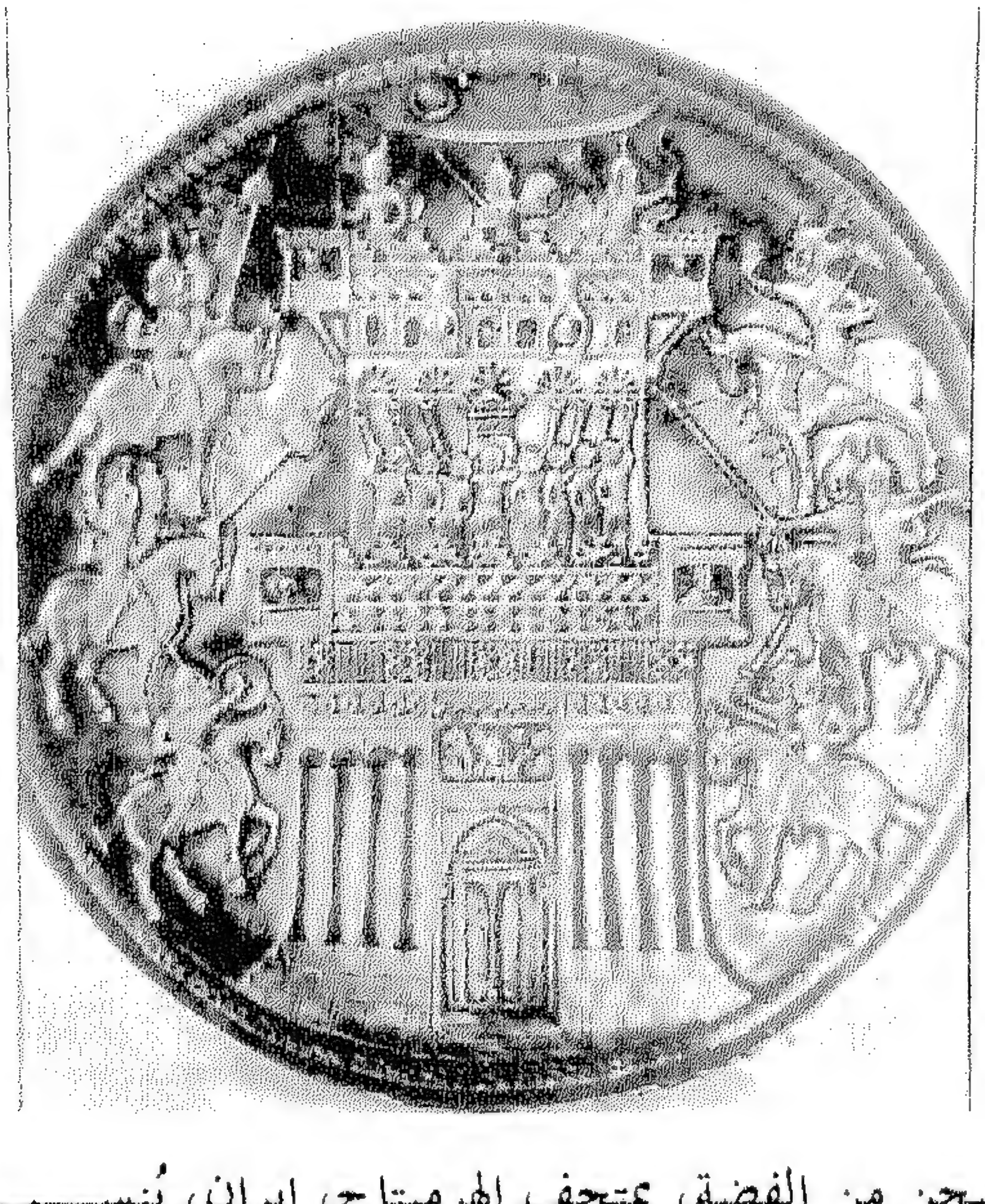

(لوحة ٨) صحن من الفضة، بمتحف الهرميتاج، إيران، يُنسب إلى ق ٣ أو ٤هـ، عن، الباشا، لوحة ٩٥٠.

(لوحة ٩) تمثال من الخزف المرسوم تحت الطلاء، سوريا، ق ٧هـ، بمتحف دمشق، عن، Rice, D., pl. 131

(لوحة ١٠) تفصيل من طست من النحاس "معمدانة سان لوي"، سوريا، ٦٨٩ - ٧١٠هـ، بمتحف اللوفر، عن، Blair, Sh., and Bloom, J., The Art and Architecture, pl. 127

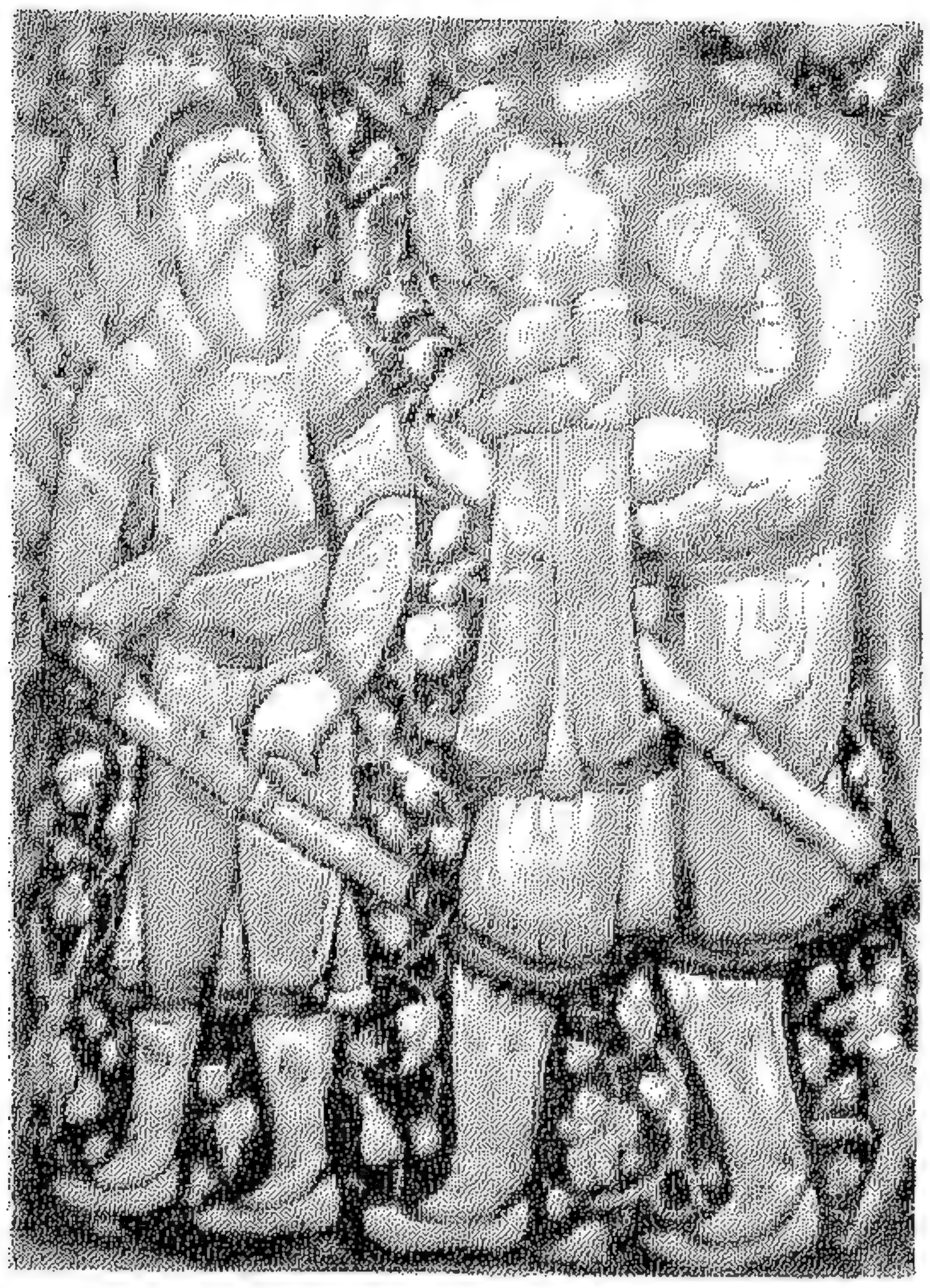

(لوحة ١١) تفصيل من الطست السـابق، عـن، Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 77

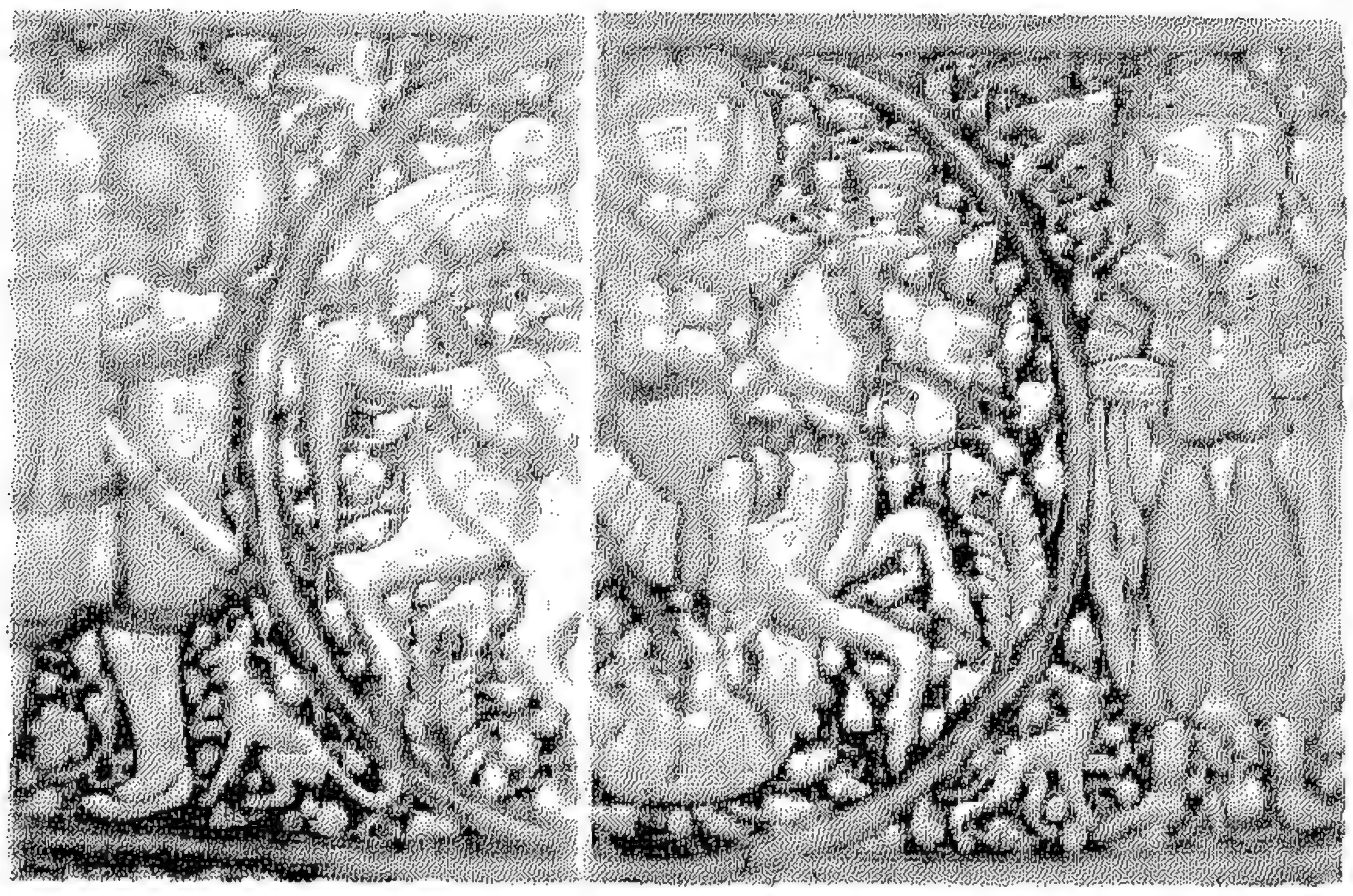

(لوحة ١٢) تفصيل من الطست السـابق، عـن، Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 77

(لوحة ١٣) تفصيل من زمزمية من النحاس، سوريا، ق ٧هـ، بمتحف فرير، عن، Atil, E., Art of the Arab World, pl. p. 70

(لوحة ١٤) تفصيل من الزمزمية السابقة، عن، Atil, E., Art of the Arab World, pl. p. 70

(لوحة ١٥) تفصيل من الزمزمية السابقة، عن، Atil, E., Art of the Arab World, pl. p. 70

(لوحة ١٦) تفصيل من الزمزمية السابقة، عن، Atil, E., Art of the Arab World, pl. p. 70

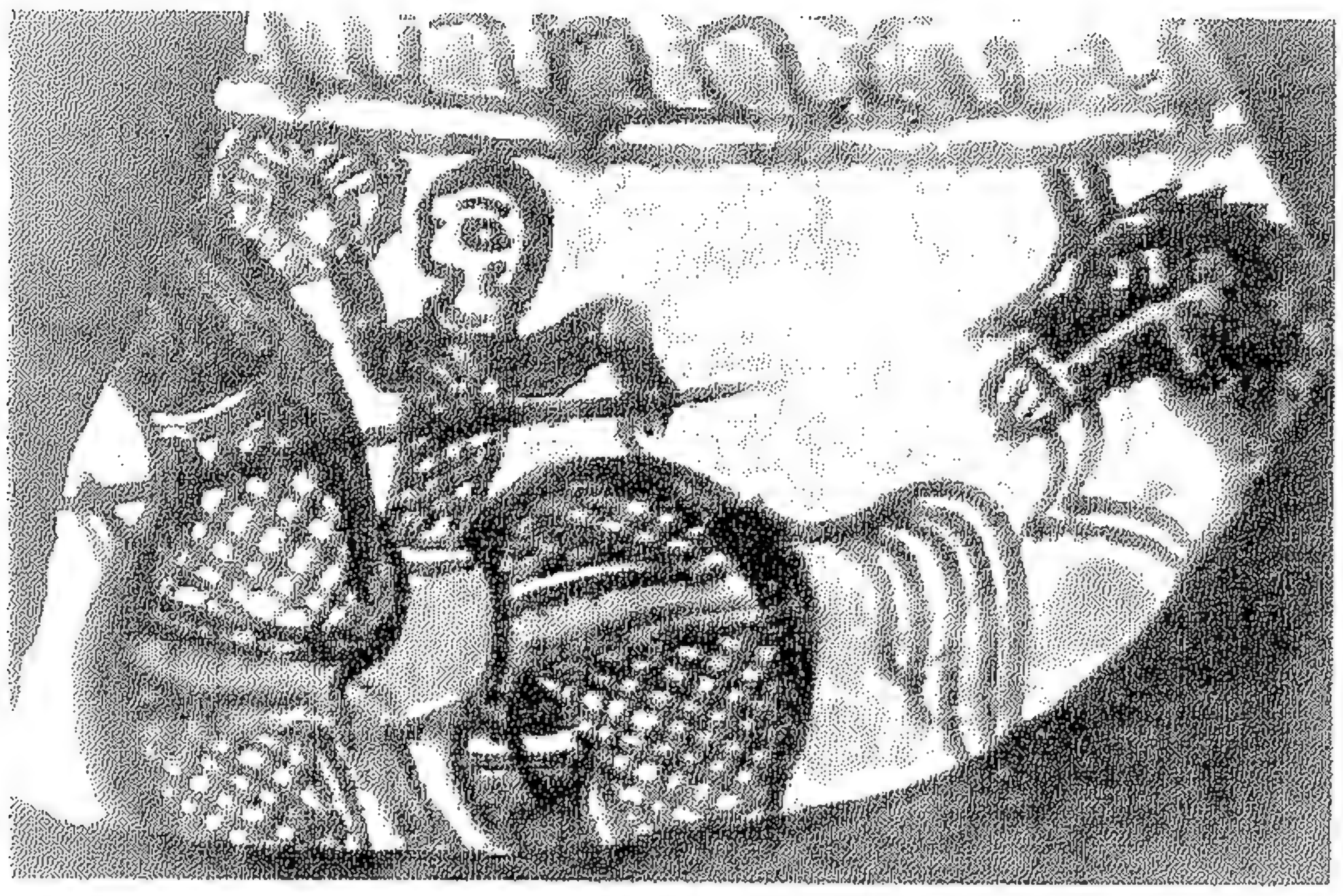

(لوحة ١٧) كسرة من الخزف المرسوم تحت الطلاء، شمـــال أفريقيـــا، ق ٤-٥هــ، بمتحف بناكي، عن، Philon, H., pl. XI, A

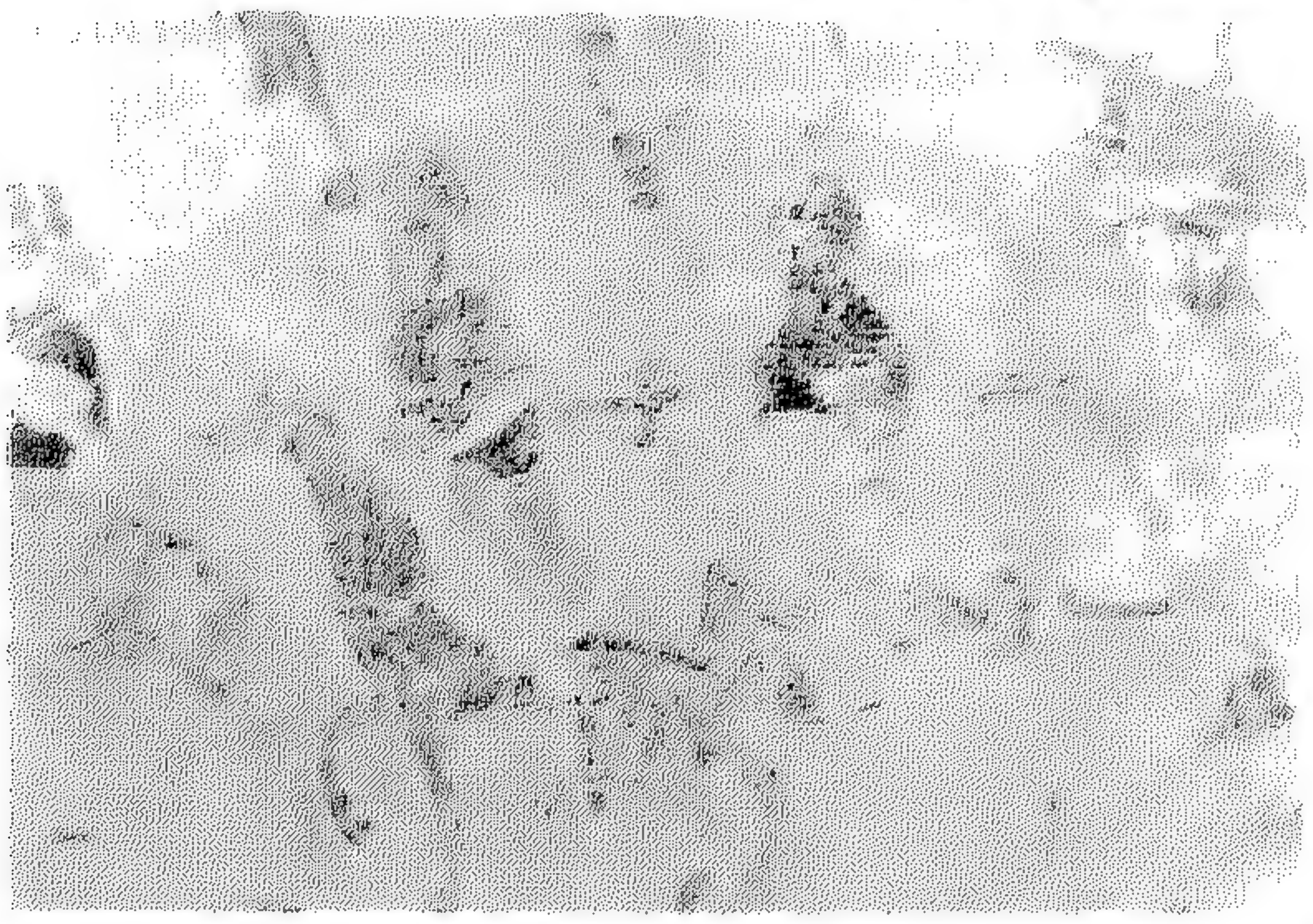

(لوحة ١٨) تفصيل من رسوم جدارية تزين قاعة أحد منـــازل "الــبرطل" في الحمراء بغرناطة، تُنسب إلى ق ٨هــ، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 69

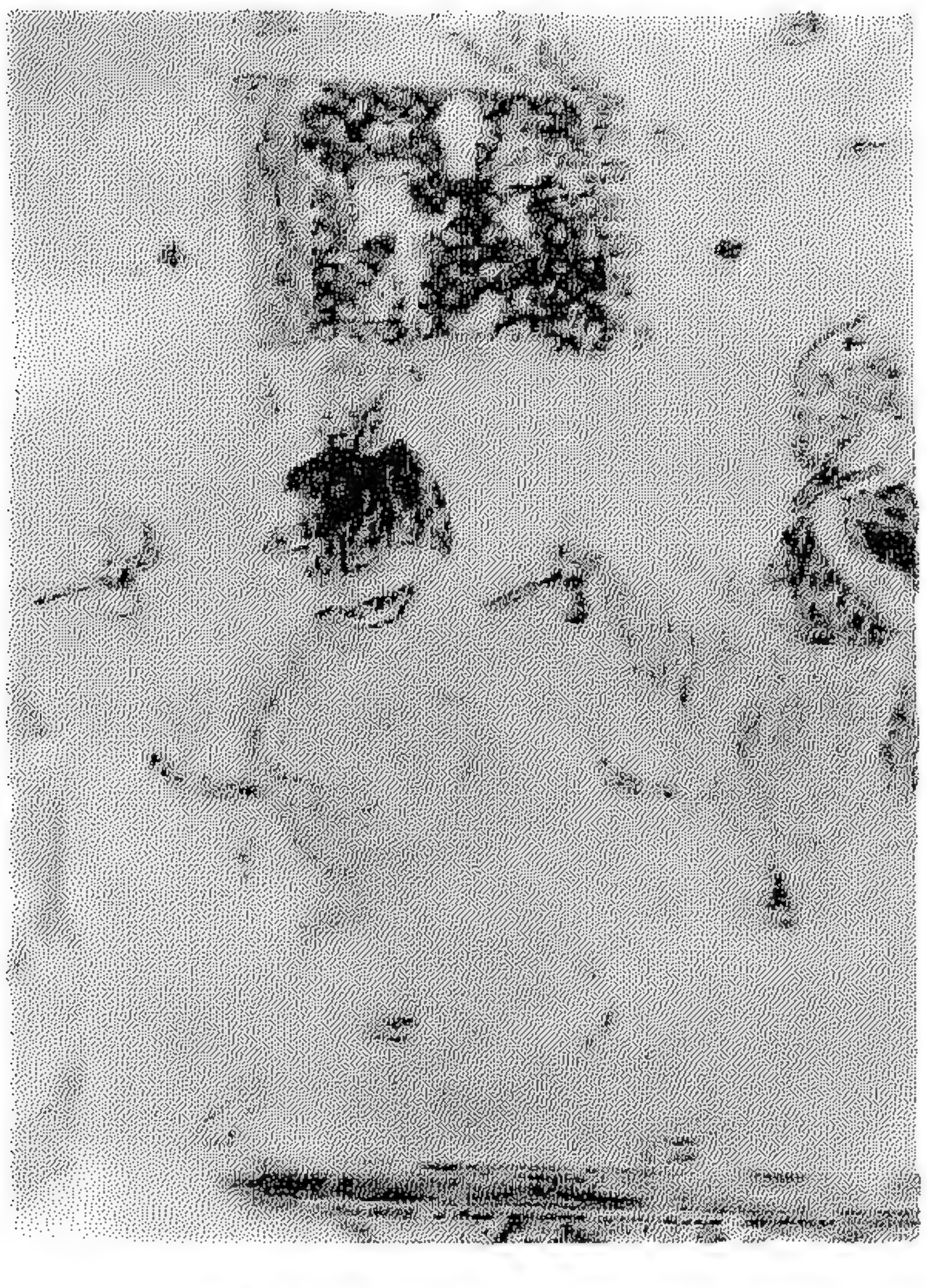

(لوحة ١٩) تفصيل من رسوم جدارية تزين قاعة أحد منـــازل "الــبرطل" في الحمراء بغرناطة، تُنسب إلى ق ٨هــ، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 69

(لوحة ٢٠) تفصيل من سلطانية من الخزف الميناني، إيران، ق ٧هـ، بمتحف فرير، عن، عكاشة، لوحة ٣٤م.

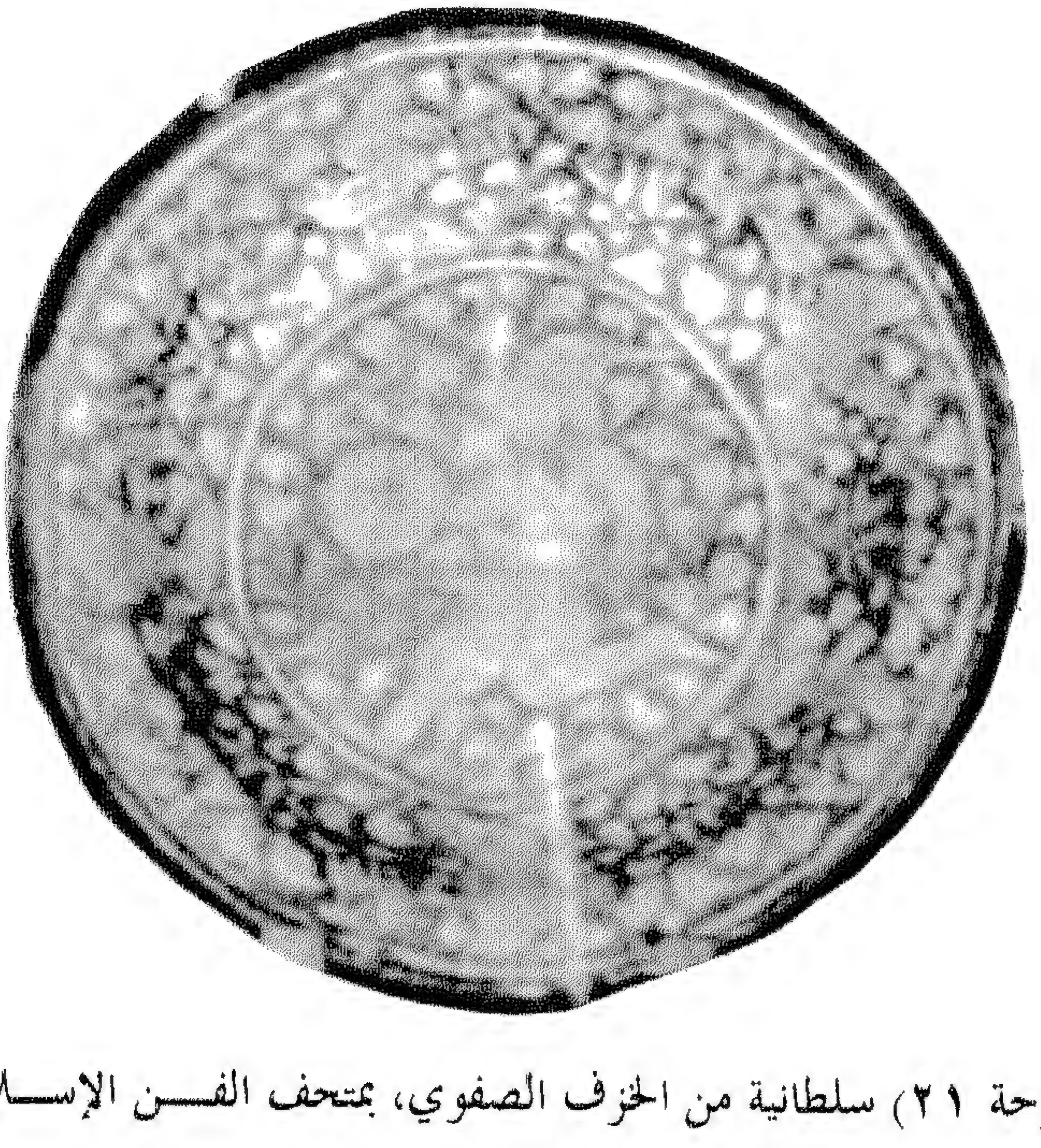

(لوحة ٢١) سلطانية من الخزف الصفوي، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم السجل: ١٨٢٦٥

(لوحة ٢٢) تفصيل من رسم جداري، إيران، يُنسب إلى نهايـــة ق ٢ أو بداية ق ٣هـــ، بمتحف إيران بستان بطهران، عن هنسي، لوحة ٨٣.

(لوحة ٢٣) سلطانية من الخزف ذي البريق المعدني، العراق، ق ٤هـــ، بمجموعة كير، عن، Grub, E., no. 37

(لوحة ٢٤) تفصيل من إبريق من النحاس، العراق، ٦٢٩هـ، بالمتحف البريطاني، عن، Blair, Sh., and Bloom, J., Islamic Art, pl. 145

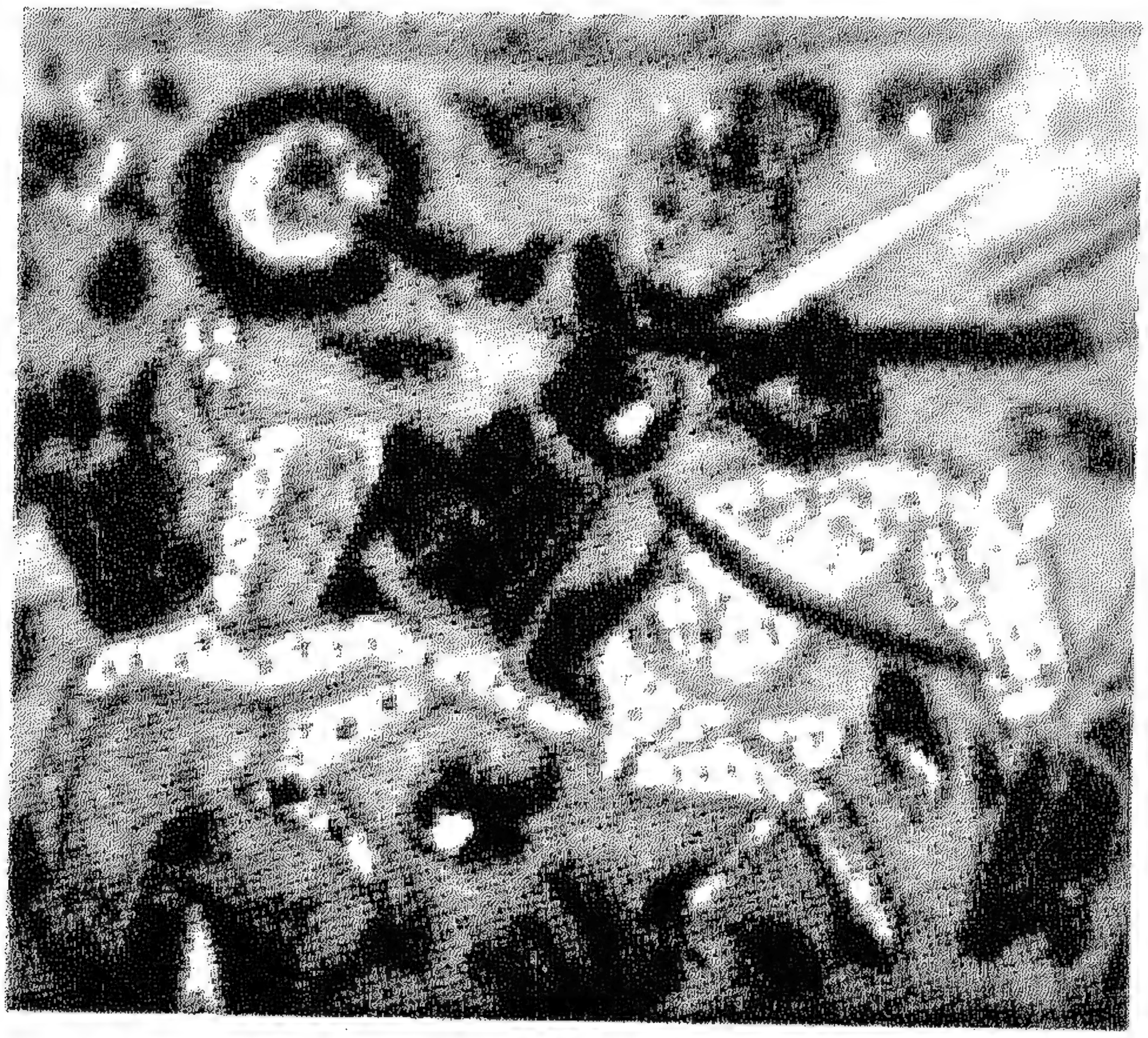

(لوحة ٢٥) تفصيل من إناء زجاجي مموه بالمينا، سوريا، ق ٨هـ، عن، ديماند، لوحة ١٥٩.

(لوحة ٢٦) تفصيل من طست من النحاس "معمدانة سان لوي"، ســوريا، ٦٨٩-٧١٠هـــ، بمتحف اللوفر، عن، Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 77

(لوحة ٢٧) تفصيل من الطست الســابق، عــن، Atil, E., Art of the Mamluks, pl. p. 77

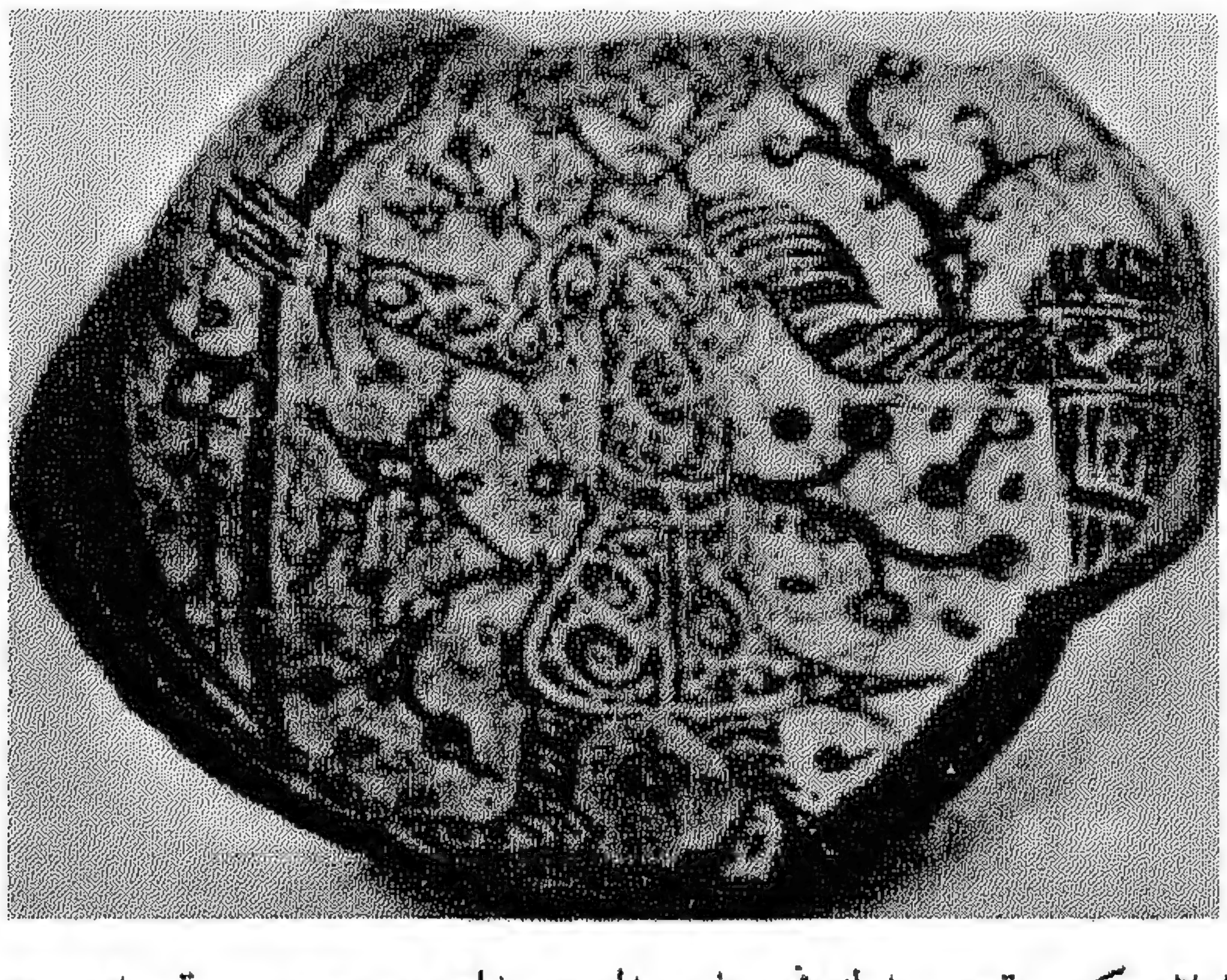

(لوحة ٢٨) كسرة من الخزف ذي البريق المعدني، مصر، ق ٤- ٥هـــ، عن، Butler, A., IX, F

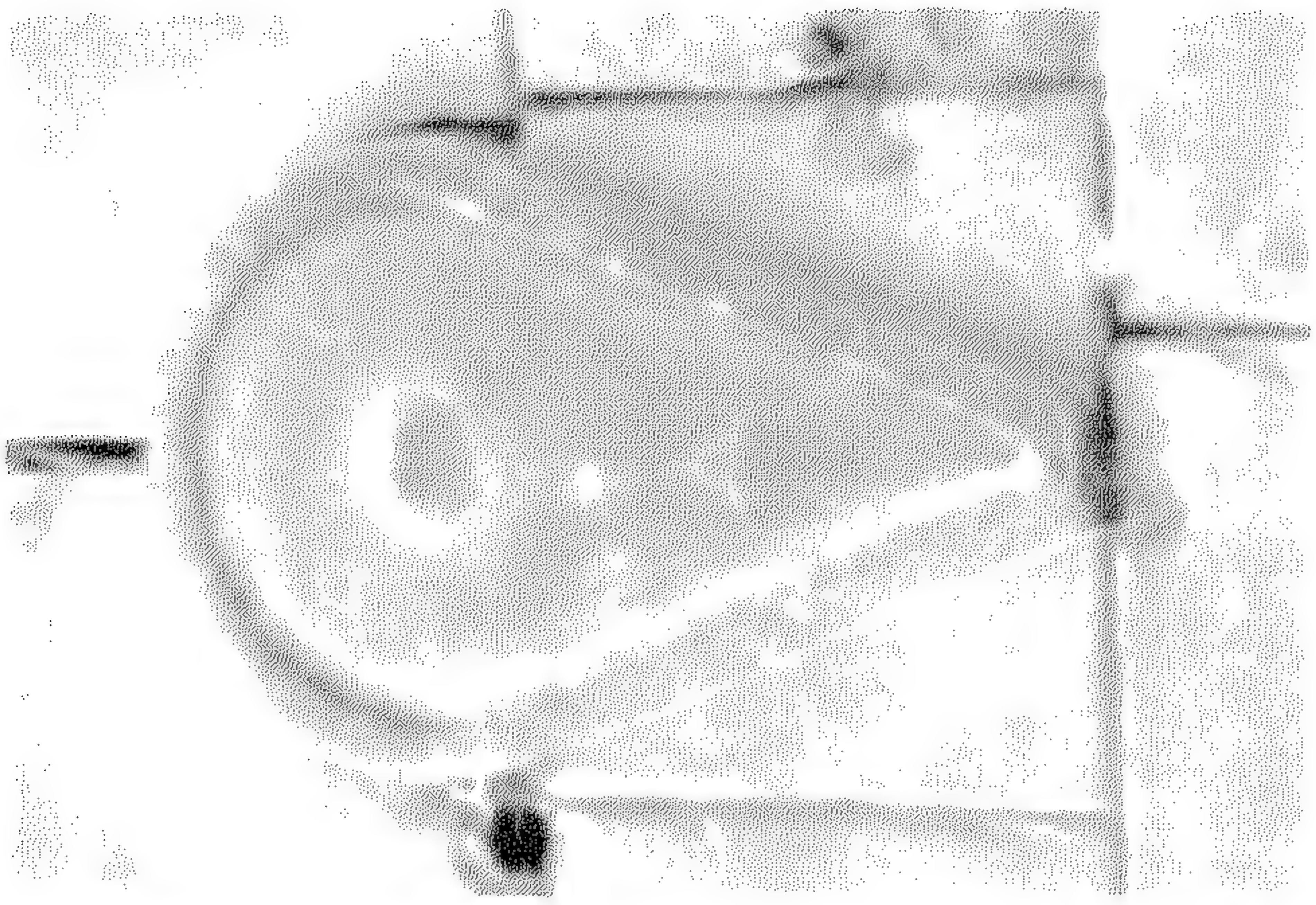

(لوحة ٢٩) نقش لترس "نورماندي" على بوابة النصر، مصر، العصر الفاطمي.

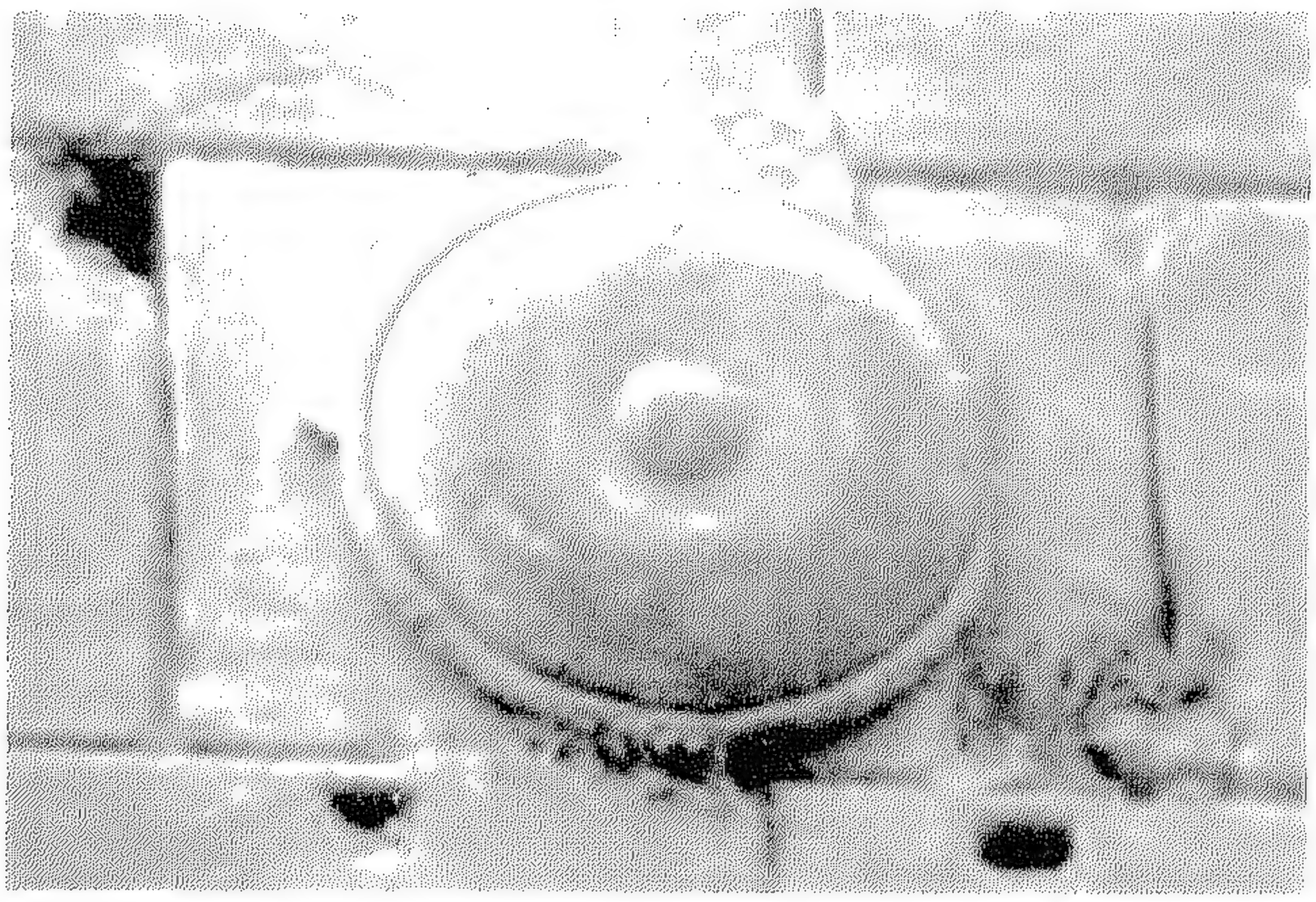

(لوحة ٣٠) نقش لترس مستدير على بوابة النصر، مصر، العصر الفاطمي.

(لوحة ٣١) نقش لترس مستدير على بوابة النصر، مصر، العصر الفاطمي.

(لوحة ٣٢) نقش لترس مستدير على بوابة النصر، مصر، العصر الفاطمي.

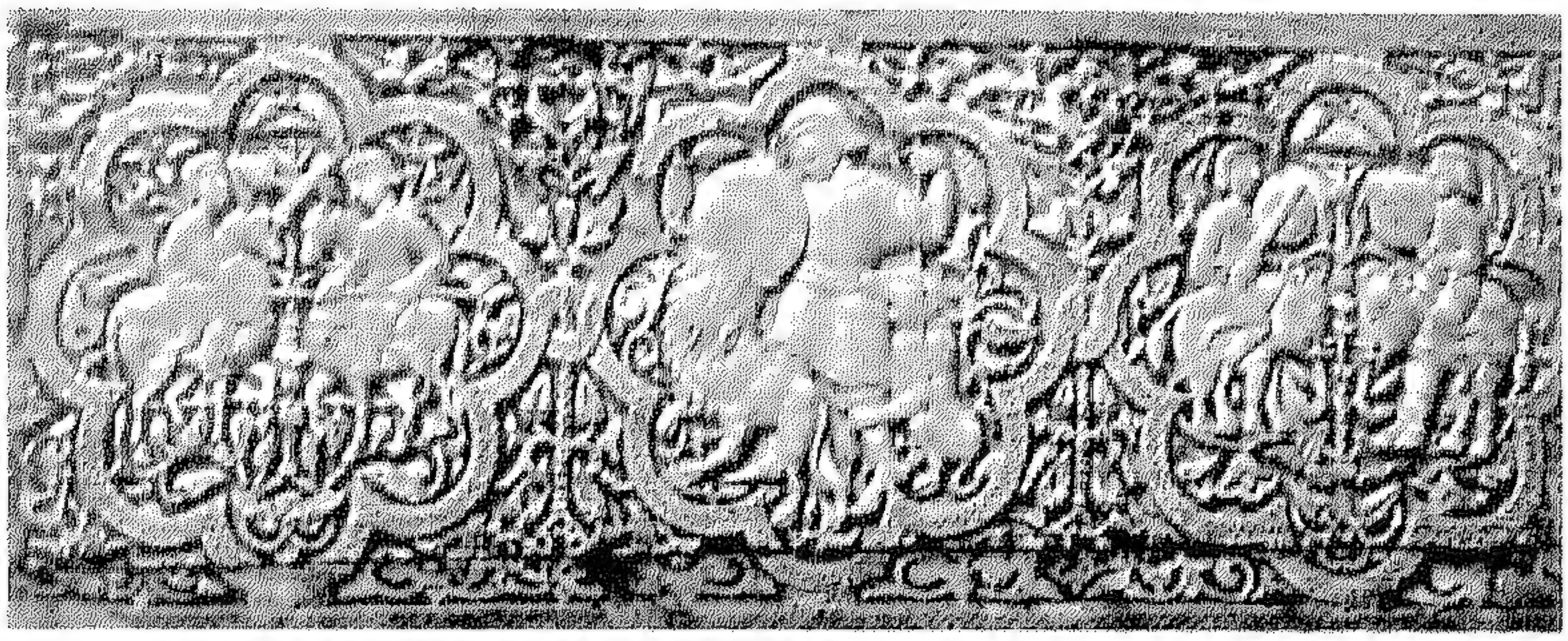

(لوحة ٣٣ أ) تفصيل من نقش على صندوق من العاج، الأندلس، ٣٩٥هـ، بكاتدرائية بنبلونة، عن، سالم، فن العاج واستخداماته، لوحة ص٢٠٧.

(لوحة ٣٣ ب) تفصيل من التحفة السابقة، عن المرجع نفسه.

(لوحة ٣٣ جـ) تفصيل من التحفة السابقة، عن المرجع نفسه.

(لوحة ٣٣ د) تفصيل من التحفة السابقة، عن، Hillenbrand, R., pl. 135

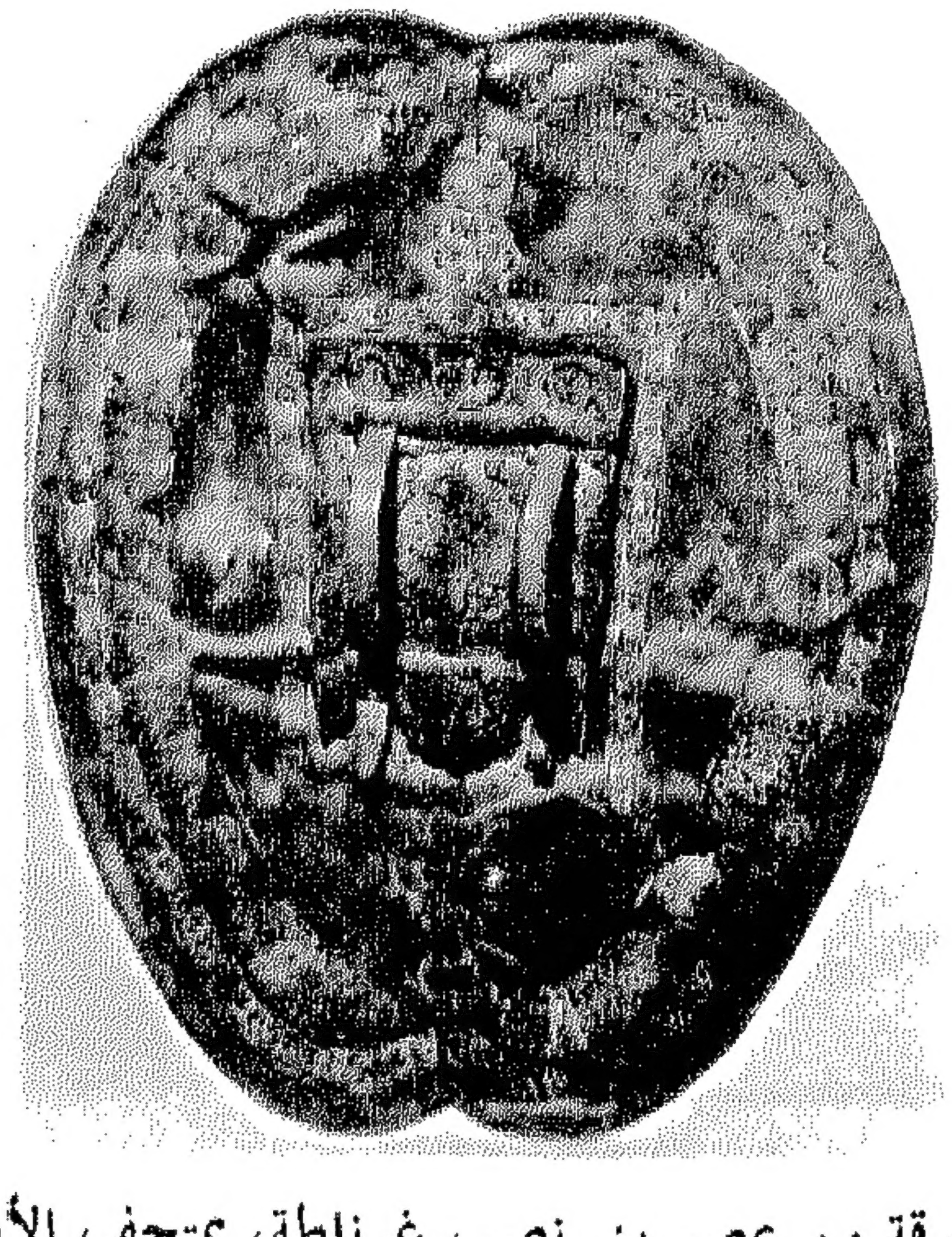

(لوحة ٣٤) درقة من عصر بني نصر، غرناطة، بمتحف الأسلحة بالقصر الملكي، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 124

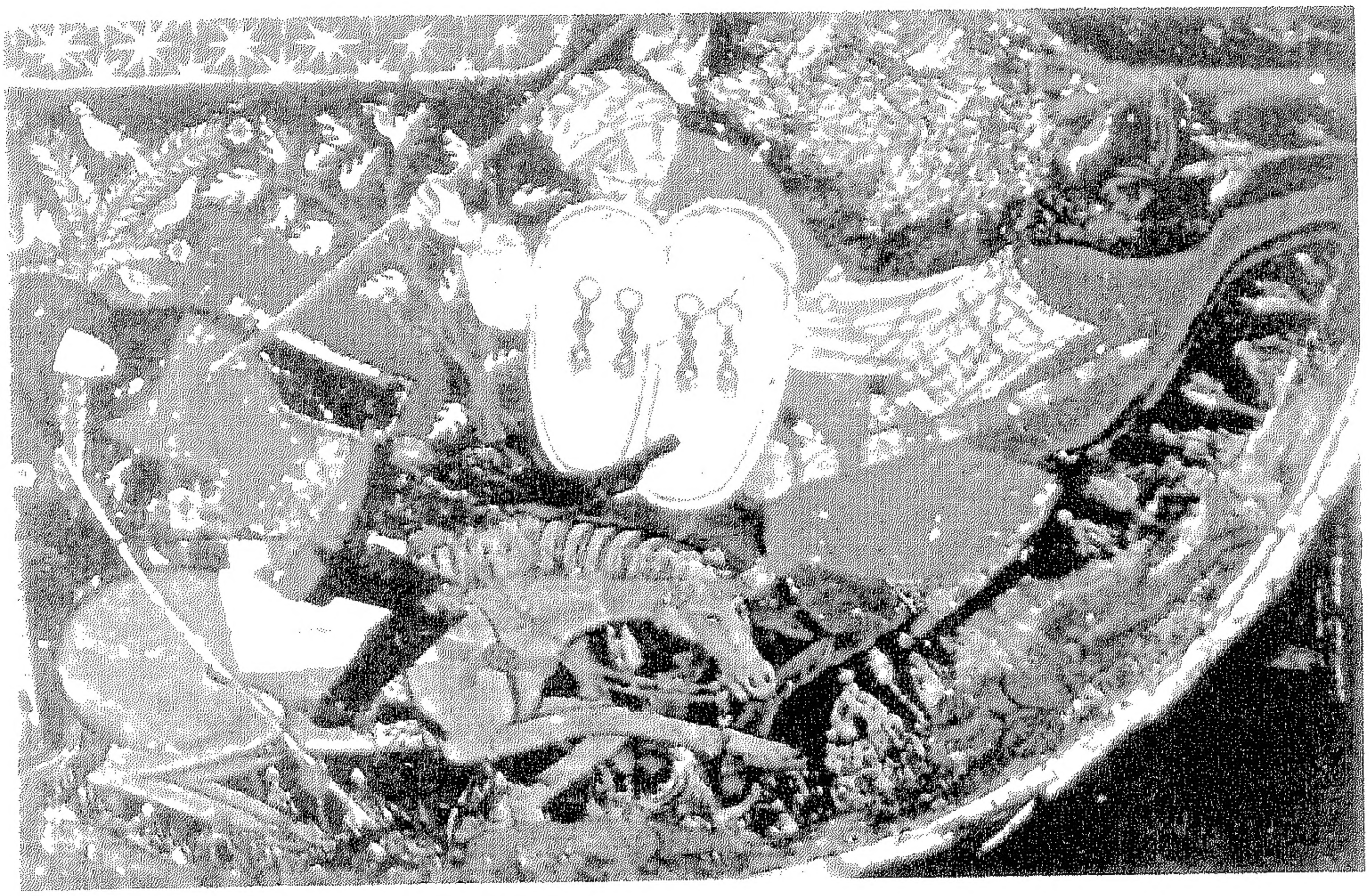

(لوحة ٣٥) تفصيل من تصويرة جدارية بقاعة الملوك، بقصر الحمراء

بغرناطة، عصر بني نصر، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 62

(لوحة ٣٦) تفصيل من تصويرة جدارية بقاعة الملوك، بقصر الحمراء

بغرناطة، عصر بني نصر، عن، Perez, Hejuari, T., pl. p. 63

كلاسيك

دار القاهرة
١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
ت : ٠٠٢٠٢٣٩١٣٣٥٤